

هذا هو الجزء الثاني من كتاب اتحاف ملوك
الزمان بتاريخ الایمراطور شرلکان
ترجمه من القرن سابعة الى العربية
الفقر الى الله تعالى خليفه محمود
وبليه الجزء الثالث

فهرست الجزء الثانى من كتاب تحاف ملوك الزمان بتاريخ الایمیراطور شرلکان

تخفيفه

٢

المقالة الخامسة

٢

مطلب غضب اهل اورو پاکفة على الایمیراطور

٣

مطلب العصبة المنعقدة على الایمیراطور

٤

مطلب صیوروة اهل فلورنسة حرین مستقلین بانفسهم

٥

مطلب عدم نشاط عساكر الایمیراطور

٦

مطلب دخول جيش فرنسا ویه بلاد ايطاليا

٧

مطلب اطلاق البابا وتخلية سبيله بامر الایمیراطور

٩

مطلب ما طلبه الایمیراطور من الملك فرنسیس والملاک هنرى

١١

مطلب دعاء الایمیراطور الى الحرب

مطلب دعاء الملك فرنسیس الایمیراطور الى المقاتلة الشخصية وهى

١١

مبارزة القرنين فى الميدان

١٢

مطلب تقوية عادة تلك المقاتلة المسماة بالدویل بهذه الحادثة

١٣

مطلب خروج عساكر الایمیراطور من مدينة رومة

١٤

مطلب حصار فرنسا ویه لمدينة نابلی

١٥

مطلب الحوادث التى طالت بهامدة المحاصرة

مطلب قيام الامیراندره دوریه على فرنسا ویه ودخوله فى حرب

١٦

الایمیراطور

١٨

مطلب الضنك الذى حصل للفرنسا ویه أمام نابلی

١٨

مطلب رفع الحصار

١٩

مطلب رجوع جنويزة الى حریتها

مطلب سلوك الایمیردوریه الذى يدل على أنه كان خلیعاً عن الاغراض

٢٠

شریف النفس

٢١

مطلب الحرب فى دوقية میلان

مطلب

مخطوطة

- ٢١ مطلب المداولات التي حصلت بين ملك فرنسا والايمبراطور
مطلب انعقاد مشاركة خصوصية بين البابا والايمبراطور في ٢٠ من
شهر حزيران ٢٣
مطلب الصلح المنعقد بمدينة كبريه بين الايمبراطور والملك فرنسيس
في شهر آب ٢٤
مطلب كون هذه المشاركة فيها شرف ونخار للايمبراطور ٢٤
مطلب كون هذه المشاركة مزرية بعرض الملك فرنسيس ٢٦
مطلب امتثال الملك هنري ورضائه بالمشاركة ٢٦
مطلب نزول الايمبراطور في ايطاليا ١٢ من شهر اب ٢٨
مطلب ملاطفة الايمبراطور واسبابها ٢٩
مطلب تنصيب عائلة ميديسيس ثانيا في فلورنسة ٣١
مطلب حالة المصالح المدينة والدينية في بلاد ألمانيا ٣١
مطلب مشورة الديانة المنعقدة بمدينة سبيدة في ١٥ من شهر اذار
سنة ١٥٢٩ ٣٣
مطلب مناقضة اتباع لوتير لهذا الامر في ١٩ من شهر نيسان ٣٤
مطلب المداكرة التي حصلت بين الايمبراطور والبابا ٣٥
مطلب حضور الايمبراطور في مشورة الديانة المنعقدة بمدينة
اوكسبورغ في ٢٢ من شهر اذار سنة ١٥٣٠ ٣٥
مطلب عقائد اوكسبورغ ٣٦
مطلب القرمات الصعب الصادر في حق المعتزلة ٣٧
مطلب عصبة المعتزلة المنعقدة بمدينة سمالكالد ٣٨
مطلب عرض الايمبراطور أن يجعل اخاه ملكا على الرومانيين ٣٨
مطلب معارضة المعتزلة في جعله ملكا على الرومانيين ٣٩
مطلب انتخاب فرديناند وتوليتة ٤٠

مطلبه

- ٤٠ مطلب مداولات المعتزلة مع مملكة فرانسا
 ٤١ مطلب مداولة المعتزلة مع ملك انكلترة
 ٤١ مطلب مداهنة شركان للمعتزلة
 مطلب الشروط المتعقدة بين الايمبراطور والامراء المعتزلة في ٢٣
 ٤٢ من شهر تموز
 ٤٣ مطلب الجهاد في بلاد البحار
 ٤٤ مطلب مقابلة الايمبراطور البابا عند رجوعه الى بلاد اسبانيا
 ٤٥ مطلب ما حصل من المداولات في شأن انعقاد مشورة قيسية عامة
 مطلب في كون الايمبراطور كان له غرض اخر يستدعي المذاكرة وهو شقاء
 ٤٦ الامن والاطمئنان في بلاد ايطاليا
 ٤٧ مطالب ما كان يقصده ملك فرانسا في شأن الايمبراطور
 ٤٨ مطلب مداولة ملك فرانسا مع البابا لاضرار الايمبراطور
 ٤٩ مطلب مقابلة البابا مع الملك فرنسيس
 ٤٩ مطلب ما سلكه البابا في شأن تطلق ملك انكلترة لزوجته
 ٥١ مطلب ابطال حكم البابا من مملكة انكلترة
 ٥١ مطلب موت البابا كليمان السابع
 ٥٢ مطلب انتخاب البابا پولس الثالث
 ٥٢ مطلب عضيان طائفة الانابايتيست في بلاد ألمانيا
 ٥٣ مطلب منشأ هذه الطائفة وبيان آرائها وعقائدها
 ٥٤ مطلب استيطانهم في مدينة مونستر
 ٥٥ مطلب استيلائهم عليها
 ٥٥ مطلب حكومتهم الجديدة التي احدثوها بتلك المدينة
 ٥٦ مطلب اغارة اسقف مونستر عليهم
 ٥٧ مطلب ازدياد شوكة حنادوليد بين طائفة الانابايتيست

- ٥٧ مطلب توليته ملكا بطريق الانتخاب
- ٥٨ مطلب فساد سلوكه
- ٥٩ مطلب العصبة التي تعصبت على طائفة الانابايتست
- ٥٩ مطلب حصار مدينة مونستير
- ٦٠ مطلب قحط المحصورين وجيتهم
- ٦٠ مطلب اخذ المدينة في اول يوم من شهر تموز
- ٦١ مطلب عقاب الملك واتباعه
- ٦١ مطلب حال مذهب الانابايتست بعد ذلك
- ٦٢ مطلب اعمال عصبة شمال كالديان شوكتها
- مطلب تعيين يولص الثالث مدينة مانتوه لعقد الجمعية القيسية العامة
- ٦٣
- ٦٤ مطلب اغارة الایمراطور على بلاد افریقة وحالة تلك البلاد
- ٦٥ مطلب منشا دول بلاد البربر
- مطلب مشروع هوروق واخيه خير الدين الملقب كل منهما بذي اللحية الشقراء
- ٦٥
- ٦٦ مطلب تغلب هوروق بربروس على بلاد الجزائر
- ٦٧ مطلب تقدم خير الدين ونجاحه
- ٦٨ مطلب شروعه في فتح بلاد تونس
- ٦٩ مطلب نجاح بربروس
- ٦٩ مطلب ازدياد شوكته
- مطلب استعانة المولى حسن بعد طرده من مملكته
- ٧٠ بالایمراطور شرلکان
- ٧٠ مطلب تجهيزات الایمراطور لهذه الغزوة
- ٧١ مطلب نزول الایمراطور في افریقة

صيفه

- ٧١ مطلب حصار قلعة غوليطه
 ٧٢ مطلب اخذ القلعة عنوة في ٢٥ من شهر غوز
 ٧٣ مطلب هزم الايمبراطور جيش بربروس
 ٧٤ مطلب تسليم مدينة تونس
 ٧٥ مطلب تولية الايمبراطور للمولى حسن على كرمى مملكته
 ٧٦ مطلب القنصر الذى حازه الايمبراطور بسبب هذا الحرب
 ٧٦ المقالة السادسة من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الايمبراطور شرلكان
 ٧٦ مطلب اسباب حرب جديد وقع بين الايمبراطور والملك فرنسيس
 ٧٨ مطلب عدم وجود نصير لفرنسيس
 ٧٨ مطلب مداوته مع معتزلة ألمانيا
 ٧٩ مطلب سلوكه فيما يغضب امراء ألمانيا
 ٨٠ مطلب امتناع ارباب عصبة بحالكا لدعن الانضمام الى حزبه
 ٨١ مطلب توجه جيش فرنساوية الى ايطاليا
 ٨٢ مطلب تغلب فرنسيس على دول الامير دوق ساووة
 ٨٣ مطلب عود مدينة جنويرة الى حريتها
 ٨٥ مطلب موت الامير سفورس دوق ميلان
 ٨٦ مطلب دعوى الملك فرنسيس فى شأن دوقية ميلان
 ٨٧ مطلب تأهب الايمبراطور للحرب
 ٨٨ مطلب انتقاده على فرنسيس
 ٨٩ مطلب دعاء الايمبراطور الملك فرنسيس الى مقاتله خصوصية
 ٩٠ مطلب اسباب تفاخره وتظاهره بدم نفسه
 ٩١ مطلب دخوله فى مملكة فرانس
 ٩٣ مطلب تغلب الايمبراطور على جزء من دول دوق ساووة
 ٩٤ مطلب صورة ما بدره الملك فرنسيس للمدافعة عن مملكته

مطلب

صحيحة

- ٩٤ مطلب تفويضه اجراء هذا الامر الى المارشال مونتهورانسى
- ٩٤ مطلب وضع معسكره بقرب مدينة اوينون
- ٩٥ مطلب دخول الايمراطور فى اقليم پروونس
- ٩٦ مطلب محاصرة مدينة مرسيليا
- ٩٦ مطلب ثبات مونتهورانسى فى تفخيخ مادبره للمدافعة عن مملكة فرانسا
- ٩٨ مطلب التجاء جيش الايمراطور وما آل اليه من الحالة السيئة
- ٩٩ مطلب الحرب فى اقليم بيكارديا
- ١٠٠ مطلب موت الدوقين اى ولى العهد
- ١٠٠ مطلب نسبة موته الى السم
- ١٠١ مطلب القرمات الصادر من ديوان برلمان باريس فى شان الايمراطور
- ١٠٢ مطلب اقتتاح الحرب فى مملكة البلاد الواطية فى شهر اذار
- ١٠٣ مطلب المهادنة المتعقده فى مملكة البلاد الواطية
- ١٠٣ مطلب المهادنة المتعقده فى اقليم بيمون
- ١٠٤ مطلب اسباب هذه المهادنة
- مطلب كون السبب الاقوى هو معاهدة الملك فرنسيس مع سلطان الدولة العثمانية
- ١٠٤
- ١٠٦ مطلب المذاكرة فى شأن الصلح بين الايمراطور والملك فرنسيس
- ١٠٦ مطلب توسط البابا بنفسه فى الصلح
- مطلب مقابله الايمراطور شرلكان مع الملك فرنسيس فى مدينة
- ١٠٨ اغنومورت
- ١٠٩ مطلب قتل اسكندر دوميديس
- ١١٠ مطلب قوية كوم دوميديس على دولة فلورنسة
- ١١١ مطلب تصدى لمنفيين من فلورنسة لمنع توليته
- ١١٢ مطلب تناقص المحبة التى كانت بين الملك فرنسيس والملك هنرى الثامن

مختصه

- ١١٤ مطلب تقدم التسخ (اي اتساع دائرة الدين الجديد)
- مطلب المداومات والدسائس التي حصلت لاجل عقد مشورة قسبية
- ١١٤ مطلب ازالة البابا للعتة مقاسد من ديوان رومة
- ١١٦ مطلب العصبة التي تربت لمعادلة عصبة المعتزلة
- ١١٧ مطلب خوف المعتزلة وفزعهم
- ١١٧ مطلب ادخال دين المعتزلة في بلاد سكس
- ١١٩ مطلب قيام العساكر الايمراطورية وخروجهم عن الطاعة
- ١١٩ مطلب انعقاد مشورة وكلاء مملكة قسطنطين في مدينة طليطلة
- ١٢٠ مطلب تشكى ارباب المشورة وتطلبهم
- ١٢٠ مطلب ابطال الرسوم القديمة التي كانت تجعل المشورة القرطس
- ١٢١ مطلب بيان كون اعيان اسبانيا كان لهم مع ذلك مزايا كبيرة
- ١٢٢ مطلب عصيان مدينة غندة
- ١٢٢ مطلب دعوى اهل غندة
- مطلب عصيان اهل غندة وعرضهم على مملكة فرانسأ أن تدخل مدينتهم تحت حكمها
- ١٢٣ مطلب امتناع الملك فرنسيس عن قبول عرضهم
- ١٢٥ مطلب اعلامه للايمراطور بمقاصدهم
- ١٢٦ مطلب مذاكرة الايمراطور في شأن سفره الى مملكة البلاد الواطية
- ١٢٦ مطلب عرضه المرور بمملكة فرانسأ
- ١٢٧ مطلب رضاء الملك فرنسيس
- ١٢٧ مطلب دخول شركان في مملكة فرانسأ
- ١٢٨ مطلب قتل الايمراطور
- ١٢٩ مطلب كذب الايمراطور

مطلب

مضمونه

١٢٩

مطلب فتح اهل غندة

١٢٩

مطلب عقاب الالهائى فى ٢٠ من شهر نيسان

١٣٠

مطلب امتناع شر لكان عن التوفية بوعده فى شأن دوقية ميلان

١٣١

مطلب امر البابا بانشاء الطائفة اليسوعية

مطلب حجة لواءة الذى اسس هذه الطائفة وافراط غيرته

١٣٢

على الدين

١٣٢

مطلب الاسباب التى دعت البابا الى اقرار انشاء تلك الطائفة

١٣٣

مطلب كون قوانينها واحكامها جديرة بالالتفات اليها

١٣٣

مطلب بيان الغرض من الطائفة اليسوعية المختص بها

١٣٤

مطلب مغايرة اصولها لغيرها لاسيافيا يخص شوكة الرئيس

مطلب الاسباب التى كانت تعين لواءة حق الاعانة على اجراء ذلك

١٣٥

التصرف المطلق

١٣٧

مطلب ازدياد ثروة الطائفة اليسوعية

١٣٧

مطلب النتائج الشنيعة التى ترتبت على هذه الطائفة للجنس البشرى

١٣٩

مطلب القوانين الجلييلة التى ترتبت على حدوث هذه الطائفة

١٣٩

مطلب نفع اليسوعية خصوصاً فى اقليم براغة

١٤٠

مطلب ما ربه السياسية المبنية على الطبع

مطلب الاسباب التى دعت المؤلف الى بسط الكلام على حكومة

١٤١

الطائفة اليسوعية وعلى تقدمها

١٤٣

مطلب مصالح ألمانيا

مطلب المذاكرة التى حصلت بين علماء اللاهوت التعاونية

١٤٣

وعلماء المعتزلة

١٤٥

مطلب عدم نفع تلك المذاكرة

مطلب اتفاق مشورة الديانة المنعقدة بمدينة رانسبونة على عقد

صحيحة

- ١٤٦ جمعية قيسية عامة
- ١٤٦ • مطلب غضب المعتزلة والقائلية مما حكمت به مشورة الديينة
- مطلب سعى الامبراطور شرلكان فى استمالة قلوب المعتزلة ورضاء
- ١٤٦ خاطرهم
- ١٤٧ مطلب مصالح بلاد المجار
- ١٤٨ مطلب موت ملك المجار
- ١٤٨ مطلب سعى فرديناند فى اخذ تاج مملكة المجار
- ١٤٩ مطلب بيان طبع جورجى مارتينوزى وصولته
- ١٤٩ مطلب استعانةه بالاسلام
- ١٤٩ مطلب ما فعله السلطان سليمان مما لا يليق بالملوك
- ١٥٠ مطلب ما عرضه فرديناند على السلطان
- ١٥١ مطلب سفر الامبراطور الى ايطاليا
- ١٥١ مطلب اغارته على بلاد الجزائر والاسباب التى دعتة الى ذلك
- ١٥٣ مطلب تجهيزاته
- ١٥٤ مطلب خروج الامبراطور على سواحل افريقية
- ١٥٤ مطلب دمار جيشه
- ١٥٥ مطلب دمار الدونغا
- ١٥٦ مطلب اضطراب شرلكان الى الارتحال
- ١٥٧ مطلب كرم نفس الامبراطور وعزمه
- ١٥٧ مطلب رجوعه الى اوروبا
- ١٥٨ المقالة السابعة من اتحاد ملوك الزمان بتامخ الامبراطور شرلكان
- ١٥٨ مطلب تجديد الملك فرنسيس للحرب
- ١٥٩ مطلب كون قتل رسل فرنسيس هو السبب فى الحرب
- ١٦٢ مطلب مهارة فرنسيس فى تجهيزاته للحرب

مطالب

صحيفة

- ١٦٢ مطلب تجهيزه خمسة جيوش
- ١٦٣ حرب الجيوش المتقدمة
- ١٦٤ تجهيزات لحرب جديد
- ١٦٦ مطلب مداولة الاميراطور مع هنرى الثامن ملك انكلترة
- ١٦٦ مطلب خصام هنرى مع مملكة فرانسوا ومملكة ايقوسيا
- مطلب المعاهدة المنعقدة بين الاميراطور شرلكان وهنرى ملك انكلترة
- ١٦٧
- ١٦٨ مطلب مداولة الملك فرنسيس مع السلطان سليمان
- ١٦٩ مطلب بدء الحرب في مملكة البلاد الواطية
- ١٦٩ مطلب تغلب الاميراطور على دوقية كليوس
- ١٧٠ مطلب محاصرة لندريسي
- ١٧١ مطلب دخول السلطان سليمان في مملكة الجمار
- ١٧١ مطلب نزول بربروس على بلاد ايطاليا
- ١٧٢ مطلب تجهيزات حرب جديد
- ١٧٢ مطلب مصالح ألمانيا
- ١٧٣ مطلب حكم الامير موريس دوق سكس بعدموت ابيه
- ١٧٣ مطلب مقاصد هذا الامير وسلكه
- مطلب عرض البابا والتماسه عقد مشورة قسيسية عامة
- ١٧٤ في مدينة ترنتة
- مطلب طلب البابا انعقاد مشورة قسيسية وصدور فرمان منه
- ١٧٥ في هذا الشأن
- ١٧٥ مطلب اضطراب البابا الى تأخير المشورة
- ١٧٥ مطلب اجتهاد الاميراطور في استمالة حزب المعتزلة
- ١٧٦ مطلب سادثة صعبة حصلت من عصبة شمال كالد

مطبوعة

- ١٧٦ مطلب انعقاد الديتة بمدينة صغيرة سنة ١٥٤٤
- ١٧٧ مطلب طلب الايمراطور الاعانة على ملك فرانسا
- ١٧٨ مطلب اعطاء الايمراطور من ايا عظيمة للمعتزلة لبستيلهم اليه
- ١٧٩ مطلب الامداد الذي امتدت الايمراطور به مشورة الديتة
- ١٧٩ مطلب مداولة شركان مع كل من ملك دانيمرقة وملك انكلترة
- ١٨٠ مطلب اقتتاح القرناوية في الحرب باقليم يعون
- ١٨١ مطلب توجه عساكر الايمراطور الى هذه المدينة لاعانتها
- ١٨١ مطلب واقعة مدينة سيريزوله
- ١٨٣ مطلب نتيجة هذه النصر
- ١٨٣ مطلب اقتتاح الحرب في مملكة البلاد الواطية
- ١٨٤ مطلب محاصرة الايمراطور لمدينة سنديزير
- ١٨٤ مطلب حصار هنري الثامن لمدينة يولونيا
- ١٨٥ مطلب ما وقع من مدينة سنديزير من المدافعة العظيمة
- ١٨٦ مطلب دخول الايمراطور في وسط فرانسا
- ١٨٨ مطلب اضطرار الايمراطور الى الرجوع
- ١٨٨ مطلب الصلح المنعقد في مدينة كريسي
- ١٨٩ مطلب الاسباب التي دعت الايمراطور الى عقد الصلح
- ١٩١ مطلب استمراة الحرب بين انكلترة ومملكة فرانسا
- ١٩٢ مطلب غم الدوفين من المشاركة المنعقدة في كريسي
- ١٩٣ مطلب مقاصد الايمراطور في شأن بلاد ألمانيا
- ١٩٣ مطلب طلب البابا انعقاد مشورة قيسية عامة بمدينة ترنتة
- ١٩٤ مطلب انعقاد مشورة الديتة بمدينة ورمس في ٢٤ من شهر اذار
- مطلب الحاح فرديناند على اهل ألمانيا باقرار المشورة القيسية
- ١٩٥ والرضاء باحكامها

مطلب

صفحة	م
١٩٦	مطلب حضور الاميراطور في مدينة ورمس
١٩٦	مطلب سلوك موريس امير سكس في مشورة الديتة
١٩٧	مطلب ارياب المعتزلة من الاميراطور
١٩٨	مطلب موت الدوق دورليان ابن ملك فرانسا
١٩٩	مطلب اعطاء البابا دوقية برمة ودوقية پليرنسة لابنه
٢٠٠	مطلب انضمام هنرى امير برونسويك نيران الحرب في بلاد ألمانيا
	مطلب نشر دين المعتزلة في اقليم بلاطينة المسي عند اهل السجا
٢٠١	يقالذ
٢٠١	مطلب انعقاد المشورة القسيسية بمدينة ترنة
٢٠٣	مطلب اعمال المشورة القسيسية
٢٠٣	مطلب خوف المعتزلة
٢٠٤	مطلب مذكرة المعتزلة
٢٠٦	مطلب مداولات المعتزلة مع الاميراطور
٢٠٦	المقالة الثامنة من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الاميراطور شرلكان
٢٠٦	مطلب موت لوتير
٢٠٧	مطلب طبع لوتير
٢١٠	مطلب سعي الاميراطور في مخادعة المعتزلة
٢١١	مطلب ما حكمت به الجمعية القسيسية في شأن المعتزلة
٢١٢	مطلب بدء الاميراطور في اظهار عداوته للمعتزلة
٢١٢	مطلب مداولات الاميراطور مع البابا
٢١٢	مطلب المهادنة المنعقدة بين الاميراطور والسلطان سليمان
	مطلب استمالة الاميراطور للامير موريس وغيره من اعيان امراء
٢١٣	ألمانيا
٢١٤	مطلب انعقاد مشورة الديتة بمدينة راتسبوتة

مصحفه

- ٢١٥ مطلب فرع المعتزلة
- ٢١٦ مطلب المشاركة المنعقدة بين الايمبراطور والبابا
- مطلب الحيل والمخادعات التي سلكها الايمبراطور نانيا ليخفي مقاصده
- ٢١٧ عن المعتزلة
- ٢١٨ مطلب كشف البابا لاسرار الايمبراطور
- ٢١٩ مطلب تجهيزات المعتزلة للمدافعة عن انفسهم
- ٢٢٠ مطلب استعانة المعتزلة باهل البنادقة
- ٢٢٠ مطلب استعانة المعتزلة باهل السويصة
- ٢٢١ مطلب استعانة المعتزلة بالملك فرنسيس الاول والملك هنري الثامن
- ٢٢٢ مطلب تجهيز المعتزلة لجيش كبير برزوا به الى ميدان الحرب
- مطلب كون الايمبراطور لم يكن عنده من العساكر من يكفي في مقاومة
- ٢٢٣ المعتزلة
- ٢٢٤ مطلب اشتغال المعتزلة بالمداولة عوضا عن الحرب
- ٢٢٤ مطلب حكم الايمبراطور بالنفي على رئيسي عصابة المعتزلة
- ٢٢٦ مطلب مبدأ حرب المعتزلة
- ٢٢٧ مطلب عدم ادارة الرؤساء
- ٢٢٧ مطلب وصول عساكر البابا الى الايمبراطور
- ٢٢٩ مطلب تقدم المعتزلة جهة جيش الايمبراطور
- ٢٣٠ مطلب امتناع الايمبراطور عن القتال
- ٢٣١ مطلب وصول العساكر الفلنكية الى الايمبراطور
- ٢٣١ مطلب حالة الجيشين
- ٢٣٢ مطلب ما رآه موريس دوسكس
- ٢٣٤ مطلب مخادعته ومحاولته في اخفاء مقاصده
- ٢٣٦ مطلب تغلب موريس على دول منتخب سكس

صيفه

- ٢٣٧ مطلب عرض المعترلة الصلح على الاميراطور
- ٢٣٧ مطلب امتناع شرل كان عن الصلح
- ٢٣٨ مطلب شتات عساكر المعترلة
- ٢٣٨ مطلب دخول اغلب ارباب عصبة المعترلة تحت طاعة الاميراطور
- ٢٤٠ مطلب الزام الاميراطور للمعترلة بشروط صعبة
- ٢٤١ مطلب رجوع الامير منتخب سكس الى بلاده واستيلائه عليها
- ٢٤١ مطلب عجز الاميراطور عن الهجوم عن منتخب سكس وحاكم هيسة
- ٢٤٢ مطلب اخذ السبايا الجنوده
- ٢٤٣ مطلب الستة الحاصلة في جنويزة لقصد تغيير حكومتها
- ٢٤٣ مطلب قصد العاصين وغرضهم
- ٢٤٤ مطلب كون الامير فيسك قوتة لوانة هوريس العصبة
- ٢٤٥ مطلب دسائس العصبة وتجهيزاتها
- ٢٤٧ مطلب اجتماعهم لاجل تغيير مقصدهم
- ٢٤٨ مطلب خطاب الامير فيسك الى احرارهم
- ٢٤٩ مطلب مخاطبة فيسك لزوجته
- ٢٥٠ مطلب هجوم المتحزين على المدينة
- ٢٥٢ مطلب نشر الامن والاطمئنان في مدينة جنويزة
- ٢٥٣ مطلب فزع الاميراطور من هذه العصبة
- ٢٥٤ مطلب ابقاء حربه في ألمانيا الى وقت آخر

بيان ما وقع في الجزء الثاني من كتاب انصاف ملوك الزمان بتاريخ الاميراطور
شرلكان من الخطا والصواب

خطا	صواب	صحيفة	سطر
حضر الى	حضر الى	١١	١٠
بقامهما	بقامها	٢٨	٢٤
لتثبت	لتبت	٢٨	١
يماطه	يماطه	٥٠	٤
ذوى القنار	ذرى القنار	٦٦	٥
والشقاق	والشقاق	٦٦	٢١
وكلاهما	وكلاهما	١٠٦	١٢
أن لا يعطوه	أن يعطوه	١٢٠	١
منها	منها	١٢٠	٢١
وسار معا	وسار معا	١٢٨	١١
السلطان	السلطان	١٥٨	٢٥
حظر	حط	١٧٥	١١
افتحت	افتحت	١٩٤	٩
واللشدید	والتشديد	٢٠٢	١٨
السطر الاول من صحيفة ٢١٣	مكزروع السطر الاخير من صحيفة ٢١٢		
المذاكرت	المذاكرات	٢٢٧	٦

الجزء الثاني من التحاف
ملوك الزمان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقالة الخامسة

من تحاف ملوك الزمان تاريخ الإمبراطور شرلكان
ولما رأى اهل أوروبا ما كان يقاسيه البابا انذاك من سبي المعاملة امتلأت
قلوبهم فزعموا ورجعوا ونجّوا كل العجب من الإمبراطور شرلكان حيث
تجاسر على فعل ذلك في حق سيد أبناء النصرانية وخليفة الصنوة المسيحية
وقبض عليه واحذمه اسيرا وضيّق عليه في الأسر مع انه بموجب عهده من أبناء
النصرانية بل وبموجب منصبه ومقامه كان ينبغي له أن يدافع عن الكنيسة
ويذب عنها من أراد هتك حرمانها فظهر لجميع الأفرنج ان هذه الأفعال من قبيل
الكفر والالحاد فلا بد من الانتقام من فاعلها وانه يجب على جميع أبناء النصرانية
أن يتعاضدوا ويتعاهدوا لينتقموا من الإمبراطور لاسيما وكان كل من هنرى
ملك أنكلترا والملك فرنسيس قد لحقه الفرع من نجاح الإمبراطور
في بلاد إيطاليا فتعاهدوا معاً وحصل بينهما التّمام اكيد قبل اخذ مدينة
رومة وعزموا على ردع الإمبراطور ووقع فيه الطماعة فانقضت على شن الغارة
بملكه البلاد الواطية ليشاغلام ويلهباه عن النظر لبلاد إيطاليا وانضم

مطلب
غضب اهل أوروبا كافة
على الإمبراطور
١١ من شهر تموز

سنة ١٥٢٧

الى تلك الاسباب سبب آخر وهو انهما قصدا انقاذ البابا من يد الإمبراطور
وهو مقصد سياسي فيه اعانه لهما على نيل مراسمهما زيادة على كونه يكسبهما
الشرف والفخار بالنسبة للديانة ولا يمكن رأيا انه لا يمكنهما تنجيز هذا الغرض
الا اذا قلعا لطر عن الاغارة على البلاد الواطية ووجهما جيوشهما الى بلاد
ايطاليا حيث ظهر لهما انه لا يمكنهما انقاذ رومة ولذلك البابا كايان
من ربيعة الاسر الامع بذل كل الجهد وسرف جميع الهمة وكان الملك فرنسيس
انفذ القدا احد يد رلان شدة تدقيقه في المقاصد السياسية التي عزم عليها في شأن
بلاد ايطاليا قد اخضعت به الى كل ورطة وخطب كما ان كثرة اهما له ونسأله
قدادت الى أن تقوى عليه خصمه الإمبراطور شرلكان بامور كان يسهل
على الملك فرنسيس أن يكون عدله فيها فضاء على ذلك اراد فرنسيس
أن يذل وسعه حتى يحو عن نفسه مرة تخطا التي لحقت به بسبب تلك الفعالة
هذا وكان الملك هنري يرى انه يلزمه معاهدته وانضمامه الى ملك فرنسا
لينع الإمبراطور عن أن يصير يده ملك بلاد ايطاليا ويتصرف فيها كيف
يشاء لانه تملك على هذه البلاد تقوى شوكته وتعظم صوته ولا يجد في ملوك
الافرنج معارضا ولا منافضا لا واهره فيلزمهم بما شاء لاسيما وكان الملك
فرنسيس قد استمال اليه قلب الوردري ولسي يعطيا جليله وهذا ما جري له
نصار هدا الوزير يجرئ سبيده الملك هنري بكل ما يقرضه من
الإمبراطور ويوجب البغضاء والشقاق بينهما وزيادة على ذلك كان ثم سبب آخر
قوى حسن ذلك للملك هنري وهذا السبب كان يخصه وذلك انه في اثناء ذلك
الزمن كان يريد أن يطلق زوجته كاترينة اميرة اراغون غير انه لما كان
الطلاق غير مشروع في دين النصرانية رأى الملك انه في هذا الغرض لا بد له
من حكم البابا الذي هو امام هذا الدين فاراد أن يصنع معه جيلا ويعينه على
الخروج من الاسر ليعاذه في الغرض المذكور وهو طلاق زوجته

ولما كان كل من الملك هنري وملك فرنسا له اسباب تدعوه الى معارضة
الإمبراطور والمداخلة عن البابا لم تطل مدة المذاكرة بينهما في هذا الشأن فتقوض

مطلب
العصبة المتعددة على
الإمبراطور

سنة ١٥٢٧

الملك هنري لويزيه ولسيت هذا الامر مع الملك فرنسيس واما الملك فرنسيس
 فلم يוכל عن نفسه احد في هذا الغرض بل تذكر فيه بنفسه مع الوزير ولسي
 بمدينة اميان ولما وصل الوزير ولسي الى هذه المدينة تلقى فيها مع غاية
 الترحيب والاكرام وقوبل بالتبجيل والاحترام وعومل معاملة الملوك وانحط
 الرأي بينهما على امور اولها زواج الدوق دورليان ابن الملك فرنسيس
 بالاميرة مارية بنت الملك هنري ووقع الاتفاق بينهما على ان ايطاليا
 تكون ميدان الحرب وتعين مقدار العساكر ونوعها ومقدار المبالغ التي
 يعطيا كل من الملكين واتفقا على أن تعرض على الاميراطور الشروط اللازمة
 فان بادر بقبولها والادعى الى الحرب بدون مهلة ولا تراخ وكان من طبع الملك
 هنري التجيل بقبولها بشرع فيه او يصزم عليه فبادر بالدخول في هذه
 المعاهدة الجديدة حتى اتمت ايده قوله وتأكيده سازل عما كان يدعيه ملوك
 انكلترا قبله في شان تاج مملكة فرنسا ليكون ذلك برهانا جليعا على محبته
 وصداقته للملك فرنسيس وانما جعل له في نظير ذلك خمسين الف ايكوت دفع
 كل سنة ولعقبه

١٨ من شهر اب

مطلب

صيرورة اهل فلورنسة
 حزينين مستغنين بانفسهم

ومع ذلك كان البابا يرسل اسيرا مسجوناً تحت يد الامير الرسون في غاية الضنك
 والضيق بسبب تشديد هذا الامر عليه وانما كان باقيا اسيرا الى ذاك الوقت لانه
 كان لا يمكنه أن يوفى بالشروط التي انحط عليها الرأي في المشاركة وكان اهل
 فلورنسة يمجرون وقفوا على خبر انهم زام البابا واخذ مدينة رومة عصوا
 وطردوا الكريشال كورون من بلادهم وكان يحكم المدينة بالنياابة
 عن البابا وكسروا شانات افتخار العائلة المديسيية (عائلة منها البابا
 كليمان) وكسروا التمثال المرسوم عليه شخص البابا ليون وكذلك تمثال
 البابا كليمان وظهروا الحزبة والاستقلال واعادوا الى مملكتهم الحكومة
 الاهلية التي كانت فيما ساقا وارادوا ايضا اهل البنادقة أن يكون لهم حظ من
 سلب البابا فاخذوا قلعة راوية وبعض قلاع اخرى من القلاع القسيسية
 متعلين بانهم يريدون حفظها تحت ايديهم على سبيل الوردية وظن دوق اوربان

ودوق قرارة انه لارجوع ملك البايا بعد هذه المصائب والاهوال فاختد
كل منهم اجراماً من دوله واستول عليه
واراد الامير لا نواى كذلك أن يستفيد فائدة عظيمة من هذه الواقعة التي
انجح سيده الامير الماورشركان وقهره فيها فزاد شوكته ووصلته بين ممالك
الافرنج ولهذا القصد توجه الى رومة مع الامير مونكاد والمقتزم
دوغواست وصحبة العساكر لتي اكلهم جمعها من مملكة نابلي وكان وصول
هذه العساكر الى رومة ازدياداً في مصائب سكانها وذلك ان هؤلاء العساكر
لما دخلوا تلك المدينة ورأوا ان العساكر الذين كانوا فيها من قبلهم قد غنوا
مغنياً كبيراً قامت بهم الغيرة فتعلو مع السكان امورا فاحشة من الظلم
والتهب وسلبوا منهم ما كان قد بقي من نهب العساكر الاسبانية
والالمانية

وكان لا يوجد اذ ذلك في بلاد ايطاليا جيش يمكنه مقاومة عساكر
الامير الماورشركان حيث لو اراد هؤلاء العساكر التغلب على مدينة بولونيا وغيرها
من المدن التي لم تكن بأيديهم من بلاد البايا لكنهم في اخذها الحضور حول
اسوارها ولم يلزم لهم حرب ولا شرب الا انهم في عهد الدوق دي بوربون كانوا
قد تعودوا على عدم الطاعة والاقبياد لضبط العسكرية وبطلها وكانوا مدة
اقامتهم في رومة قد اشربت اللذات في قلوبهم ولم يجدوا لهم رئيساً يمنعهم
عن الامور التي كانوا يرتكبونها فصاروا اعداء للضبط والربط والخدم
العسكرية ولما دعوا الى ترنر رومة والتوجه الى المدن الاخرى لتصد
اخذها والتغلب عليها ابوالنورج منها من غير أن تدفع لهم ما هيأهم المتأخرة
لهم وكانوا يعلمون ان ذلك متعسر واطهروا ايضا انهم قد انتخبوا امير دوريج
واقامه وسر عسكر على جيوشهم وانهم لا يطيعون غيره امر الا حين رأى الامير
لا نواى انه لا يأمن على نفسه ما دام مع هؤلاء العساكر العاصين الذين كانوا
يكرهونه ويحتقرون منصبه عاد الى مملكة نابلي وبعد ذلك بمدة قليلة تبعه
الامير مونكاد والمقتزم دوغواست لهذا السبب وحيث ان الامير

مطلب

عدم نشاط عسا

الامير الماور

سنة ١٥٢٧

دورته لم يثبت له منصب السر عسكري على الجيش الا باختيار العساكر
الذين طفقوا وبسبب نجاحهم وعدم ضبطهم وربطهم كان يرأى خاطرهم
ويخشى بأسهم أكثر من مراعاتهم لاوامره وبناء على ذلك لم يتر الامير اطور
بائدة من القوائد التي كان يؤملها بسبب تغلبه على رومة بل لحقه غم شديد
حيث رأى ان هذا الجيش العظيم الذي لم يتيسر له جمع مثله قبل ذلك قد تراكت
عليه اسباب الكسل وعدم النشاط وقتور الهمة حتى لم يمكن حث رجاله
وتشجيع قلوبهم بوجه من الوجوه

مطلبه

دخول جيش فرنسا
إلى إيطاليا

وبهذه الاسباب اتسع الوقت مع ملك فرنسا ومع البنادقين حتى اجمعوا
امرهم وتعاهدوا واتفقوا على انقاذ البابا والذب عن حقوق مملكة إيطاليا
وانضمت اليهم جمهورية فلورنسة لعدم حزمها وكان اهل إيطاليا يعترفون
للامير لوزيك بالتفضل والمعارف وينصفون في الحكم عليه أكثر من انصاف
فرنسيس له فاختره سر عسكر على جيوش العصابة لكنه لم يقبل هذا المنصب
الا بعد التوقف الكلي والاشتباز خوف من أن يصير في ابعد عرضة للوم او يقع
في الحيرة والجزب بسبب اهمال الملك فرنسيس او خبت طوية اخصانه
المقربين له كما حصل له قبل ذلك * ثم انه بعد توليته سار الى بلاد إيطاليا
ومعه اعظم عساكر مملكة فرنسا واحسنها وامام ملك فرنسا فانه
قبل أن يدعوا الامير اطور الى الحرب دفع مبلغا جسيما لاستعانة به على
مصاريف تلك الغزوة وسلك السر عسكر لوزيك في ميد الامر مسلك الحزم
والثبات وحصل له الظفر والنجاح وذلك انه باعانة الامير اندره دورية الذي
كان فريذا في العصر في البحرية تغلب على جمهورية جنوية واعاد فيها
حزبا قاعا له حزب القريفس وثبت فيها حكم فرنسا وية وحاصر مدينة
الاسكندرية البطليانية وادخلها تحت الطاعة بعد ايام قلائل وادخل
تحت الطاعة ايضا جميع البلاد التي أمام نهر تيزان واخذ عنوة مدينة باوية
التي كانت في الواقعة السابقة قد مكنت زمنا طويلا وهي تقاوم جيوش
فرنسيس ولما تغلب عليها دخلها العساكر الفرنسية ونهبوها مع قسوة

سنة ١٥٢٧

ازدادت بما كان راسخا في اذهانهم من الاخطار والاهوال والمشاق التي
 كابدوها حين ائتمزهم في الواقعة الاولى تحت اسوار هذه المدينة ولو توجه
 لوريك الى مدينة ميلان وحاصرها سلمت اليه قيادها لان الامير آتوان
 دوليوه الذي كان يحفظها لم يكن معه من العساكر المحافظين الا عدد قليل وكان
 لا يمكنه تحصيل الذخائر اللازمة لهم ولا يمكنه اسماهم وحجزهم عن العصيان
 الا بجزءه وسياسته وحسن تدبيره لكن لم يتجاسر لوريك على هذا الامر
 الذي لو شرع فيه وعمه لعاد عليه بالشرف والفخر وعاد على العصبية بالسفاح
 الجسمية والقوائد العظيمة وسبب عدم عزمه على ذلك هو ان الملك فرنسيس
 ان يعلم ان المتعاهدين معه يفارون منه اذا اخذ بعض اراض من بلاد
 إيطاليا وان مقصدهم من المعاهدة معه هو اضعاف شوكة لايمبراطور خشي
 انه ان سعى واعاد الامير سفورس الى حكم دوقية ميلان تفكرهمة
 المتعاهدين معه ولا يعينونه حق الاعانة في الاغارة على مملكة نابلي فلاجل
 ذلك صدر منه امر الى الامير لوريك أن لا يـ^ـثمن من التتوح في بلاد
 لوسبردية لاسيما وكان البابا يلج عليه في الاستغاث به وكان اهل فلورنسة
 يدعونه الى حمايتهم والمدافعة عن بلادهم فتعلل بذلك وتوجه الى رومة
 ولم يلتفت الى تضرع الامير سفورس ولا الحياح اهل البنادقة الذين
 كانوا يدعونه الى حصار مدينة ميلان

ثم ان الامير لوريك توجه مع الجيش الى رومة وكاريسير مع التؤدة
 والتأني فانتسح الوقت مع لايمبراطور حتى امكنه أن يتذكر في شان ما ينبغي له
 فعله في حق البابا الذي كان اسير تحت يده بتلعة سفتاج ومع ان لايمبراطور كان
 يظهر التدين ^ـصل منه في عدة فرص ما يدل على انه لم يكن له اعتناء بالدين
 وانه كان يظهر خلاف ما يظن خصوصا في فرصة اسر البابا فقد اظهر الرغبة
 التامة في قتل البابا الى بلاد آسبانيا ليقال انه قد اسر في ديوانه ملكين
 هما اعظم ملوك أوروبا يعني الملك فرنسيس والبابا لكنه حتى أن يزداد
 عليه غضب ملوك الأفرنج ويغضه رعاياه اذا هو فعل مثل ذلك مع امام دين

مطلب

اطلاق البابا وتخليه سبيله

باصر لايمبراطور

سنة ١٥٢٧

١١ من شهر سباط

النصرية فاستصوب أن لا يحضره ييلاد اسباباً هذا وكان المتعاهدون
 المتعصبون عليه قد دفعوا بلاداً كثيرة من إيطاليا وظهروا في وقائع جمة
 فرأى أنه يجب عليه اطلاق البابا من الاسر او وضعه بحمل آخر غير قلعة سفتانج
 لكن كان هناك اسباب حمله على ايثار الامر الاول وهو تخليه سيده منها
 أنه كان محتاجاً لكل الاحتياج الى الدراهم لجمع جيشه الذي تشتت منه
 وبصرفه الماهيات المتأخرة وكان قبل ذلك قد جمع مشورة وكلاء مملكة
 قسطنطينية بمدينة والادوليد في اواخر السنة ليعرض عليهم امره وحالة
 مصالحه فاعلمهم أنه يلزمه أن يستعد بامور جسيمة وقوى عظيمة حتى يتمكن
 أن يقاوم اعداءه الذين تعصبوا عليه لغيرتهم من نجاحه وظهره وطلب منهم
 أن يعذوه بالمبالغ الجسيمة اللازمة له لتمييز هذا المقصد العظيم غير ان ارباب
 تلك المشورة أبوا أن يضر بواشياً من المغارم على الملّة حيث كان قبل ذلك
 قد اخذ منها مبالغ جسيمة وصمموا على ابلتهم مع ما بذله من الجهد من الترخيب
 والترهيب في حلامهم على اجابته فرأى حينئذ انه لم يبق له وسيلة في تحصيل
 الدراهم اللازمة له سوى كونه يأخذ من البابا كايان على طريق القدام ببلغا
 يصرف منه ماهيات عساكره حيث كان يعلم انه لا يمكن اخراجهم من مدينة
 رومة قبل أن يدفع لهم المتأخر من استحقاقهم

هذا وقد كان البابا يبذل غاية جهده ليخلص من رقة الاسر حتى عرف بتلقه
 ومداهنته كيف يستميل الكردي نال كولون ويزيل من قلبه الحقد والعداوة
 لاسما وكان هذا الكردي نال يحب أن يعيد البابا الى منصبه يرى اهالى
 اوروبا انه ذو اقتدار عظيم حيث انه بعد أن اذله ووضعاه اعلى درجته ورفعاه
 واستمال البابا ايضا قلب الامير مورون بزخرف القول والمواعيد وكان
 لهذا الامر افعال عجيبة وامور غريبة تدل على حقيقة طبعه وكنهه حاله اتم
 الدلالة فانه عرف كيف يسترجع ما كان له من الصولة وتفوذ الكلمة
 عند وزراء الاميراطور واخراجه وكان الكردي نال كولون بمكان من المكر
 والخديعة فبنفوذ كلمة مورون ومخادعة كولون زالت العوائق والموانع

سنة ١٥٢٧

التي كان يعطل بها رسل الإمبراطور ما قرب البابا وقت في اقرب وقت مشاركة الإطلاق البابا من الاسر على شروط ملائمة للعالة التي كان عليها البابا وقتئذ وان كانت في الواقع وقس الامر صعبة وحاصلها ان البابا الزم بدفع مائة الف ايكو لتصرف على الجيش والتزم أن يدفع مثل هذا المبلغ بعد خمسة عشر يوما وأن يدفع مائة وخمسين الف ايكو بعد ثلاثة اشهر والزم ايضا بأن يعد بانه من الآن فصاعدا لا يكون له مدخل في حرب المتعصين على الإمبراطور ولا يساعدهم في القتال مع عساكر الإمبراطور ييلاد لتبرديا ولا بمملكة نابلي وتعهد بأن يتبرع للإمبراطور بعشر الايرادات القسسية التي تحصل من بلاد اسبانيا واذن له بغزوة صليبية (الغزوات الصليبية كانت على القتال لا خذيت المقدس تطلق ايضا على قتال الخوارج الذين خرجوا عن دين الكنيسة ومن يجعل من اهل تلك الغزوات يعد سعيدا عند النصارى دينا واخرى) ودفع البابا الى الإمبراطور رهائن لستون في بها حتى يفعل بمقتضى ما ذكر في المشاركة واعطاء زيادة على ذلك عدة مدائن لتبقى تحت يده حتى يفي بالشروط التي حصل الاتفاق عليها

وبعد أن باع البابا المناصب والوظائف القسسية وفعل ما يبين اصول الكنيسة وقوانين دين النصرانية ودفع المبالغ الاول عينوا يوما لاطلاقه وتخليه سبيله الا انه في مدة جهته التي بلغت ستة اشهر كان قد علمت نفسه واستأزت وصار يخشى نواب الدهر وغوائله كما هو دأب من تحل به التكبات فخاف أن يتوقف جماعة الإمبراطور ناينا في اطلاقه وتخليه سبيله حتى أنه في الليلة التي قبل اليوم المعين لاطلاقه تنكر في مفة يساع وخرج من القلعة ولم يعرفه احد وانما تمكنه ذلك لان الامير أرسون كان لا يدق عليه منذ عقد المشاركة ثم سار حتى وصل قبيل النهر الى مدينة اورويطو ولم يكن معه الا رجل من ضباطه فلما نزل بهذه المدينة بعث كتابا الى الامير لوتريك ينفي عليه فيه التناء الجليل ويخبره انه هو السبب في خلاصه من رقة الاسر واطلاقه من السجن

وفي انشاء تلك المذاكرة ذهب رسل ملك فرنسا وملك انكلترا الى

مطلب

ما طلبه الإمبراطور من الملك فرنسيس والملك هنري

اسبانيا ليعرضوا على الاميراطور ما انقط عليه الرأى في المشاركة المتعقبة
بين الملك فرنسيس وولسى وذرملك انكلترة وكان الاميراطور لا يريد
أن يعادى هذين الملكين ويخطرب نفسه في الحرب معهما فان ذلك يفضى
بقواه وخزائنه الى الضعف والنفاد فظهر منه انه ينجح الى التساهل في بعض
امور من الشروط الصعبة المذكورة في المشاركة المتعقبة بمدينة مدريد
وكان الى ذلك الوقت يدق في طلبها كل التدقيق ولا يرضى أن يتساهل في شئ
منها فعرض انه يرضى بقبول المبلغ الذي كان عرضه عليه اول الملك فرنسيس
(وهو مليونان من الايكو) في تطيرزوله عن دوقية بورغونيا ورشى ايضا
أن يحظى سبيل ولديه المسجونين عنده بشرط أن يخرج جيشه من بلاد ايطاليا
ويرد الى الاميراطور جنورة وغيرها من البلاد التي تغلب عليها في ارض
ايطاليا واما الامير سفورس فتشدد الاميراطور في انه لا بد من عقد مشورة
فيما عدا قضاة الحكموا عليه بما يستحقه في تطير خيانه هذا ما طلبه
الاميراطور فلما عرض ذلك على الملك هنرى وكان مما يخص حليفه
ملك فرنسا بعنه اليه وانتظر جوابه ولو كان الملك فرنسيس يريد الصلح
واجتناب ما يجر الى تغلب بلاده وتعب رعيته لما وقف في قبول هذه الامور
لقر بها جذا عما كان يطلبه بنفسه قبل ذلك لكن كانت مقاصده قد تغيرت
بالكلية وذلك انه لما رأى ان الملك هنرى قد تعاهد معه وصار حليفه ورأى
أن سرعسكره الامير لوتريك قد نجح في ايطاليا وفتح منها بلادا كثيرة
وأن جيشه يفوق جيش الاميراطور ايقن بالبحاج وتنه يأخذ مملكة نابلي
فتعلن بامور وافي قبول ما عرضه الاميراطور بل طلب منه أن يرد الى الامير
سفورس سائر دوله بدون مقابل ولا شرط منظمه ان ذلك من باب الشفقة
والرافة بالامير المذكور مع انه قبل ذلك كان لا يخطر بباله مثل هذا الامر
وطلب منه ايضا أن يحظى سبيل ولديه قبل أن تخرج جيوشه من ايطاليا
وبلاد جنورة فالتان الونوق بكلام الاميراطور بما يابن الكياسة والتبصر
فغضب الاميراطور من هذه المطالب الصعبة المشوبة بالتمحج والتوبيخ وزندم

سنة ١٥٢٧

٢٢ شهر كانون الثاني

سنة ١٥٢٨

مطلب
دعاء الإمبراطور الى الحرب

على كونه تساهل في الشروط الاولى واظهر انه لا يتحول عن ادنى شئ من الامور المذكورة اخيرا وكان لا يظن احد أن الملك هنرى يقر الملك فرديناند على طلب مثل هذه الامور لكنه اقتره عليها وبعث رسلا مع رسل الملك فرديناند الى الإمبراطور ليعرضوا عليه ما رغب ملكهم فأبى الإمبراطور أن يقبلها وانصرفا من عنده على ذلك

وكان مع هؤلاء الرسل رسولان آخران أحدهما من طرف الملك هنرى والاخر من طرف ملك فرنسا وكانا قد ارسلنا دعاء الإمبراطور الى الحرب اذا هو لم يرض بالشروط المبعوث اليه مع هؤلاء الرسل وكانا قد مكنا محققين عن الاعين حتى رياهل يرضى الإمبراطور بالشروط المعروضة عليه ام لا فلما ظهر لهما أن الإمبراطور قد أبى أن يقبل تلك الشروط حضر الى دوابه في اليوم الثاني ودا انصرف الرسل المبعوثين بالشروط وطلبنا منه الحرب كل عن لسان سيده فلقاهما الإمبراطور مع الهيبة والحلاوة التي تليق بتمامه وخطب كلاهما بخصوصه على وجه يدل على ما في ضميره لكل من الملكين فأجاب رسول الملك هنرى مع ثبات وعزم مشوب ببعض علامات تدل على الاعتبار والاحترام واغلق القول حين اجاب رسول ملك فرنسا وامره أن يخبر سيده فرديناند بان الإمبراطور من الآن فصاعدا لا يعتبره في شئ بل يعدّه بمن لا يعول عليهم ولا يؤثق بكلامهم ويحذره عن لسانه انه عار عن شرف العرض والفضائل التي يمتاز بها الامراء والاشراف فلما وصل الرسل الى الملك فرديناند واخبره بقول الإمبراطور وكان عنده شتم وتعاطف اترفيه ذلك غاية التأثير وعزم على أن يقاتل الإمبراطور مقاتلة شخصية بمعنى انه يبرز اليه بنفسه في الميدان ليقتل منه في نظيره وبالقدر فيه فبعث رسوله فورا الى الإمبراطور وارسل معه بطاقة يدعوهم فيها الى المباشرة معه في الميدان وطلب منه أن يعين زمن القتال ومكانه وانه يختار ما شاء من انواع الاسلحة ولم يكن الإمبراطور ودونه في النشاط والشجاعة قبيل هذا الامر بدون توقف ولكن حصل بينهما مراسلات ومكاتبات في شأن هذه المقاتلة وكانت تلك المكاتبات مشحونة باللوم والتوبيخ

مطلب

دعاء الملك فرديناند
الى الإمبراطور الى المقاتلة
الشخصية وهي مبارزة
القرنين في الميدان

الشعر بالنسبة واسماء الادب من الجانبين فتسمى هذا الامر وهو في الحقيقة لا يليق بهما اذ هما اعظم ملوك ذاك العصر وانما هو من شأن الابطال المأثور ذلك عنهم في الحكايات

ولما حصل هذا الامر من ملكين كانا اعظم ملوك ذاك العصر فتصفت به اذهان الناس ونشأ عنه تغير عظيم في اخلاق بلاد اوروبا وقد قدمنا في الاتحاف ان عادة الدويل (الدويل اصله باللغة اللاطينية دويلوم ومعناه القتال بين اميرين ثم توسع فيه حتى صار يطلق على كل حرب شخصي يحصل بين اثنين اياما كان بينهما او مقامهما ومعنى دو اثنان) كانت قد مكنت زمانا طويلا توسعها الشرائع والقوانين في سائر بلاد الافرنج حتى كانت معدودة شطرا من قوانين الملل الافريقية وربما حكم بها القضاة المدنية في بعض الاحوال من حيث كونها واسطة في قطع النزاع في الدعاوى المدنية والجنايات لكن لما كان القتال الشخصي اذ ذاك معتبرا كانه امتحان يظهر فيه الله سبحانه وتعالى العدل والانصاف ويخلص الحقوق لاربابها كانت الشرائع والقوانين لا توجه الا في اتمام المصالح والدعاوى العامة وكانت تبين الكيفية التي يكون بها هذا القتال وحيث كانت تلك العادة جارية في المحاكم اتدى بها الناس واستعملوها في مشاجراتهم الخصوصية الشخصية فبعد أن كان الدويل لا يعمل الا بامر من الحاكم صار من وقتئذ يعمل بدون امره وتوسع في استعماله حتى صار يجري في صور لم تكن مقررة في القوانين فلما حصل بين الاميراطور شرلكان والملك فرنسيس انهما ارادا القتال الشخصي معا والبروز في الميدان تقوت هذه العادة كل التقوية وكثر استعمالها فكان اذا حصل ادنى اساءة في عرض امير من اليكزادات رأى ان له الحق في الانتقام من خصمه فيدعوه الى الميدان ليخلص منه حقه قسراً عن ذلك تتأجج مغبة حيث كان الناس يومئذ شجعانهم وكمبرقوسهم ذوى خشونة وشراسة اخلاق فكانت تكثر اساءتهم وحقدتهم لبعضهم فذلك اعظم اهالى اوروبا في الميدان فكلم هلك في هذا القتال انااس يعظم نفهم للوطن ولتدمرت اوقات كان بها

مطلب
تقوية عادة تلك القتالة
المسماة بالدويل بهذه الحادثة

سنة ١٥٢٨

القتال الشخصي اهل واشنع من الحروب المدنية والفن الداخلية فانظر الى حكم العادة وقوة نفوذ احكامها واقبائها على الاحكام الشرعية والسياسية حيث ان هذه فزت عقوبات صعبة واستعملت وسائل دينية في ابطال هذا الامر الذي لم يكن معروفا عند الاقدمين ولا يستحسنه العقل والذوق السليم ومع ذلك فلم يمكن ابطاله ولا قطع عرقه ولكن ينبغي أن نعرف أن ذلك الامر مع شناعته ترتب عليه الا تهذيب الاخلاق وتحيينها واحترام الناس لبعضهم حتى صارت معاملات الناس ومعاشراتهم جارية على وجه لطيف مستحسن لم يسبق نظيره عند اعظم الملل السالفة واكثرها تمذبا ورفاهية واحسنها اخلاقا

ولنرجع الى موضوعنا فنقول انه في مدة ما كان الامبراطور والملك فرنسيس يريد ان انتهاء دعواهما بالقتال الشخصي كان الامير لوتريك مستترا على الحرب في ايطاليا مع عساكر الامبراطور وكان جيش لوتريك قد ازداد عدده حتى بلغ خمسة وثلاثين الفا فسار به الى مملكة نابلي فلما دنا منها حصل لعساكر الامبراطور فزع ورعب زاده الحاح رئيسهم امير اورنجيه وحمله لهم على الخروج من مدينة رومة فتوقوا ثم خرجوا منها بعد أن مكثوا فيها عشرة اشهر وهم يظلمونها ويرتكبون فيها ما لا يزيد عليه من انواع القساسة والمظالم لكن لم يبق من هؤلاء العساكر الامبراطورية الذين دخلوا رومة في بهاء ووروق عظيم الانضمام وهلك الباقي فيها بالطاعون والامراض التي حدثت ففهم من طول مدة الدعة والبطالة وانهما كهم على اللذات والشهوات مدة اقامتهم بها وقد بذل الامير لوتريك غاية جهده ليتمكن من الهجوم على عساكر الامبراطور وهم متوجهون الى ارض نابلي ولونجح في ذلك لانتهى الحرب لوقته الا ان رؤساء هؤلاء العساكر لحزمهم وتيقظهم افسدوا عليه ما دبره في هذا الشأن حتى وصل العساكر المذكورون الى نابلي ولم يهلك منهم الا القليل وكان من عدة اهالي مملكة نابلي أن يسلموا العزب الاقوى الغالب وكانوا يودون الخلاص من حكم اهل اسبانيا

مطلب
خروج عساكر الامبراطور
من مدينة رومة

سنة ١٥٢٨

شهر صباط

مطلب
حصار الفرنساوية
لمدينة نابلي

وامير اطورهم قصابوا جيش الفرنساوية مع القرح وكافوا يتلقونهم مع البشاشة
ابتغوا من بلادهم حتى لم يبق لعاكر الايمراطور من المدائن الحصينة والقلاع
سوى مدينة غايطة ومدينة نابلي فاما الاولى فلم تنق بلديهم الا انها
كانت حصينة متينة الاسوار وكان السبب في حفظ مدينة نابلي هو حضور
عساكر الايمراطور بها ودافعهم عنها ومع ذلك تقدم الامير لورين
بالجيش الفرنساوي الى نابلي وشرب معسكره تحت اسوارها لكنه راى
انه لا يمكن الاستيلاء عليها لكثرة العساكر والمهاطين بها فاقصر على حصارها
حصار احاطة وان كان يعلم ان طريقة الحصار بطيئة غير انه راها دون الهجوم
خطرا وبعد ان رتب الحصار وسد اكاف المدينة واربعها كتب الى سيده
الملك فرنسيس يعلمه بان عساكر الايمراطور سيضطرون عن قريب الى
التسليم لشدة القحط والمجاعة لانه قد قطع عنهم الوارد وسد عليهم جميع الابواب
وقد حصلت حينئذ حادثة تقوى بها هذا الامل عند حرب فرنسيس وهي
ان عساكر الايمراطور شنوا الغارة ليتقلبوا على البحر فرجعوا خائبين
وذلك ان سفن الامير اندرة دورية التي كان حكمدارها ابن اخيه الامير
فيليب كانت تتخذ داخل الميناء فارد الامير مونكاد وكان قد خلف الامير
لانواي على حكومة نابلي ان تغلب على البحر فجهز مقدارا من السفن
يزيد على سفن الامير اندرة دورية ونزل فيها هو والملازم غواست واعظم
الضباط والعساكر الاسبانيولية وهم على سفن الامير دورية قبل ان تلحقها
سفن الفرنساوية وسفن جمهورية البنادقة ولكن كان الامير دورية
يفوق اعداءه في فن البحرية والحركات العسكرية فانتصر على عساكر
اسبانيا مع شجاعته وكثرة عددهم وعددهم وقتل الامير مونكاد حاكم
نابلي وتلف معظم سفنه وأسر الملازم غواست وعدة من اكابر الضباط
الاسبانيولية فوضعهم الامير فيليب في السفن التي اخذها من الاعداء
وارسلهم الى عمه اندرة دورية علامة على نصره على الاعداء
وظفره بهم

ومع هذا النجاح الذي تقوى به اهل الامير لوتريك في حصول النصر عن قريب حصلت عدة حوادث اخرى افسدت عليه آماله وذلك ان البابا كليمان وان اعترف غير مرة ان الملك فرنسيس هو الذي انتزعه من الاسر وبالف في الاساقفة التي حصلت له من طرف الإمبراطور كان لا يسلك في اموره على حسب ما كان يعترف به ويظهر من صدق المحبة للملك فرنسيس واغرب من ذلك انه تناسى بغضه للإمبراطور وصار لا يبحث عن الانتقام منه انفسه في نظير اسائه له وذلك انه كان من عادته ان لا يأمن صروف الدهر وغدره بل يصترس بهما امكن في اموره فلما حلت به المصائب ووقع اسيرا في قبضة الإمبراطور وخلص من ذلك زاد احتراسه من زبكات الدهر فكان كلما تفكر فيما حصل له ازداد خوله وكثر زرده فبينما كان يلاهي الملك فرنسيس بالمواعيد المزخرفة كان يتفاوض سررا مع الإمبراطور شرلكان لاسيما وكان البابا المذكور يريد أن ينسب لعائلته الحكم الذي كان له في بلاد فلورنسة قبل أن تخرج عن طاعته وتصبح جمهورية مستقلة وكان يعلم ان الملك فرنسيس لا يساعده على ذلك حيث انه تعاهد مع هذه الجمهورية معاهدة كيدة وان الإمبراطور هو الذي يتقعه في مثل هذا الامر فكان ميله الى الإمبراطور الذي هو عدو ما كثر من ميله الى الملك فرنسيس مع انه كان سبيا في خلاصه من الاسر فلذا لم يساعد الامير لوتريك اذ في مساعدة هذا وكان اهل البنادقة يغارون من نجاح جيش الفرنسيين فاشتغلوا بأخذ بعض مدائن بحرية من بلاد نابلي كانت مطمح قطرهم ولم يلتفتوا الى اعانة جيش الفرنسيين على اخذ مملكة نابلي فآثروا مصلحة انفسهم على المصلحة العامة

واما ملك انكلترة فلم يمكنه ايضا أن يجبر القرض الذي كان عزم عليه لاجل مشاغل الإمبراطور وايقاعه في الحيرة وهذا القرض هو المجهوم على مملكة البلاد الواطية وكانت من عمالك الإمبراطور وكان السبب الذي منعه عن تمييزه هو ان رعاياه كانوا لا يرضون بهذا الحرب لكونهم رأوا انه لا يعود عليهم

سنة ١٥٢٨

بالمنفعة بل يترتب عليه تعطيل تجارتهم وكسادها فلما شاهد منهم ذلك اخذ
يعاملهم بما يسكن به غضبهم ويمنع من حصول قننه منهم حتى اضطر الى عقد
هذه مدة ثمانية اشهر بينه وبين ملكة البلاد الواطية وقد حصل ايضا من
الملك فرنسيس اعمال وتراخ كاهي عاده فلم يرسل الى الامير لوتريك
المبالغ اللازمة لمصاريف الجيش ولوازمه

مطلب

قيام الامير اندر دورية
على الفرنساوية ودخوله
في حرب الامير اطور

فبتلك الاسباب قرت همة العساكر الفرنسية وهمة الامير لوتريك
وحصلت حادثة اخرى سدت عليهم جميع الابواب واوقعتهم في اليأس والقنوط
وهي عصيان الامير اندره دورية وذلك أن الامير المذكور كان جمهوريا
وكانت تربيته من صغره في البحرية فكان مع حبه للاستقلال كاهل
الجمهوريات متخلقا بالاخلاق الحميدة من طيب السريرة وخلوص الطوية
وغير ذلك من الصفات المعهودة التي يمتاز بها البحرية وكان طبعه يأبى المداهنة
والتلق الذي لا بد منها لمن اراد أن يكون له حظوة في دواوين الملوك وكان يعرف
مقدار نفسه وجلالة شأنه فكان يدي رأيه في كل امر بحسب ما يستحسنه عقله
ويتكلم بمن يضرت فلا يخشى بأسا وكان وزراء الفرنسية غير متعودين
على مثل هذا التعم فعمزوا على اهلاك هذا الامير حيث كان لا يحسن
معاملتهم ويسلك معهم سلكا يرويه مخلا بشروط الادب والاحترام وكان
فرنسيس يعلم أن هذا الامير رفعه كل النفع وكان يعهد فيه كرم الاخلاق ومع
ذلك لم يرل اخصاؤه وارباب ديوانه يقدمون فيه ويسالون في ذمه ويصفونه
بالكبر وسوء الخلق وانه يؤثر مصلحة نفسه على مصلحة فرنسا فزال حسن ظن
فرنسيس فيه بالتدريج وصار لا يثق به ومن وقتئذ حصل للامير اندره دورية
اساءة وتولم لا يطيقه النفوس فكانت ماهيته لا تدفعه اولا بأول كالسابق
بل كان في الغالب لا يسمع قوله ولا يقبل رأيه في المصالح البحرية وارادوا
أن يأخذوا من ابن اخيه الامير فيليبين جميع من أسره في الحرب البحري
الذي حصل بينه وبين سفن الامير اطور في ميناء نابلي وبينما كان الامير
اندره دورية متخيرا من هذه الامور غاية التخيير اذ حصلت حادثة اخرى غلب

سنة ١٥٢٨

بها صبره وهي أن الفرنساويين أخذوا يحصنون مدينة سابون ويتخفون
 منهاها وقتلوا اليها من التجارة بعض فروع كانت مخصوصة بمدينة جنورة
 التي هي موطن هذا الأمير وظهر منهم أنهم يريدون جعل مدينة سابون
 المذكورة زاهية بالتجارة والثروة كمدينة جنورة وكان أهل جنورة
 يفضون تلك المدينة ولا يحبون أن تنسركم في التجارة فلم يستطع ذلك
 وأخذته الحمية على وطنه فتشكى من هذا الأمر وهدد الفرنساويين بأنهم إن
 لم يرجعوا عن هذا المقصد حل بهم الضرر وتدموا كل النعم وكان خواص
فرنسيس يفضون هذا الأمير فلما حصل منه ذلك أخبروا به الملك بعد
 أن بالتوافيه وأضافوا إليه أموراً دبت من عنديهم فامد من تغير الملك عنه
 فغضب فرنسيس كل الغضب وبعث أمراً إلى الأميرال (جبلطان باشا)
باريزو أن توجه بحبة الدونخا الفرنسية إلى جنورة ويقبض
 على الأمير أندره دورية ويستول على مامعه من السفن وسكان يلزم
 المحاطة مهما تمكن على إخفاء هذا الأمر الصادر عن غير حزم وبصر لكن
 لم يعقب إخفاءه فلم به الأمير أندره دورية من قبل فأخذ سفنه ورساها
 في محل آمن بحيث لا يتخفى من أعدائه مادام فيه وكان الملتزم غواصة
 وقتئذ أسير عنده فلما رأى هذا الملتزم غم هذا الأمير أخذ يتفر من الفرنسية
 ويذكره ما يرغب في الانضمام إلى حزب الأميراطور فلما رأى أن الغضب والتخدد
 قد عكس منه غاية التمكن اتهم تلك الفرصة وحمله على أن يبعث ضابطاً من ضباطه
 إلى الأميراطور يلتمس منه الدخول في خدمته بموجب شروط بعضها مع ذلك
 الضابط وكان الأميراطور يعلم أن دخول هذا الأمير في خدمته مما يهين أم
 الاعانة على أعدائه فبادر بقبول الشروط المعروضة عليه من طرفه وأدخله
 في حربه فبعبر داتنام هذا الأمر أرسل الأمير دورية إلى الملك فرنسيس
 ينشأه وحط عن سفنه بندية الفرنسية وبلد لها بندية الأميراطور ورفع
 الشراع وسار جهة مدينة نابلي لتصد خلاصها واتقاهها لا تصد حصار
 منها كما السابق

سنة ١٥٢٨

مطلب

الضئال الذي حصل
للقرنساوية أمام نابلي

فمن دوسوه الى مدينة نابلي قفصت طرق البحر وصارت تلك المدينة في ردها
من العيش بعد أن كانت في اشتغال الكروب من القحط والجذب واما القرنساوية
فانهم بعد أن تركهم الامير اندره دوريه ضاعت منهم سلطة الصر وبعدهم
قليلة فخذوا منهم وذخائرهم وألوا الى اسوء حال وكان الامير دورنجيه قد تولى
الرياسة على جيش الايمبراطور بعد موت النائب الذي كان حاكما على بلاد نابلي
فكان هذا الامير ما صار به اهل لهذا المنصب العظيم وكان عز رعا على
العساكر محبوا باليه لانهم اتصروا معه جوارا عديدة ونجسوا كل الضاح
فكانوا يطيعونه ويتقون اوامره بالقبول وخلص التية فكان دائما وابدا
يتقضى على الاعداء بعاكره ويتعهم حتى اذا قهر العذاب الالم وكلت قواهم
وتلاشى عزهم * ومن سوء حظ القرنساوية تزلت جيئهم الامراض
التي تكثر عادة تلك البلاد في فصل الصيف وكان القرنساوية قد أسروا بجلة
من عساكر الايمبراطور فقيم شيا الطاعون لانهم كانوا بدينة رومة واتوا به
معهم الى نابلي فلما دخل هؤلاء الاسارى في معسكر القرنساوية ظهر
فيه الطاعون فصا قليل هلك عساكر القرنساوية ولم يلبس من العدوى الا مقدار
قليل من الضباط والعساكر فظيقت في الجيش الادون اربعة آلاف تقدر على حمل
السلاح ولا شك ان هذا المقدار لا يكتفى في المدافعة عن المعسكر فحاصر عساكر
الايمبراطور من بقى من جيش القرنساوية وضيقوا عليهم كل الضيق حتى
حل بهم مثل ما كان حل بعساكر الايمبراطور فكثرت بينهم الامير لورين
مدة طويلة وهو يعارض تلك العوارض والمصائب ثم اصيب بالطاعون وكان
قد عظم عليه الامر واشتد به الصكر بذهاب وهو تأوه من احوال الملك
فرنسيس وخيانة حلفائه ومتعاهديه حيث ترتب عليهما قد ابطال
القرنساوية وشجعانهم وكان لا يوجد بعده من يصلح للرياسة على الجيش لان جميع
الضباط من الجنرالات كانوا مرضى فانطبها الملتزم دوسالوس ولم يكن
عند من المعارف ما يكتفى في تدبير هذا المنصب المهم الحسيم فاختل نظامه
وزال مدينة اويرسة هو ومن بقى من الجيش وكانوا شردمة قليلة قد لحقهم

١٥ من شهر ابريل

مطلب

وضع الحصار

سنة ١٥٢٨

من التعب والتعب ما لا يحصى عليه فمقد ذلك اقام الامير دورنجية المحاصر
على مدينة اوربسة فمما قليل اضطر دوسالوس الى التسليم ووقع في المشاورة
على أن يبقى اسيرا عند سر عسكر الامير الممطور ويترك له سائر ماله ومهماته
وأن يجرد الفرنساوية عن الاسلحة ويرسلوا الى مملكة فرنسا بدون سلاح
ولارايات وتعيهم سريته من عساكر الامير الممطور لاجل خفرهم حتى يصلوا الى
ضواحي تلك المملكة في هذه المشاورة المورثة للمعزة كانت نجاة بقايا الجيش
الفرنساوي * وبغزم الامير الممطور وحزم رؤسائه وحسن سلوكهم رجع
الى ما كان عليه من القوة وقوة الكلمة والشوكة في بلاد إيطاليا
وقد اعقب تدمير هذا الجيش في محاصرة نابلي ضياع جنوية وكان
الامير دورية يطمع في اقتصاد وطنه من حكم الاجانب حيث ان ذلك هو
الحامل له على الخلق عن حزب الملك فرنسيس والدخول في حزب الامير الممطور
ولم يكن لاحد له فرصة اعظم من ذلك في قهر هذا المشروع المدحور
وكان اهل مدينة جنوية قد هاجروا منها لوجود الطاعون بها وكان
محافظوها من الفرنساوية قد لحقهم النجس والسامة حيث كانت لا تدفع لهم
ما هيأهم وكانوا قد تأسفوا على ما سبب الامراض الوبائية ولم يأتهم امداد
جديد يعينهم ويشد عضدهم ولما بعث الامير دورية رسلا الى تلك المدينة
وأمن يتي من اهلها قد سمعوا من حكم الفرنساوية وحكم اهل اسبانيا
حتى صاروا يودون أن يتخذهم احد من ذلك ووعدوا به ان تصدى هذا
الامير لاقتادهم باهروا بسلامته ومساعدته في جميع مشروعاته فلما بلغ ذلك
الامير دورية وابقن أن مقتضيات الاحوال تساعد في تخير هذا الغرض
نوجه بشفه في نهر جنوية فلما دنا منها تباعدت عنها السفن الفرنساوية
واخرج سريته من عساكره الى البر فهاجأت المدينة ليلا وقطبت على باب
من ابوابها وكان حكمادها انذاك الامير تريولس الفرنساوي فخا وى الى
القلعة مع محافظها وكانوا في عدد قليل وغلقوا ابوابها على الامير دورية
على المدينة بدون قتال وكان الامير تريولس وهو في القلعة لا يجد ما يلزمه

مطلب

رجوع جنوية الى

حزبها

١٥ من شهر ايلول

سليمان كان قد نطاب على بلاده المجر واوشن أن يقض بجيوش المشرق
على بلاد الأوستريا وزيادة على ذلك كان دين لوتير كل يوم في ازدياد
واقشار في سائر بلاد ألمانيا وكان الأمراء الذين ينصرون هذا الدين
وبعض دونه قد عقدوا مع بعضهم عصبية يخشى منها تكبير الإمبراطورية وإيقاع
الفتن بها وكان أهل أسبانيا يلومون الإمبراطور على هذه الحروب ويتظلمون
منها حيث كان معظم مشاقها عليهم لاسيما وكانت قد عظمت واتسعت دائرتها
فرأى الإمبراطور إرادته لا يكتفي في مصاريفها وإنما كان نصره على عدوه
لوفور حظه ومهارته فبسطه ورؤساء عساكره وهذا يجزده لا يكتفي في استمرار
نصره عساكره الذين كانوا في الغالب لا يجدون ما يلزم لهم على عساكر أعدو
الذين كانوا يرزّل عندهم ما يقوى همهم ويسوق لهم الهجوم على أعدائهم هذا
ولا يخفى أن الملوك الذين كانوا متعصين على الإمبراطور لم يستطيعوا إخفاء
مقاصدهم وأغراضهم بخلاف الإمبراطور فلم يلزم أعداءه بشروط صعبة
حتى لا يتوهّموا عجزه عن استمراره على القتال وأما البابا فكان لا يريد
أن يتخلى عن معاهدته قبل أن يتعاهدا ويقعد مشاركة مع الإمبراطور
فكان يحاولهم ويخادعهم من جهة ومن جهة أخرى كان يتسارط مع
الإمبراطور سرا ولما كان الملك فرنسيس يخشى أن يسبقه معاهدته
وحلفائه إلى الصلح مع الإمبراطور سلك في هذا الأمر مسلكا يحل بالمرودة
والإنسانية وشاغل معاهدته حتى لا يقنوا على ما دبره في هذا الشأن
فبينا كان كل فريق يرغب في الصلح ولا يتجاسر على طلبه ولا على السعي
في تحصيله شرع أمر أتان في إيقاع هذا الأمر الذي كان يرغب فيه سائر
ملوك الأفرنج أحدهما مرعريطة أميرة الأوستريا والوارثة إقليم
سبوة عن زوجها وهي خالة الإمبراطور والثانية الأميرة لوريّة أم الملك
فرنسيس فاتفقتا على أن يتقابلتا في مدينة كبرية لأجل المفاوضة في هذا
الشأن وسكنتا في ميتين متلاصقين وقعت بينهما فرجة واجتمعتا على وجه
الحبة واللافة بدون التزام ما فيه كلفة وجعلتا يتذاكران ولم يكن معهما

سنة ١٥٢٩

ثالث وكانت كل اميرت منهن ما تعرف احوال ديوان مملكتها ومصالها حتى المعرفة
وكانت كل منهما تنفق بصاحبتهما فعماقليل انخط الرأى بينهما على امور شتى وكاد
يتم بمذاكراتهم ما صلح تام مستكمل لجميع الشروط والادوات وفي اثنا ذلك كان
رسل الملوك المتعاهدين ينتظرون مع التلق ما يصدر من هاتين الاميرتين في شأن
بلاد اوروبا

ومع أن هاتين الاميرتين كانتا تعجلان بعقد صلح عام حصل أن البابا سبقهما
بعقد مشاركة مع الامبراطور سراسا في مدينة برسلونه وذلك أن الامبراطور
لما توجه الى بلاد المانيا قصد أن يزل بايطاليا لينشر بها الامن
والاطمئنان قبل وصوله الى المانيا لتسكين التشن والتفاقم فرأى انه يلزم له
أن يعقد مع دولة من دول ايطاليا معاهدة يعول عليها ويستند اليها
وكان البابا لم يزل يبحث عن المعاهدة معه فاستصوب الامبراطور
ذلك وأثر المعاهدة معه على غيرها لاسيما وكان يود أن تلوح له فرصة
يصلح بها ما كان فعله من الاساءة في حق البابا الذي هو رئيس النصراني
وامام دينهم ويمحوق دينه خطيته بمحدث صنيع جميل فعامل البابا باحسن
المعاملة وسلمه في امور شتى كان لا يتأتى له الطمع فيها ولو بعد نصرات عديدة
فكان من جملة المواد التي اشتملت عليها المشاركة أن تعهد الامبراطور بأن يرز
الى البابا سراسا الاراضي القسيسية وأن يرب ثانيا في فلورنسة حكم العائلة
المدنيسية وهي عائلة البابا كيجان كما تقدم وأن يزوج بنته من الزنا
للأمير أسكندر رئيس العائلة المذكورة وأن يرخص للبابا أن يفعل كيف
يشاء مع الامير سفورس ويتصرف في حكومة دوقية ميلان كما يجب
ويتخار وتعهده البابا أن يعطى للامبراطور حكومة مملكة نابلي ولا يدفع
الامبراطور له خراجا وانما يتعهد له أن يباديه بيزونايض لتستقر له السيادة على
تلك المملكة وصدر منه فرمان بالفعوعن كل من كان لهم دخل في نهيمعدنة
رومة والمهيوم عليها وأذن للامبراطور واخيه فرديناند أن يأخذ اربع
مافي دولهما من ايرادات الكنيسة

مطلب

انعقاد مشاركة

خصوصية بين البابا

والامبراطور في ٢٠ من

شهر حزيران

الصلح المتعدد بمدينة كبرى
بين الإمبراطور والملك
فرنسيس في شهر آب

ولما شاع خبر هذه المشاركة وقع التعجيل في المداولات والمذاكرات التي كانت
حاصلة بمدينة كبرى بين الاميرة مرغريطة والاميرة ليرة حيث
ان هاتين الاميرتين يجعرد سماعهما بالمشاركة المذكورة أنهما مشارطتهما
وكانت المشاركة المتعددة بمدينة مدريد اصلا للمشاركة المتعددة بين هاتين
الاميرتين وكان القصد منها تخفيف الشروط الصعبة المذكورة في المشاركة
الاولى يعنى مشاركة مدريد المذكورة والنود الاصلية من مشارطتهما
هى أن الإمبراطور لا يطلب إلا أن رد دوقية برغونيا بل يبقيا الى وقت آخر
ولا يترك حقوقه ودعواه في شأنها وأن الملك فرنسيس يدفع مليونين
من الايكو لقاء اولاده وقبل اطلاقهم وتخليه سيولهم بركة الملك فرنسيس
الى الإمبراطور سائر المدائن الباقية له في دوقية ميلان وبخلى له ايضا
عن حكومة الفلنك واقليم ارنوازة ويترك دعواه في شأن نابلي
و ميلان و جنوية وسائر المدائن الاخرى الموضوعة خلف جبال
البه ويجعرد ابراء المشاركة يتزوج بالاميرة الينورة اخت الإمبراطور
كما هو مقتضى الاتفاق السابق

ولما كان الملك فرنسيس في قلق عظيم لاجل خلاص اولاده من الاسر رضى
بهذه المشاركة فترك جميع ما كان الجاه أولا الى الحرب مع الإمبراطور مدة
تسع سنوات وهو حرب طويل لم يكن يعهد مثله في بلاد أوروبا قبل
أن تظهر بها الجيوش المنتظمة وضرب المغارم الخارجة عن حد العادة
فصارت بلاد ايطاليا بموجب المشاركة المذكورة تحت يد الإمبراطور
يتصرف فيها كيف شاء واقتداء لاه التي في مملكة البلاد الواطية من عار
التبعية لمملكة فرنسا وبعد أن غلب الإمبراطور خصمه وظهر عليه
في الحرب أزمه عند عقد الصلح بمآثاء من الشروط الزام السيد لعهده والمتبوع
لتابعه ولا غربة في ذلك اذا نظر الانسان الى سلوك كل من الملك فرنسيس
والإمبراطور شر لكان وقت تدبير امورهما فان شر لكان كان يدبر مقاصده
مع الحزم والتبصر ويتبعها مع العزم والتصميم حتى تأتى في التخيير على احسن

كون هذه المشاركة فيها
شرف ونخار للإمبراطور

سنة ١٥٢٩

حالة وكان ذلك اوفق بطبعه كما كانت الضرورة والمقتضيات اذ ذلك يجعله
عما لا يدونه وكان دائما يراعي مقتضيات الاحوال والحوادث حق المراعاة
فلم تفته فرصة مما يترتب عليه نفعه الا اهتم بها بخلاف فرنسيس فان عزمه
عند الشروع في المقاصد اقوى من عزمه عند ارادة التخيير بكثير فكان عند
العزم على المشروعات الجسيمة يقدم عليها مع حجة لا تبارى * وحنة لا تجارى *
الا انه لا يدوم على ذلك بل لدى ارادة التخيير تهقر همته * وتضعف حدة عزمه
وحجته * وبالجمله فكان غاليا يصعب ما يدوله من الفرص النافعة المهمة اما
لاشتغاله باللعب واللهو واغش خاصته وخدا عهم اياه هذا ما كان من امر
الملكين من حيث تباينهما في صفاتهما الذاتية وكذلك تباين رؤساء عساكرهما
في الفضائل والمعارف لم يكن تأثيره دون ذلك في نجاح حزب الاميراطور
وخذلان حزب فرنسيس فان رؤساء عساكر الاميراطور كانوا دائما مع
نجاحاتهم لا يعدلون عن سنن السياسة والحزم وكانوا ارباب قرائح جيدة
وعقول صائبة مستتيرة بمصايح التجاريب وفضلة ناقبة تدرك مقاصد الاعداء
وما يريهم وبالجمله فكانوا مستكملين لجميع الصفات الجليلة التي يمتاز بها رؤساء
العساكرين الابطال ويثبت بها النصر والظفر بخلاف الرؤساء الفرنسيين والفرنساوية
فلم يكن عندهم شيء من تلك الصفات الحميدة بل كان اغلبهم جامعا اضدها واذا
قطعت النظر عن معارف السر عسكر لوتريك وان لم يساعد الدهر على
مشروعاته لا ترى في رؤساء الفرنسيين من يتفخر بكونه يبلغ في المعارف
درجة الامير بسكبير والامير ليوه والامير دوعواست والامير
دورنجة وغيرهم من الرؤساء الذين ابرزهم الاميراطور شيركان لمقاومة
الفرنساوية وقتالهم وكان للملكة فرانسوا من يمكنه بمعارفه وحسن سلوكه
أن يعادل رؤساء الاميراطور وهو الدوق دي بوربون والامير مورون
والامير دورية الا انهم تركوا الملكة فرانسوا التي هي وطنهم وانضوا الى
حزب الاميراطور وكان السبب في حرمان فرانسوا منهم هو افعال الملك
فرنسيس او خبط طوية اخصانه وطلمهم وقطع علم مما سبق أن المصائب التي

سنة ١٥٢٩

حلت بملكمة فرنسا مدة الحرب كانت صادرة عن حقد هؤلاء الثلاثة ويأسهم حيث فعل معهم من الاساءة ما اوجب غضبهم وحلمهم على التخلي عن حزب فرنسا والدخول في حزب الايمبراطور

ثم ان الشروط التي ازم بها الملك فرنسيس في مشاركة كبريه وان كانت صعبة عليه الا انها لم تورثه من انخرى والمعتزة ما اورثه غيرها مما ذكر معها في تلك المشاركة وذلك انه قد شهرته وصار ملوك أوروبا لا يأمنونه ولا يثقون به حيث تخلى عن معاهدته وجعل امرهم بيد خصمه وسبب ذلك انه لم يعرض لما فيه مصلحتهم خشية أن يلزم بامور اخرى في نظير ما يطلبه لهم بل تركهم جميعا تحت ارادة الايمبراطور يتصرف فيهم كيف يشاء فغلب نفسه العارضة عليه عن اهل البنادقة واهل فلورنسة ودوق فرارة وبعض بارونات من تالمى كانوا قد انضموا الى جيشه ودخلوا في حربه فلما حصل منه ذلك تشكوا جميعا من جيشه وغدره بهم كل التشكى حتى انه لما لحقه من انخرى احتجب مدعة عن الرسل الذين اتوا اليه من طرفهم لتلاي جمع منهم ما يسيته من اللوم والتوبيخ الذي يحقه واما الايمبراطور فقد راعى مصالح من انضموا الى حربه جميعا حتى انه اثبت حقوق رعاياه المملكتين الذين كان لهم يبلاد فرنسا املاك حقيقية ثابتة او مدعاة وكان من جملة بنود المشاركة بند مخصوص وهو انه يجب على ملك فرنسا أن يرد الى عائلة الدوق دي بوربون الاعتبار والشرف الذي كانت تتمتع به سابقا وأن يرد الى ورثته سائر اراضيها التي ضبط عليها وضمت الى جانب الميرى وكان فيما بعد آخره هو انه يجب على فرنسيس أن يعطى اليكزادات الفرنسية الذين كانوا جمعية دي بوربون مدته فيه ما يرضى خاطرهم * فهذا السلوك الحميد الحسن الذي ازداد بهجة بمحصل ضده من الملك فرنسيس استوجب شكر لكان اعتبارا لا فرج له بقدر ما حصل له من الفخار والسودد بنظره ونصرته ولكن فرنسيس لم يعامل هنرى ملك انكلترا كغيره من معاهدته بل كان لا يقر شيا في مشاركة كبريه الا ويخبره به ومن خطه أن هذا الملك

مطلب
كون هذه المشاركة من ربه
بعرض الملك فرنسيس

مطلب
امتثال الملك هنرى ووضائه
بالمشاركة

سنة ١٥٢٩

كان وقتئذ في حالة بحيث لا يبعه الاستفسان ما يضل عليه ملك فرانس واعانه
على ما يشرع فيه وذلك ان هنري كان يرغب من البابا أن ياذن له بطلاق امرأته
كاترينة اميرة اراغون لاسباب دعتة الى ذلك وهي أن هذه الاميرة كانت
زوجة اخيه من قبله وكان اذ ذاك ادباينة نفسي أن يكون زواجه بها بعد اخيه
مخالفاً للشريعة وزيادة على ذلك كان لا يحبها لانها كانت اكبر منه سناً وكانت
اكبر منها قد صاعت منها بهجة الشباب ومحاسن الصبا وكان يود أن يكون له
اولاد ذكور لا سيما وكان الوزير ولسي يريد اقناع القتل والشقاق بين سيده
الملك هنري والايمبراطور وحيث كان الايمبراطور ابن اخت الاميرة كاترينة
ظن ولسي المذكور أن طلاق هنري لها يوجب الشقاق بينه وبين الايمبراطور
فصار يحسن له هذا المقصد وهو طلاق تلك الاميرة وهذا السبب آخر بما
ان اقوى الجميع وهو أن الملك هنري كان قد شغف بحب الاميرة
ادوبولان وكانت مشهورة بالحسن والجمال صغيرة السن ذات معارف
وعوارف فلما رأى انه لا يمكنه أن يحظى بمحاسن تلك الاميرة الا بالتزويج بها
صمم على زواجها وترقيتها الى اوج السلطنة وكن كثير ما حصل من البابا
انهم حكموا بالطلاق بموجب اسباب اوهى واضعف من تلك الاسباب التي
كان يستند اليها الملك هنري * فعرض هذا الامر اول مرة على البابا
كليمان وكان مسجونا وقتئذ بخلعة سقناج وكان لا يؤمل الخلاص من هذا
السجن الا بواسطة ملك انكلترة اوملك فرانس الذين كانا متعاهدين
معه فاطهر الميل الى اعانة هنري على طلاق زوجته فلما خلاص من السجن
اظهر خلاف ذلك لانها كانت خالة الايمبراطور كان يدافع عنها اتم المدافعة
لجل هنري يرهب البابا تارة بالابعاد والتخويف وكان بالطبع هيويا
خوفاً وتارة برغبة بالوعد والتسويق فافهمه انه سيرفع قدر عائلته وقدره
بوعده بعد ذلك بمدة قليلة فلهذه الاسباب نسي البابا كليمان مصالح الملك
هنري ولم ير الاتفيذا غراض الايمبراطور حتى ترتب على ذلك تعرض مصلحة
الذين الروماني للاخطار والدمار حيث فعل ما يوجب انفصال ملك انكلترة

عن حزب كنيسة رومة وخروجه عن تبعيتها فكث البابا حولين كلين وهو يشاغل هنرى وبلاهيه بالمجادلات والتدقيقات التى كان ديوان رومة يتقها ويحسن استعمالها اذا اراد تطويل قضية او فسادها وعدم تضييعها وبعد ان سلك سبيل الخداع والسياسة العويصة المشكلة التى تعسر حلها وتوجيهها على مؤرخى الانكيز الذين تصدوا لهذا الغرض سلب القضية الذين كان قد اقامهم للحكم فى هذه الدعوى ما كان اعطاء لهم من التفويض فى حلها والقضاء فيها وجعل ذلك منوطا بديوان رومة فعلم الملك هنرى أن الامر قد صار منوطا بالبابا نفسه ولا يتم الطلاق الا بحكمه وحيث كان البابا اذذاك متحدا بالايبراطور كل الاتحاد لانه كان فعل معه مما يوجب المودة والمحبة ما يزيد عن الحد يس الملك هنرى وايقن انه لا يحكم الا بما عليه عليه الايبراطور وأأن حكمه لا يكون الا عن لسان الايبراطور ولكن كان يرى ان عدوله عن هذا الغرض بعد اشتغاره به مما يترزى بعرضه ففهم على سلوك طرق اخرى فى تضييعه على اى وجه كان لاسيما وكان مشغوقا بحب الاميرة اندوولان فرأى انه لا بد له من التعجب الى الملك فرنسيس واستعطافه حتى يتمكن أن يقاوم بطش الايبراطور ووصلته فلذا لم يله على كونه تحلى فى مشاركة كبريه عن كنوانمته احدى مع بل اهدى له مبلغا جسيما على سبيل المحبة والصدقة ليستعين به على فداء اولاده واشهدهم من يد الايبراطور

مطلب

نزول الايبراطور فى
ايطاليا ١٢ من شهر آب

وقد نزل الايبراطور ببلاد ايطاليا فى محفل عظيم من امراء اسبانيا ومعهم طائفة كبيرة من العساكر والجنود وكان قد قوض امر حكومة اسبانيا مدة غيبته الى الايبراطور دجه ايراليه وكان لطول مكته فى تلك المملكة قد تمكن من معرفة طباع الاسبانيول وعرف كيف يحكمهم باصول وقوانين ملائمة لعقولهم وطباعهم بل كان يسلك فى بعض الاحيان طرقا مألوفة للعامة وكان يجالس الناس حتى احبته الملة الاسبانيولية بتماهما وقبل ارتحالها الى بلاد ايطاليا بأيام فعل امر اغريسايدل على انه كان يود

تخيب الملة اليه ويسعى فيايسر هاوهواه كان قد دخل في محفل عظيم بمدينة
برسلونه وكان اهلها لا يدرون هل الأتيق أن يتلقوه بقلب الإمبراطور او بقلب
القوسة دوبرسلونه فأتى شرلكان القلب الثاني مظهرا أن هذا القلب
القديم أكثر شرفا له من التاج الإمبراطوري فحصل لهم بذلك مزيد السرور
ونلقوه مع غاية الفرح والابتهاج وبايعته مشورة وكلاءه اقليم برسلونه على
الاستياد والطاعة لابنه فيليش بوصف كونه وارث قوية برسلونه
وبايعه بمنزلة ذلك سائر ممالك اسبانيا

وكان نزول الإمبراطور بيلاد ايطاليا مع ابيه الفاتحين واقتصار الفالبيين
واحتفال الظافرين فكان رسل ملوك هذه البلاد يذهبون وراءه ابتهاجا توجه
و ينتظرون ما يقضى به عليهم وأول بلدة نزلها من بلاد ايطاليا هي جنويرة
فتلقى فيها مع الفرح انتام والتليل العام حيث كان حاضرا حتى حرثها واتحف
الامير دورية بعدة علامات من علامات الشرف وانعم على جمهورية
جنويرة بمزايا وخصوصيات جديدة وبعد ذلك توجه الى مدينة بولونيا
ليقابل البابا فدخل بهذه المدينة باحتفال عام يليق بمقام الإمبراطورة ومع هذه
الابهة اظهر التواضع والخضوع للكنيسة كأحد أتباعها وذلك انه وان كان
معه عشرون الفايكنه بهم أن يتقلب على بلاد ايطاليا خزا ساجدا أمام البابا
وقبل اقدامه مع انه قبل ذلك بأشهر قلائل كان اسيرا عنده وكان اهل ايطاليا
لما حصل لهم من الاساءة والاذى من عساكره يتصورون انه مثل ملوك
الهنود و القوطيين المتبررين حيث انهم لم يضرُوا ولا دهم اكثر مما اضر
يهاساكره فحصل لهم غاية التمجيد حين رأوه لطيفا مألوفاً ذات باساة وظرف
لطيف الاطوار وحسن الخلق متواضعا للكنيسة ومحافظا على خط دعائم الدين
وشعائره وازدادت تجميم حين اصلى بين الامراء ودولهم واطهر في هذا الشأن من
العدالة والانصاف والملاطفة وعدم القرض ما لم يكن يؤمل فيه حيث كانت
تلك الدول اذ ذل الأسيرة بطشه ولوشاء قتلها

وحين سافر شرلكان من بلاد اسبانيا لم يكن في يده أن يفعل هذه الاشياء

في • نشر الثاني

مطلد

ملاطفة الإمبراطور

واسبانيا

سنة ١٥٢٩

١٣ من شهر ايلول

١٦ من شهر تشرين الاول

العجبة التي لا تشأ الا عن كل نفس منزوعة عن الطمع بل كان يظهر منه انه معمم على اعتنالم كل فائدة والنقاط كل ثرة تسرت له بسبب ما نبت له في ايطاليا من الفقر والصره ولكن ظهر له عدة مقتضيات حلت على العدول عما كان معمما عليه وذلك ان السلطان سليمان كان قد انتقل من بلاد الجبل الى بلاد الاسكندرية ووضع الحصار أمام مدينة صيدا ومع جيش يبلغ عدده مائة وخمسين الفا رأى الاميراطور انه يجب عليه أن يجمع قواه وعساكره حتى يقدر على مقاومة جيوش الاسلام التي كانت كسيل العرم لا يمكن رده ولا تحويله ثم ان السلطان سليمان نلبه وزيره وشجاعة الالمانيين ومنزله الامير فرديناند كانت تلجته الضرورة الى رفع الحصار والعدول عن مشروعه على وجه يزدى شهرته ويضرب مصالحه ومع ذلك كان حضور الاميراطور لبلاد المانيا مما لا بد منه لاجل ازالة التعكيرات التي كانت حاصله فيها بسبب المجادلات والمنازعات الدينية * وكان اهل فلورنسة لم يرضوا باعادة دوميديس حسب ما تعهد به الاميراطور في مشاركة برسلونة فتأهبوا لان يدافعوا عن حرمهم بالسلاح وكان قد جهز مواد كثيرة لسفره وبذل فيها مصاريف زائدة عن حد العادة وكانت مصالحه اذ ذلك جسيمة وبارادته قليلة فاضطر الى تصديق دائرة مشروعه الواسعة التي كان عازما عليها وترك جلب مصالح محققة مجزوم بها لخدمة مفسد لا يمكن اجتنابها وان كانت بعيدة فلهذه الاسباب رأى الاميراطور انه يجب عليه اظهار الملاطفة وعدم الطمع وقد احسن تدبير هذا الامر فاذن للامير سفورس أن يحضر بين يديه وعفائه واغنى عما فرط منه وجعله كما على دوقية ميلان وزوجه بنت اخيه اعنى بنت ملك دانيماركة ورضى بأن ترد الى دوق قرارة سائر الاراضي التي كانت سلبت منه وانتهى المنازعات التي كانت حاصله بين هذا الدوق والبابا وسلك في ذلك سبيل العدل والانصاف وان لم يرسر البابا بذلك واصطلح ايضا مع اهل البنادقة على أن يردوا سائر ما تغلبوا عليه في الحرب الاخير من مملكة نابلي وبلاد الباپا وفي مقابلة هذه

الاضامات الجزيلة طلب مبلغ جسيمة من سائر الدول التي تشارط معها حيث قد فعلته تلك المبالغ بدون توقف ولا مهلة فامكنه بذلك أن يسافر الى بلاد المانيا مع الابهة والاحتفال اللائق بمقامه

وبهذه المشاورات تم الصلح لبلاد ايطاليا بعد حرب طويلة كان معظم مشاقه عليها واتسرت تلك المشاورات في احتفال عام بمدينة بولونيا في اول يوم من سنة ١٥٣٠ سنة ودخل بها على كافة الناس القرح والسرور ونكر وافضل الإمبراطور واثنوا عليه الثناء الجليل في نظير كرمه وحلمه حيث انهم عليهم بالصلح الذي كان اقصى مرامهم وغاية بغيتهم منذ مدة مديدة ما عدا اهل فلورنسة فانهم لم يقاموا غيرهم في تلك المسرات لانهم لغيرتهم على حريتهم كانوا لا يتصرفون في العواقب فصمموا على مناقضة الإمبراطور فيصيب عائلة ميديسبس ثانيا في بلادهم فوجه الإمبراطور جيشه اليهم ووضع الحصار امام فتحهم قضى عنهم احرابهم وحلفاؤهم وصاروا لا ينتظرون اغاثة من احر ومع ذلك مكثوا عدة شهر وهم يدافعون عن انفسهم ويقاومون اعداءهم حتى المقاومة ثم سلوا على شروط املوا بها بقاء بعض انا من حريتهم ولكن كان الإمبراطور نصيرا اليها باوطهرا لعائلته التي هي عائلة ميديسبس فخب آمالهم ومحاصورة حكومتهم القديمة وقلد اسكندر ميديسبس بالشوكة المطلقة التي كانت ثابته لعائلته الى ذلك الوقت في بلاد فلورنسة

وقتل في المحاصرة سرعسكر الإمبراطور وهو امير دورنجة وكان اسمه فيليبير دوشالون وبموته اسقطت املاكه والقابله الى اخته قلود دوشالون التي تزوجها الامير ربنه قوته ناسو واتت منه باولاد قتلوا لقب امير دورنجة الى عائلته فصار لهذا القرب من ذلك الوقت شهرة عظيمة

وبعد اشهار الصلح في بولونيا وتقيب الإمبراطور في محفل عام عظيم ملكا على اللبندية والإمبراطور الرومانيين لم يبق دافع للإمبراطور بحمله على الملك يبلاد ايطاليا فخرج على السفر الى بلاد المانيا لان حضوره بها كان لازما ضروريا وذلك أن النصارى القائلين واهزاب المذهب الجديد (مذهب

لوتير) كانوا يلحون عليه كل الإلحاح ويدعونه إلى الحضور لديهم وكان قد تمكن
 لأحزاب المذهب الجديد أن ينشروه ويوسعوا أثره مدة غيبة الإمبراطور
 ونزاعه مع البابا وحرصه مع مملكة فرنسا لأنهم كانوا في تلك المدة الطويلة
 لا يجدون من يعارضهم ويعكر عليهم حتى أن أغلب الأمراء الذين اتبعوا
 مذهب لوتير لم يكتفوا بإدخال العبادة والديانة الجديدة في بلادهم بل همروا
 رسوم الكنيسة الرومانية وأبطلوها بالكلية ونسج على منوالهم عدة من المداين
 الحرة حتى شوهوا أن نصف الجمعية الجرمانية قد انفصل بالكلية عن
 الكنيسة وفي البلاد التي لم تخرج عن طاعة الكنيسة كانت شوكة البابا
 قد ضعفت وتناقصت وضاع احترامه من قلوب أهلها وذلك إما لكونهم اقتدوا
 بما حصل من غيرهم في الدول المجاورة لهم أو لأن الدين الجديد كان قد نشأ
 في بلادهم سرّاً واخذ يهدم أساس الدين القديم خفية * ومع أن الإمبراطور
 كان قراحاً بتلك الحوادث لأنها كانت تشغل البابا وتوقعه في الارتباك مدة
 مشاجرته وحربه معه رأى أن عاقبتها تضر بالشوكة الإمبراطورية وذلك
 أنه لضعف سلفه من الإمبراطورة كان قد تجاسر على اتباعهم بالانقياس على
 حقوقهم ومزاياهم حتى أن شريكاً كان مدة حربه الطويل الصعب لم يأت له
 من بلاد ألمانيا امداد يعتمد عليه ولم يجد في المنصب الإمبراطوري إلا مجرد
 ادعاءات قديمة والقاب لا جدوى لها إلا الأبهة والغرور فرأى أنه إن لم يثبت
 لنفسه بعض المزايا والخصوصيات التي سلبت سابقاً من التاج الإمبراطوري
 لضعف أربابه من الإمبراطورة السالفة وبقي لقباً برئيس الإمبراطورية من غير
 أن تكون له الصولة اللازمة لهذا المنصب العظيم أوقعه هذا المنصب
 في مقاصد عظيمة ومشروعات جسيمة لا يستطيع تجميعها * ورأى أن أشد
 الأشياء ملوماً حتى يدرك هذا الغرض هو أن يبادر بإزالة تلك المذاهب الجديدة
 لأنه بما ترتب عليها بين أمراء الإمبراطورية عصية مهولة قوية الأسباب
 بحيث لا يمكن نقضها ورأى أيضاً أن أكثر الأشياء صلاحية لتنفيذ هذا
 الغرض هو أن يدافع عن الدين القديم لأنه هو حامي حماه بالطبع وذلك بكسب

سنة ١٥٣٠

مطلب

مشورة الديانة المتعقدة

بمدينة سيبر في ٥ امن

شهر اذار سنة ١٥٢٩

شوكه الداخلية ما يرجوه من العظم والقوة

فبنا على ذلك امر مجرود شروع في الصلح مع البابا أن تعقد مشورة الديانة
الاميراطورية في مدينة سيبر لتتذاك في امر الدين وما كان عليه
اذن ذلك وكانت مشورة الديانة التي انعقدت سنة ١٥٢٩ قد اباحت
مذهب لوتير فغضب من ذلك سائر التناصري وان كان الحسب بغير ذلك
في شأن هذا المذهب واهرا به عما يتزعم مزيد الحزم والاحتراص حيث كانت
القول اذ ذلك في اضطراب عظيم بسبب المحادلات الدينية التي كانت موجودة
منذ اثني عشر سنة وهي لا تخمد نيرانها ولا تفر لاحد من الفريقين المتجادلين
همة في شأنها فكانت وقد بلغت غاية الشدة والحجة وكان الناس قد عظمت
جسارتهم وتعدوا على اسباع البدع بسبب ما شاهدوه من الضاح في عدة
مشروعات تعبدت في عصرهم فكانت الاهالي قد ابطلت العبادة القديمة
وبدلتها بعبادة جديدة وازداد بغضهم للعبادة القديمة بسبب محبتهم للعبادة
التي تمسكوا بها وكان من داب لوتير أنه لا يقصر من مقاومة اعدائه ولا من طول
عنادهم بل كان يستعمل كل صعب ليفوز بالمرام ولا يزال يصمي العدو بسهام
الانتقام ولا تفر له همة ولا تنوقه الموانع وان كانت جنة وكان معظم
اصحابه منه حمية وعزما بل كان بعضهم يفضلهم معرفة وحرما فلم يكونوا دونه
في الاقتدار على ادامة الجدل بل قاموا بهوال هذا المجال وهذا وكان عدة
من اللايين بل وبعض الامراء لمباشرتهم لهذه المحادلات قد تعدوا
على المناقشة في براهين الفريقين حتى كان يرجع الاختلاف اليهم في الحكم
فوقروا بذلك على حقائق المسائل المحتف فيها وامكهم أن يتكشوها
ويتعقبوها واحسنوا الجولان في ميدان المشكلات السكولاستيكية
والعضلات التيبولوجيكية ولا شك أنه مع وجود تلك التفتضيات لوحكت
الديانة في شأن مذهب لوتير واهرا به غير ما سبق لغير الناس من بعضهم
وقامت بينهم فتنة بما اضمرت نيران حرب ديني ببلاد المانيا فن ثم اقتصر
الارشدوق وغيره من رسل الاميراطور على أن طلبوا من مشورة الديانة

سنة ١٥٣٠

أن تأمر دول الإمبراطورية التي كانت إلى ذلك الوقت تعمل بمقتضى الأمر بمخالفة لوتير الصادر من مشورة الديانة المنعقدة في مدينة ورمس سنة ١٥٢٤ بالاستمرار على العمل بمقتضى هذا الأمر وأن تأمر الدول الأخرى بأنهم الآن فصاعدا لا يتحدث شيئا في الدين ولا يتجرع القداس إلى الصلاة قبل انعقاد مشورة قسيسية عامة للمذاكرة في هذا الشأن فبعد منازعات كثيرة اتزجهور الديانة هذا الأمر وحكموا بإجرائه

فناقض في هذا الأمر منتخب سكس وملتزم برندبورغ وحاكم هيسة ودوقات لونبورغ وأمير انهالت ورسل المدائن الحرة والامبراطورية وكانت أربع عشرة (وهي مدينة استراسبورغ ومدينة فورمبرغ ومدينة أولم ومدينة هوستنسه ومدينة روتلنجان ومدينة وندهم * ومينوتنجان * ولادو * وكلمتان * وهلبرون * وأسنة * ومدينة ويسمبورغ * وورولنجان * وستغالة *) وأظهر واجيعا الخالصة وصممو عليها قائمين أن هذا الأمر محض اعتساف خارج عن العدل والانصاف واعتزلوا غيرهم فسموا بالبروتستانتية أي المعتزلة وقد اشتهرت هذه التسمية فيما بعد وصارت من شعار الشرف حين صار هذا اللفظ يطلق على كل من انفصل عن دين الكنيسة الرومانية وأتبع غير مذهبها ولم يقتصر المعتزلة على ذلك بل بعثوا رسالهم إلى البلاد الإيطالية ليفضوا شكواهم إلى الإمبراطور فلم يحسن ملاقاتهم وأظهر لهم من عدم الاعتناء ما كثر خوارهم وقررت به همهم حيث كان مع البابا وقتئذ على غاية من الاتحاد والاتشام فكان لا يبحث إلا عما يستميل البابا إليه حتى يعينه في مصالحه وقد وقعت بينهما المذاكرة مدة طامتها معا بمدينة بولونيا بإيطاليا في شأن ما يكون به معالجة الاعتزال واستتصال هذا الداء العضال من بلاد ألمانيا * ومن المعلوم أن البابا كان لا يخشون باسم الجمعيات القسيسية العامة فلذا كانوا يتخون عنهمهما المكن ويحاذرون انعقادها وكان البابا كليان خوافا ضعيفا بالطبع فكان أشدهم خشية منها فمجرد سماعه لطلب انعقادها ارتعدت

مطلب

مناقضة اتباع لوتير لهذا

الأمر في ١٩ من شهر

نيسان

مطلب

المذكرة التي حصلت بين
الإمبراطور والبابا

فرائضه وامتناناً فزعاور عباوصار يبدى للإمبراطور جميع ما تنسوله له نفسه
في منعه عن الأقدام على هذا الغرض فوصفه تلك الجمعيات بأنها ليست
الامتنان العصب والفق والتواخية لا يستطيع أحد أن يسوئها وانها مقبوضة
الحق في الصبر والعقوبات بابها المتعمون بعضهم غاية الالتئام فيضئ منها
على شوكة الملوك وانهم اذاً بطئ في امورها فلا تسعف بدواء هذا الداء الذي
يلزم الاسراع بمعالجته وقال له ان التجربة قد افادتنا أن الحلم لا يبرح المبتدعين
بل يقوى قلوبهم فيلزم أن يسلك معهم مسلك الجهل والخبر حتى يسلم الدين
من الخطر الذي هو عرضة له وأن يشدد في اجراء حكم الحرم والطرد الصادر
من البابا ليون العاشر واجراء الامر الصادر من مشورة الديانة
المنعقدة بمدينة ورمس وقال ان ذلك من واجبات الإمبراطور فيحق عليه
أن يوجه صولته النافذة لقمع العاصين الذين هتكوا حرمة الشوكة القيسية
والشوكة الملوكية ولكن كانت ما رتب الإمبراطور غير ما رتب البابا فكان يرى
أن الداء قد تمسك من وصار عرضا فلم يستحسن الا كونه يسلك مسلك الرفق
واللين في رد المعتزلة عن ابتداعهم وعقائدهم المخالفة للدين ورأى أن انعقاد
مشورة قيسية عامة من الوسايط الصالحة لبلوغ مرامه غير أنه وعد البابا
بأنه ان لم ينفع صولته طريق الرفق والملاطفة يسلك مسلك القسر والخبر ويضع
بشديد بطشه وبأسه كل عدو ابغى غير الدين القانوليقي

مطلب

حضور الإمبراطور في

مشورة الديانة المنعقدة

بمدينة او كسبورغ في ٢٢

من شهر اذار سنة ١٥٣٠

١٥ من شهر حزيران

ثم صامر الإمبراطور من إيطاليا الى بلاد ألمانيا مصر اعل ذلك بعد
أن عين مدينة او كسبورغ لانعقاد مشورة الديانة وفي اثناء سفره تحقق
من آراء اهل ألمانيا في شأن المسائل الخلافية بين المعتزلة وكنيسة رومة
فظهر له أن عقائد المعتزلة قد انطبعت في عقول الناس وعكست من قلوبهم بحيث
لا يسوغ له بأى وجه كان أن يسلك معهم مسلك الخبر والقوة الا بعد سلوك
طرق اللين والملاطفة حتى يأمن ثم دخل مدينة او كسبورغ في احتفال
عظيم واجبة عجيبة فوجد فيها مشورة الديانة منعقدة وهي لهيئة اربابها
وجلاله قدرهم وكثرتهم في ابهة وروث يعادل اهمية المصالح التي هي منعقدة

للمذاكر في شأنها وكان لهم مقصد آخر بعد هذا وهو زيادة رونق احتفال
 الإمبراطور حيث أنه بعد غيخته مدة تمسك به عن بلاد ألمانيا وجع إليها
 يرقى في ثياب السعادة والتخبر والسيادة ور بما قيل أن حضور الإمبراطور لديهم
 أنزل السكنية في قلوب القشاحين حتى صاروا مستعدين للصلى وإبطال النزاع
 فلم يأذن منتصب سكس إلى لوتير أن يعصبه في الحضور إلى تلك المشورة
 خوفا من غضب الإمبراطور إذا رآه لأنه كان محكوما عليه بالخمران من طرف
 البابا وكان سببا في القتل والشقاق الذي كان حاصلًا اذ ذلك في الإمبراطورية
 وغيرها وقد حصل أيضا أن سائر الأمراء المعترلة اجابة لأمر الإمبراطور منعوا
 علماء اللاهوت أن يعظوا الملا بأبشاع الدين الجديد مادام الإمبراطور بمدينة
 أوكسبورغ، ولهذا السبب اتضمو من بينهم الشهير ميلختون وأباطوه
 بأن يحترصوا عقائدهم الدينية على وجه حسن ويفرغها في قالب مستحسن
 حسب الامكان حتى لا تفيض القانوليين أي التمسكين بدين الكنيسة الرومانية
 وشرطوا عليه أن لا يكتم الحق وإنما خصوه بذلك لأنه مع فوفائه عليهم في العلم
 كان احسنهم خلقا وأكثرهم سكنية حتى أنه في تأليفه الجدالية كان لا يعتد
 حدود الأدب فتكمل بهذا الغرض الملايم لطبعه ووفى به حق التوفية فخر
 تلك الصورة المسماة بعقائد أوكسبورغ لأنها عرضت على مشورة
 الديانة بهذه المديسة وقرئت امام اربابها فأنيط بعض علماء اللاهوت
 القانوليين بالبحث فيها فوكت المناقشة بين الفريقين واشتد الجدال بينهم
 وبين ميلختون وبعض علماء من اصحابه وبعد المناقشات الطويلة
 والجدالات رضى ميلختون أن يعذب بعض مواد من هذه الصورة وأن
 يساهل في بعض مسائل أخرى وأولها كلها باسأيل لا تفيض القانوليين
 وبذل الإمبراطور جميع جهده في الاصلاح بين الفريقين ومع ذلك ظهر
 أن الاسباب الموجبة للقتل والشقاق بين الدينين ما زالت قوية أكيدة بحيث
 لا يرجى تأليف بين قلوب الحزبين

فلما رأى الإمبراطور أنه لا يمكنه انغام علماء اللاهوت وجه خطابه إلى الأمراء

مطلب
 عقائد أوكسبورغ

سنة ١٥٣٠

الذين كانوا يدافعون عنهم وكان هؤلاء الامراء يرغبون في الاصلاح بين
 الفريقين خصوصا لاجل رضا الإمبراطور حيث كان ذلك مرغوبه ومع ذلك
 وجد الإمبراطور أن هؤلاء الامراء يتمتعون من عقائدهم ومذاهبهم كالعلماء
 فلا يمكن تقويمهم عنها وكانت العقول اذذاك في شأن الدين مضطربة واضطرابا
 بحيث لا يستطيع تصوّره في ذالذ العصر وذلك لان شغف الناس بمعرفة
 الحقيقة وبالحرية تاقص ولم يبق على صورته الاولى فكانت الحمية اذذاك
 عظيمة جدا بحيث كانت تظهر على المصالح السياسية التي هي عادة مطمح قطر
 الامراء والملوك كيف لا ومنقب سكر حاكم هبه وغيرهما من
 رؤساء المعتزلة ابواجيها أن يتركوا تصدعات الحياة الدنيا ما هو عندهم عين
 الحقيقة والصواب ويعتدونه من حقوق الملك الوهاب واظهروا في ذلك همة
 عجبية جدية بأن تكون اسوة يقتدى بها الجميع مع ترجى الإمبراطور لكل
 واحد منهم على حدته واستمالتهم بالمواعيد وترغيبهم بمصالح سياسية كانوا
 يرغبون في نيلها كل الرغبة

فلما وجد الإمبراطور أنه لا سبيل الى استعطف المعتزلة او إيقاع الشقاق بينهم
 بالرفق واللين رأى أنه لم يبق لذلك وسيلة الا أن يسلك معهم مسلك البأس والقوة
 ليمنع من دين الكنيسة الرومانية وبعض مذاهبها هذا وكان كميحة
 نائب البابا بالبرل يبرهن للإمبراطور على أن غير القوة لا يتفق مع هؤلاء الرافضة
 المعادين فجضت مشورة الديانة الى الخاحه وابرامه وصدر منها فرمان
 بتخطئة اغلب مذاهب المعتزلة والتي عن محاماة من يعظيها ويدعو الناس
 اليها وبالزام الناس بالتمسك بالدين القديم والتخلي عن الدين المبتدع وكل
 من خالف ذلك عوقب يعقوب بشديدة مبينة هناك وكان يجب على كل انسان
 من ارباب المشاور والمناصب أن يذلل نفسه وماله ليعين على اجراء ما في هذا
 فرمان وتنفيذه وكل من لا يعمل بمقتضاه يحكم عليه بأنه لا يصلح لتصب
 القضاء او المشورة الإمبراطورية التي كانت اذذاك اعلى دواوين الإمبراطورية
 اللمانية وذكر في هذا فرمان أن البابا بعد ستة اشهر يجمع مشورة قسبية

مطلب

الفرمان الصعب الصادر

في حق المعتزلة

٩ من شهر تشرين

الثاني

عامة لتثبت امر المشاجرة في الدين

فادركوا المعتزلة من هذا فرمان الصعب الفزع والخوف وعدوه فأنه لا سامتهم
واضرارهم اشد الضرر وايقنوا أن الاميراطور قد صمم على تدميرهم فلما صارت
احزاب المعتزلة عرضة للاهوال والاطخار قرت همه العالم ميلفتون
لا سيما وكان ضعيف العزم بالطبع وتلاشت قوته واضمحل عزيمته حتى كان
مشرورهم صار ميؤسامة لا يرجي له نجاح ولا قلاح واخذ يتأسف ويتندم
الآن لوتير مدة انقضاء مشورة الديينة كان لم يرل بعض حربه ويقوى
عزمه بعدة تا كيف اذ اعما بين الناس ولم يحصل له ادنى فزع من صدور فرمان
السابق فتوى تا ساعزم ميلفتون وبعض افراد اخرين من اصحابه كانوا
ايضا قد قرت همهم وارتعدت فرائصهم * وحرض الامر ا على أن لا يهاولوا
مذاهب المعتزلة التي هي عين الحقيقة والصواب اذ لا يليق ذلك بهم بعد أن مكثوا
مدة وهم يدافعون عنهم الثبات والعزم الجدير بالمدح والثناء فانزعدهم
تأثير اعظما وغلب ذلك على ما بلغهم في اثناء هذه المدة من أن الامراء القائلين
قد تعصبوا وتحزبوا مع بعضهم لبعضدوا الدين القديم وأن الاميراطور من جملة
ارباب هذه العصبة فرأوا أنه يجب عليهم أن يحتسروا كل الاحتاس ليكونوا
في أمن من اخصاصهم ورأوا أن كلام من منهم ونجاح قضيتهم موقوف على
التسامهم واتحادهم مع بعضهم ولما كانوا يحشون بأس عصبة القائلين
وكاؤا مصممين على ما استحسنوا سلوكه في هذا المعنى اجتمعوا بمدينة سمالكالد
وعقدوا بها عصبة لمداخعة من يتعدى عليهم وصارت جميع الممالك
المعتزلة في الاميراطورية بموجب هذه العصبة حزبا واحدا واتحدت مع بعضها
كل الاتحاد وعزموا على أن يكتبوا الى ملكي قرانسا واتكلمة ليستعينوا
بهما ويدعوهما الى تعضيد عصبتهم الجديدة

وقد حصلت حادثة لا تخص الدين في شيء ففعلوا بها في الاستعانة بالملوك
الاجاب وتلك الحادثة هي أن الاميراطور شرل كان لما كان طمعه يزيد
بزيادة عظمه وشوكة اراد أن يجعل الساج الاميراطوري وراثيا في عائلته

سنة ١٥٣٠

مطلب

عصبة المعتزلة المتعقدة

بمدينة سمالكالد

٢٢ من شهر كانون الاول

مطلب

عرض الاميراطور أن

يجعل اخاه ملكا على

الرومانيين

سنة ١٥٣٠

فجئ في جعل اخيه فرديند ملكا على الرومانيين وكانت مقتضيات
الاحوال اذ لمساعدة على تخيير هذا الغرض وذلك أن النصر دائما كان
حليف اسلحته فانه في الصلح الاخير صار له صولة عظيمة على سائر بلاد الافرنج
حتى لم يبق له فيها من يقاومه او يعطل نجاح اسلحته فكانت له هبة عظيمة
عند الامراء المتخفين بسبب نجاحه ونصرته وازداد شوكرته ووصلته فكانوا
لا يستطيعون الاقدام على مخالفة هذا الملك الذي كان له العتاسة الشئ الزامابه
على أنه كان يبدى اسبابا مقبولة اعانته على بلوغ مرامه فكان يفيد أن مصالح
عماله الاخرى توجب غيخته في اغلب الاوقات عن بلاد المانيا وأنه يجب
أن يكون فيها على الدوام ملك ذو حرم وتدبير ليزيل ما بها من الاختلال
الناتج عن المشاجرات الدينية ويكون بمكان من الشجاعة وعنده من العساكر
ما نصيره الامبراطورية آمنة من الدولة العثمانية التي هي قريبة منها ويحشى
من اغارة جيوشها عليها في كل وقت حيث لا تدخل في مملكة الا وتظفر بها
وتخربها وكان اخوه فرديند جامعا لتلك الصفات لا يفوقه فيها غيره
وكان لطول مكثه ببلاد المانيا قد وقف على حقيقة احوالها وعمكن
من طباع اهلها واخلاقهم وكان قد عاين منشأ المشاجرات الدينية وزاولها
من مبدها فكان اعلم من غير مبدواها وادري بأسهل الطرق في علاجها وبالجملة
فكانت دوله متصلة بضواحي الدولة العثمانية فهو الاخرى بمدافعة جيوش
تلك الدولة عن بلاد المانيا فاذا جعل ملكا على الرومانيين واهتت مصلحته
ما يجب عليه من معارضة جيوش الاسلام اذا ارادوا الاغارة على عمالك
النصارى

سنة ١٥٣١

مطلب

معارضة المعتزلة في جعله
ملكاً على الرومانيين

ولكن المعتزلة لم يقبلوا هذه الاسباب لانهم عرفوا بالتجربة أنه لم يساعدهم على
نشر مذاهبهم الا الفترة التي مضت بعد موت الامبراطور مكسيليان وطول
غيبه شرلكان عن الامبراطورية والتراخي في تدبير مصالحها بسبب
هذين الامرين فكان لهم مصلحة عظيمة في الفترة ويخشون أن يولي عليهم ملك
عقب الملك الاول بلا تراخ وادركوا مطامع شرلكان في هذا المعنى وعرفوا

سنة ١٥٣١

٥ من شهر كانون الثاني

مطلب

انتخاب فرديند وتوليته

مطلب

مداولات المعتزلة مع

مملكة فرانسا

١٩ من شهر شباط

ان قصده هو أن يجعل التاج الايمراطورى وراثيا في عائلته وأن يصيره في الايمراطورية شوكة مطلقة لم تثبت لغيره من ايمراطرة المانيا مع السهولة فصمموا على أن يعارضوا كل المعارضة في تولية فرديند حتى يقتدى بهم ابناء وطنهم ولا يرضون بهذا الامر الذي يضرب بحزبتهم فابى الامر منتخب سكس أن يحضر مشورة المنتخبين التي عقدها الايمراطور بمدينة كولونيا بل ارسل اليه البكرى وامره أن ياتقض في انتخاب فرديند ويبدى أن ذلك مخالف للقوانين والرسوم والبنود المذكورة في فرمان الذهب حيث انه يودى الى ازالة حرية الايمراطورية ولكن كان الايمراطور قد استمال بقية المنتخبين وان كان ذلك مع المشقة والصعوبة التامة فلم يعبأ وبعد حضور منتخب سكس ولم يلتفتوا الى مناقضة ابنه بل جعلوا فرديند ملكا على الرومانيين وليس التاج بعد ذلك بايام في مدينة اكسلاشيللا

وكان المعتزلة قد اجتمعوا لانيا بمدينة سمالكالا فبلغهم خبر هذا الانتخاب وبلغهم ايضا أن الديوان الايمراطورى شرع في تدبير امور سياسية في شأن اصولهم وعقائدهم الزائفة فأروا انه يلزمهم تجديد عهد عصمتهم الاولى وتأكيدها وأن يعيشوا وسلمهم الى مملكة فرانسا واتكلمة ليكونوا في حزمهم وكان الملك فرنسيس قد قامت به غيرة عظيمة من الشهرة التي اكتسبها الايمراطور بعده الذي تنابى به في الاصلاح بين دول ايطاليا كاتقدم وحصله ايضا غيظ عظيم حين بلغه تولية اخيه ملكا على الرومانيين وازداد تحيره وتلقص من نجاح الايمراطور في هذا الامر الذي به يدوم حكمه ببلاد المانيا ويعظم بطشه وبأسه لكنه رأى من عدم الصواب أن يوقع ملته في حرب جديد مع ضعف قواها في الحروب السابقة وفقر همتها في وقائع عديدة لاسيما ان شرع في الحرب قبل أن تجمع قواها وتنسى ما حصل لها من الخسارة وما حل بها من المصائب والاهوال ومن جهة اخرى كان لا يمكنه قرض مشاركة الصلح التي كان قد طلبها بنفسه من الايمراطور ورأى انه بذلك يكون عرضة للقسوط من اعيان الناس ويضيع احترامه واعتباره

سنة ١٥٣١

في بلاد أوروبا وبشتهربانه لاشرفه ولاعرض وانما انشرح صدره
حين رأى في بلاد أوروبا احرابا قويه ذات شوكة ووصولة تعصب على خصمه
شرلكان فكان يصنفى لمن يتشكى اليه من امراء المعتزلة ولم يظهر منه
ما يكون به تأييد مذاهبهم الجديده ومع ذلك كان يضرم سرائير القن
السياسية ليكن بينهم وبين الامبراطور اسباب التفاقم والشقاق فارسل لهذا
الغرض الى بلاد المانيا الشهير غليوم دويلى وكان من امهر ارباب
المدالات والمديرين في مملكة فرنسا فذهب الى دواوين الامراء المغتاطين
من الامبراطور وداهنهم حتى ازداد غيظهم من شرلكان وعقد معهم
معاهدة باسم سيده الملك فرنسيس ومكنت هذه المعاهدة خفيه لم يترتب
عليها غرة في ذلك الوقت الا انها كانت سببا في الارتباط والاتحاد الذى حصل
بين ملك فرنسا وهؤلاء الامراء وكان في الغالب خطرا على الامبراطور
حيث علم به امراء المانيا المغتاطون الجهة التي يجدون بها نصير اقوى
الشوكة والبطش يستغشون به من الامبراطور عند الضرورة والحاجة
وكان ملك انكلترة في غيظ عظيم من الامبراطور شرلكان لانه كان يعلم
أن البابا انما اخرا الحكم بطلاق زوجته ومكث مدة طويلة وهو يداهنه ثم رده
بالكلية وعارضه في صحة الطلاق لكون الامبراطور اغراه على ذلك فكان
مستعذرا لان بعض ذلك العصبية التي كان من الممكن أن تصير في العواقب
مهولة على الامبراطور غير أن طلاق زوجته كان اجل مقاصده يومئذ فكان
ملتفتا اليه قاطعا نظره عما عداه وزيادة على ذلك كان مشغولا بازالة ما كان
اللباسا في مملكة انكلترة من نفوذ الكلمة فلم يكن في وسعه أن يلتفت الى
الامور الاجنبية اى الى المصالح التي تكون خارج مملكته فاقصر على
وعدا امراء المانيا بمواعيد مجملته وانما امدا الامراء المتعاهدين بمدينة سمالكالدا
ببلجيسير من الاموال

ولكن كان الامبراطور يرى أن الوقت حيثئذ غير صالح لان يسلك فيه مسلك الشدة
والعنفوان فيقع المعتزلة وردعهم عن الاعتزال وخروجهم عن دين الكنبسة

مطلب

مداولة المعتزلة مع ملك

انكلترة

مطلب

مداينة شرلكان للمعتزلة

سنة ١٥٣١

وكان يرى أن مراعاة البابا قد اضلته عن سبيل الصواب والرشاد وواقعه
فيما لا يلائم السياسة ومقتضيات الاحوال اذ ذاك وأن مصلحته تقتضي
أن يؤلف بين بلاد ألمانيا حتى تكون جبهة واحدة فتزداد قواها ويقوى
عزمها لأن يقع فيها الشقاق والتضام ويضعفها بالفتن والحروب المدنية
وكان المعتزلة اذ ذاك قد تكاثروا وازدادت حجتهم وصار يخشى باسم
الاسما بعد المعاهدة التي عقدوها مع بعضهم في مدينة سمالكالده بسبب
خوفهم وفزعهم من الامر الصعب الذي صدر في شأنهم من مشورة الديانة
المتعقبة بمدينة أوكسبورغ هذا ولازدياد شوكتهم وكثرة عدد احرابهم
تقوى قلوبهم ولم يكتفوا بما حكم به ديوان الامبراطور في شأنهم حتى انهم
لما ظهرت لهم الاعانة من طرف الدول الاجنبية تأهبوا لان يتكوا حرمه
الامبراطور ان لم يرجع عن ايدائهم وكان صلح الامبراطور مع مملكة فرنسا غير
متين وكان الامبراطور لا يعول على محبة البابا لانه بالطبع خامل قليل العزم
وله مصالح خصوصية لا يعدل عنها لنفع غيره وكان يعلم ايضا أن السلطان
سليمان كان مشغولا بتجهيز جيش عظيم يدخل به بلاد النمسا ليزيل به
المعزة التي لحقته بانهزاه في حربه الاخير كما سبق فكل هذه الاسباب لاسيما
السبب الاخير منها جعلت الامبراطور على أن يصطلح مع الامراء المغتاطين
اذ يدون ذلك لا يمكنه تغيير مقاصده في المستقبل ولا يكون في الحال امتناعا على
نفسه فشرع في المداولة مع الامير متعب سكس وحرابه وكان هؤلاء الامراء
يفارون من بعضهم كما كانوا مغتاطين من الامبراطور فـ كشوامدة طويلة
وهم شذاكرون في هذا المعنى المتعلق بامر الدين كما هو العادة في مثل ذلك
لان امور الدين لا يمكن التساهل فيها كالاغراض السياسية ولكن بعد التوقف
الكلي والتراجع التام انتهت المداولة وحصل الاتفاق بمدينة نورامبرغ على
شروط الصلح وأقرت على رؤس الاشهاد بمشورة الديانة المتعقبة بمدينة
رانبورن وهذه الشروط هي أن يبقى الاثنان العام في بلاد ألمانيا حتى
تتبع مشورة قيسية عامة يسعى الامبراطور في عقدوها ويعمل لذلك ستة اشهر

مطلب

الشروط المتعقبة بين
الامبراطور والامراء
المعتزلة في ٢٣ من شهر
نوز (٣ شهر آب)

سنة ١٥٣١

وأن لا يحصل لاحد ضرر في شأن الدين وأن توقف الاحكام التي تصدر من ديوان الإمبراطور في شأن المعتزلة وأن جميع الاحكام التي صدرت قبل ذلك تكون ايضا موقوفة بدون اجراء حتى تتخذ تلك المشورة هذا من جهة الإمبراطور واما المعتزلة فالتزموا أن يعينوه بما في وسعهم على طرد جيوش الاسلام * فانظر كيف امكن للمعتزلة بنيتهم والتسامح في تعضيد دعواهم ومهارتهم في توريث الإمبراطور بمقتضيات الاحوال أن سألوا شروطا كادت تكون اباحة لدينهم حيث ناهل لهم الإمبراطور في امور كثيرة وهم لم يتساهلوا له في شيء حتى انه لم يقبض اسر على أن يلتمس منهم اقرار تولية اخيه ملكا على الرومانيين مع أن هذا الامر كان اهم الامور عنده اذذاك ومن وقتئذ صار معتزلة ألمانيا اولى اعتبار عظيم وصار لهم كلمة نافذة كأنهم وجاه سياسي خطر معتبر مع أنهم قبل ذلك لم يكونوا الا طائفة معتزلة لا اعتبار لها

سنة ١٥٣٢

مطلب

الجهاد في بلاد البحار

وبعد ذلك بقليل بلغ الإمبراطور شرلكان أن السلطان سليمان دخل بلاد المحار مع جيش جرار يبلغ ثلاثمائة الف ورجل فجهل بانها مذاكرات مشورة المدينة التي كانت اذذاك منعقدة بمدينة رانسبون وبن فيها مفادير العساكر والنقود التي يجب على كل امير أن يقوم بها لاجل المدافعة عن الإمبراطورية وقد بذل المعتزلة في هذا الامر غاية وسعهم مكافأة للإمبراطور ووفية بشكره والتناء عليه فامدوه بعساكر أكثر مما فرضه عليهم وتأسى بهم القساول يقيمون فاجتمع تحت اسوار مدينة وبانة جيش عظيم كل من اكبر واهم الجيوش التي اجتمعت ببلاد ألمانيا الى ذلك الوقت فانضم اليه طائفة عظيمة من قدماء العساكر الاسبانية والاطالية يقودهم الملتزم دوغواست وانضم اليه ايضا عدة طوائف من الخيالة الثقيلة بمجموعة من مملكة البلاد الواطية وانضم الى ذلك ايضا عساكر اخرى جمعها الملك فردينند اخو الإمبراطور من اقليم جه واطليم الاستروسيا وغيرهما من اقاليم بلاده فبلغ عددها هذا الجيش ثمانين الف رجل من المشاة

سنة ١٥٣٢

شهر ايلول وشهر تشرين
الاول

في ١٦ من شهر ابر

مطلب

مقابلة الامبراطور للبابا
عند رجوعه الى بلاد
اسبانيا

المنتظمة وثلاثين الف من القرامن ومقدارا آخر جيا من العصا كسر الغير
المنتظمة وكان هذا الجيش العظيم جديرا بأن يجعل عليه رئيس من اعظم ملوك
التصاري فلذلك اراد الامبراطور أن يكون هو الرئيس عليه ومكثت بلاد
اوروبا مشوقة غاية التشوق الى معرفة عاقبة هذا الحرب بين هذين الملكين
الذين هما اعظم ملوك عصرهما ولكن لما كان طالع كل منهما سعيدا وكاما
يمكن من الشوك والصولة سلكا مسلك الاحتراس من بعضهما وصار كل
منهما يحشى الآخر حتى ان هذه الغزوة بعد التجهيزات العظيمة والاستعدادات
الجسيمة لم يحصل فيها واقعة تذكر وذلك أن السلطان سليمان لما رأى انه لا يمكنه
الظفر بالامبراطور حيث كان دائما متيقظا محتسبا رجع الى القسطنطينية
في اواخر فصل الخريف ومما ينبغي التنبيه عليه هو أنه في ذلك العصر وان كان
كل من الايمان عسكريا وكل ملك قائدا لم يقدا الامبراطور عساكره الا هذه
المرة وان كان قبلها قد حارب حروبا طويلة وانصرف صراة جليلة ومع ذلك
فكفاه غفرا كونه تصدى لمقاومة السلطان سليمان وحاز السوود والفتار
بقصاحه في هذا المشروع الطر

وفي اوائل هذه الغزوة مات منتخب سكس خلفه ابنه الامير حنا فريدريك
وبعد موته لم يحصل ضعف للذهب لوتير بل اتسعت دائرته وحصل له التقدم
والتمكين وذلك أن ابنه لم يكن دونه في الميل الى هذا المذهب والتسلط به فانه
لما خلفه حل محله بين المعترلة وصار رئيس عصابتهم وكان في عنفوان شبابه
فجعل يدافع مع جسارة الشبان وحيث تم عن هذا الدين الجديد الذي كان
آبائه من قبله قد عضدوه وشيدوا دعائمه بما وورثته لهم التجربة من الحزم
والتبصر

وكان الامبراطور ومتشوقا الى روية اسبانيا فبجرد رجوع جيوش الاسلام
الى القسطنطينية سافر اليها وجعل طريقه بلاد ايطاليا لانه كان يود
مقابلة البابا لتقابل في مدينة بولونيا واطهر البعضهما من الاحترام
والحبة ما كانا ابدا في المقابلة الاولى غير أنهم لما يكونا انذاك ياتان بعضهما

سنة ١٥٣٢

مطلب

ما حصل من المداوات

في شأن انعقاد مشورة

قسيية عامة

كما كان عليه في المرة الأولى بهذه المدينة وذلك أن البابا كليمان كان قد اغتاظ
 بمسلك الإمبراطور في المشورة التي انعقدت بمدينة اوكسبورغ فانه
 لما رضى بعقد مشورة قسيية عامة اضاع بذلك ما كان له عند البابا
 من المحبة بسبب فرمان الصعب الذي كان صدر منه أولاً في حق المعتزلة وثم
 سبب آخر اغضب البابا أكثر من ذلك وهو أن مشورة الديانة المنعقدة
 بمدينة رانسبورن وخصت للمعتزلة في مذاهيم وأن الإمبراطور التزم لهم
 بأنه سيطلب عن قريب عقد مشورة قسيية عامة ومع ذلك فلما كان
 الإمبراطور متيقناً أن المشورة القسيية تكون عظيمة الجدوى وكان يود
 استعطف قلوب أهل ألمانيا واستمالهم اليه المالح على البابا في مدينة بولونيا أن
 يخرج ما كان قد طلبه منه وبعث اليه رسلاً في هذا الشأن وطلب منه أن يسعى فوراً
 في جمع مشورة قسيية فلتحق البابا بحيرة من هذا الطلب حيث كان لا يمكنه رده
 بوجه حسن ولا اجابته من غير أن يضرب نفسه فجعل أولاً يبذل جهده في تحويل
 الإمبراطور عن هذا القصد فلما رأى أنه لا يحول عن ذلك اخذ يبلط معه مسلك
 التحيل والتداع ليفسد عليه هذا الغرض او يتراخى فيه حتى يتسع معه الوقت
 ويجمع امره فتعلل بأنه ينبغي أولاً المذاكرة مع الفرق المتشاحنة في شأن تعيين
 محل انعقاد المشورة وصورتها وتعيين من له الحق في حضورها ودرجاتهم
 في الآراء وبناء على ذلك أقام نائباً عن نفسه وارسله مع رسول من طرف
 الإمبراطور إلى الأمير منتخب سكس لأنه كان حينئذ رئيس المعتزلة فنشأ
 في شأن كل من هذه الامور المذكورة منازعات ومجادلات شديدة فكان المعتزلة
 يريدون أن يكون انعقاد المشورة ببلاد ألمانيا وكان البابا يريد أن تنعقد
 ببلاد إيطاليا وكانوا يريدون أن يكون نص الكتاب المقدس هو الاساس في انهاء
 كل قضية تختلف فيها وحل مشكلها وكان هو يريد أن يعول على كلام القسوس
 واحبار الكنيسة كما يعول على عبارات الكتاب المقدس وكانوا يريدون أن تكون
 المشورة القسيية مطلقاً في ابداء الرأي بحيث يكون لكل من حضرها من
 علماء اللاهوت المبعوثين من سائر الكنائس حق في ابداء رأيه بدون مانع

وكان هو يريد أن تكون تلك المشورة على صورة بحيث تكون تحت قبضته
يتصرف فيها كيف يشاء. وثم امر آخر كان المعتزلة يرغبون فيه اكثر من غيره
وهو أنهم كانوا يدعون أن من عدم الصواب أن يلتزموا بالاذعان لاحكام
المشورة القيسية قبل أن يعرفوا مبنى هذه الاحكام ومن صدرت عنهم
وكيفية العمل بها وكان البابا يقول انه لا ثمرة لعقد المشورة القيسية ان لم يلتزم
المعتزلة بتابع ما يصدر عنها من الاحكام لاسيما وهم الذين طلبوا انعقادها
فرضت عدة وسائط للاصلاح بين القريتين في هذا الغرض وطالت مدة
المذاكرات والمداولات على وفق مرام كليمان حيث كان قصده بذلك كله
أن يعوق انعقاد تلك المشورة من غير أن يجلب لنفسه اللوم بتدبيره وحده
الى المعارضة في انعقاد هذه المشورة التي كان جميع الافرنج يرون أن فائدتها
جلية وأنه لا بد منها المصلحة الكنيسة الرومانية

مطلب

في كون الإمبراطور كان
له غرض آخر يستدعي
المذاكرة وهو بقاء
الامن والاطمئنان
في بلاد إيطاليا

وكان للإمبراطور غرض آخر أهم عنده من عقد المشورة القيسية وهو بقاء
الامن والاطمئنان في بلاد إيطاليا وذلك انه كان يعلم أن الملك فرنسيس
كان لم يزل مترقباً لفرصة تلوح له فيستعين بها في اخذ اراضي التي اخذت منه
في بلاد إيطاليا وأنه لم يتركها الا على زامنه فأرى الإمبراطور أنه يجب عليه
أن يحترس كل الاحتراس ويجمع جيشاً يكفي في مقاومة عدوه عند الضرورة
وحيث كانت خرائقه قد فقدت في مصاريف الحرب الطويل الذي كان فعله قبل
ذلك لم يمكنه أن يحصل المبالغ اللازمة لمصاريف هذا الجيش الذي عزم
على جمعه فأراد أن يجعلها على معاهدته وحلفائه وأن يكلفهم بحمل الأمن
في دوله وبلادهم فعرض على دول إيطاليا أن تقدم مع بعضها عصبه تذب
عن إيطاليا من تعتدى عليها وأن تجمع لهذا الغرض جيشاً تكون
مصاريفه موزعة عليها ويكون سر عسكره الأمير انطوان دوليوه قبل
ذلك البابا كليمان لكن كان له فيه ما رآه أخرى حيث اراد بذلك
اتخاذ بلاد إيطاليا من العساكر الألمانية والإسبانية التي كانت
فيها منذ زمن طويل تؤذي اهلها وتهدد كل الاهانة فكانت هذه البلاد

مطلب
ما كان يقصده ملك
فرانسا في شأن
الاميراطور

بسيمهم باقية تحت حكم الاميراطور و فاجيب الاميراطور الى ما طلب وانعقدت
العصبة ودخل في اسائر دول ايطاليا ماعدا جمهورية البنادقة وعين
المبلغ الذي يخص كلا من ارباب العصبة لمصاريف هذا الجيش وكان
الاميراطور لفادامواله اذ ذلك لا يمكنه أن يبقى العساكر الالمانية والاسبانية
المذكورة لانها كانت مستخدمة عنده بالاجرة فوضى باخراجها من بلاد
ايطاليا لاسيما وكان اهل هذه البلاد يعضونها ويريدون خروجها من اراضيهم
فسرح الاميراطور بعضها ووزع البعض الآخر في جزيرة صقلية وبلاد
اسبانيا ثم ركب البحر على سفن الامير دورية ووصل الى مدينة
برشلونة

ومع هذه الوسائط التي احتسب بها الاميراطور لتأكيد الصلح في بلاد المانيا
ولتأمين مارتبه في شأن بلاد ايطاليا كان لم يرزل موسوسا غير آمن ونفسه غير
مطمئنة فكان يحشئ من ملك فرانسا أن يشدد عليه مادبره بالحرب او بالقتل
والدسائس وذلك لانه كان يعلم أن فرنسيس لم يرض بمشارطة كبريه الالياسه
وشدة كرهه حيث كانت تضره وترزى بعرضه حتى انه عند اقرارها كان معصما
على عدم العمل بمقتضاها متى زالت الدواي المبتنة له على العمل بها وما يدل
على ذلك انه اشهد سراً على انكاره لعهدة يتود منها لاسيما البند المتل على تركه
لدعواه في شأن دوقية ميلان فانه كان يرى أن هذا الامر من باب الظلم
والاجحاف وأنه نقص في حق من يخلفه في التاج الملوكي فهو لا يخاف ولا يعتذبه
وقد حصل حين تقييد اقرار المشارطة في برلمان مدينة باريس أن بعض
علماء الاحكام صنع كما صنع فرنسيس في شأن تلك المشارطة وبالجملة فكانت
احوال فرنسيس تقضى بانه قد اعتقد أنه بهذه الحيلة التي لا تليق بتاج الملوك
حيث انها تؤدي الى عدم وثوق الناس ببعضهم وفتح ما يقع بينهم من العقود
تخلص مما التزم به بحيث صار لا لوم عليه في عدم الوفاء به فانه بمجرد تميم مشارطة
كبريه جعل ينظر فرصة فلو حله فيبادر بتقضى هذه المشارطة فلهذا كان
يسعى جهده في التودد الى ملك انكلترا وكان يزيد في عساكره ويحسبهم

سنة ١٥٣٢

مطلب

مداولة ملك فرنسا

مع البابا لانصرار

الامبراطور

ضبطهم وربطهم وكان يذل وسعه في ايقاع الشقاق والتفاقم بين امراء المانيا والامبراطور

وكان الملك فرنسيس رغبة تامة في فسخ الالتئام الاكيد الذي كان بين الامبراطور والبابا كليمان حتى حصل له غاية الفرح حين ظهر له من البابا ما يدل على اشترازه من الامبراطور واعتقد ان الالتئام بينهما لا يدوم

فقد كان البابا يتحدث على الامبراطور في نظيره كونه امان دوق فرار ونصره عليه فاخذ فرنسيس يحرض البابا ويوقع في نفسه ان ما فعله الامبراطور من اعانة هذا الدوق عليه اتما هو من باب الظلم الناحش وافهمه انه مستعد للدخول

في حربه والمدافعة عنه يطمحه التوي بدون علة ولا غرض وكان البابا قد سمع نفسه من الحاح الامبراطور عليه بعقد المشورة القيسية المنتدّم ذكرها فعرف فرنسيس ان يجتهد عوائق يؤخر بها انعقاد تلك المشورة وبذل جهده في منع

المتعاهدين معه من امراء المانيا عن الالتئام والتدقيق في هذا الشأن ولما كان من مقتضيات اعتبار الامبراطور ومحبة عند البابا هو ان الامبراطور

كان قد اعلّى مقام عائلته وهي عائلة ميديس ورفع شأنها ملك الملك فرنسيس هذا الملك وعرض على البابا انه يريد تزويجا ابنته الثانية وهو الامير هنري دوق اورليان بالاميرة كاترينة بنت الامير

لورنت دو ميديس وهو ابن عم البابا كليمان فلما وقف الامبراطور على خبر هذا الزواج لم يصدق ان هذا الكلام صادر من فرنسيس على سبيل الحد

والحقيقة حيث ان هذا الزواج فيه تدليس عائلة فرانسيس المملوكية لان كاترينة المذكورة كان ابائهم قبل ذلك بليل من جملة آحاد الالهالي وكانوا من تجار

فلورنسة بل اعتقد ان قصده بذلك اتما هو يريد مداهنة البابا ومخادعته ولكن رأى انه يلزم تدار له هذا الامر لانه يقر البابا ويقع منه موقعا عظيما فوعده البابا

بانه يفتح النكاح المنعقد لدوق ميلان على بنت اخته من ملك دالبيرقة ويهد لها الدوق النكاح على الاميرة كاترينة المذكورة ولكن اظهر

رسلا ملك فرانسيس ان سيدهم قد قوض لهم عقد النكاح على هذه الاميرة

سنة ٥٣٣ !

لابنه الامبر هنرى دوق اورليان نخاب مادبره الامبراطور * واما البابا
كليمان فخرج كل القرح من هذه المصاهرة التي تشرف بها عائلة ميديس
ويرداد روتها ويعلوشأنها حتى انه وعد أن يعطى كاترينة في صداقتها
عدة اراض واسعة من بلاد ايطاليا بل ظهر منه الميل الى تعصيد ملك
فرانسا في دعواه في شأن عدة ايلات من تلك البلاد ورشى أن يتقابل مع هذا
الملك كما يتقابل مع الامبراطور

مطلب

مقابلة البابا مع

الملك فرنسيس

وقد بذل الامبراطور شرلكان جهده في منع هذه المقابلة حيث كانت
مقتضيات الاحوال اذ لا بد على أن عاقبت تضرته وكان قبل ذلك
قد ذهب نفسه الى البابا مرتين فلم يلقه غم شديد حين رأى من البابا امر اغريبا
وهو سقره بجزا في فصل كثير المشاق يصعب السرفيه لاجل مقابلة الملك
فرنسيس في مملكته لانه كان يود أن يجعل بعقد النكاح المتقدم لا غتراره بذلك
وزالت عنه دواعي التمسك التي كان يمكن أن تمنعه عن فعل مثل ذلك في صورة
اخرى وتقابل بمدينة مرسيليا في مثل عيب واطهر كل منهما لصاحبه
من يد الاحترام والتبجيل التام وانعقد النكاح للامبر هنرى دوق اورليان
على الاميرة كاترينة بعد مشاق كثيرة وقد اذ - ر هذا الزواج فيما بعد بمملكة
فرانسا لان هذه الاميرة كانت بمكان من السياسة والطمع كما انه من مبدء الامر
دنسها وازرى بعبالة ملوكها ثم ان البابا والملك فرنسيس اتفقا على عدة
امور تخص دوق اورليان فتخلي له ابوه الملك فرنسيس عن حقوقه
في بلاد ايطاليا ولكن كان ذلك كله سراحى لا يقف الامبراطور على جلية
خبره فيخرج بالغضب ولذلك حصل الاتفاق بينهما مشافهة ولم تحترز بينهما
مشارطة سرية بل سطر في ورقة النكاح أن الاميرة كاترينة تحتل عن
حقوقها ودعواها في بلاد ايطاليا ما عدا دوقية اورمان

مطلب

ماسلكه البابا في شان

تطبيق ملك انكلترة

لزوجته

وفي مدة ما كانت المداولة حاصلة بين البابا كليمان والملك فرنسيس
وكان البابا يجتهد مع هذا الملك روابط المحبة التي اوقعت الوسوسة في صدر
الامبراطور شرلكان كان هذا الامبراطور يبذل جهده فيما يكون به تطبيق

سنة ١٥٣٤

ملك انكلترة لزوجته وظهر منه أنه يود تفضيل هذا الغرض الملك انكلترة
حتى كأنه من اعز احبابه واصدق اصحابه ولا حرم في ذلك حيث ان المداينة
والمحادعة من طبع الاعمير بطوره وكان الملك هنري قبل ذلك بنحو ست سنون
يحذف في طلب هذا الطلاق والبابا عاظمه ويدهنه بالمواعيد الباطلة ولا يبت له
شيأ ورعما يتعجب من كون هذا الملك مع حبة طبعه وسرعة غيظه مكث تلك
المدّة الطويلة وهو يتحمل مطل البابا وافعاله التي توجب السأمة ولكن لا داعي
لهذا التعجب متى عرفت انه قد عيّل صبره وضاق صدره حتى خاطب في هذا
الشان محكمة اخرى غير ديوان رومة فحكم المطران فرانسوا
النكاح الواقع بينه وبين الملكة كاثريّة وأن البنت التي ولد لها منه لا تلحق به
شرعا بابايا حكمه بذلك على ما استوفى به من العلماء والاحبار والرايين
الذين عرضت عليهم هذه المسئلة واقرن كاحه للاميرة اندريولان التي كان
يحبها ومن وقتئذ صار الملك هنري لا يتلقى للبابا ولا يظهر له المحبة والمودة
واخذ في اهماله وعدم الاعتناء به بل صار يحذره كل التهديد حتى انه هم
بالانصرار لدين المعترة وان كان قبل ذلك يدافع عن الكنيسة بمائتي وسعه وكان
اذن قد خرج عن دين الكنيسة واتبع مذهب المعتزلة عقده اقاليم وعمالك فحس
البابا أن تقتدي مملكة انكلترة بهذه الممالك وتتبع مذهب المعتزلة وكانت
مصلحته تقتضي أن يحترس كل الاحتراس حتى يسلم من عاقبة هذه المصيبة
فاضطر الى ارضاء خاطر الملك هنري لكي لا يعدل عن سنن الكنيسة لاسباب
وكان الملك فرنسيس يلج على هذا البابا أن يستعطف هنري المذكور
ويظهر له ما يستميل به قلبه ويترتب عليه رضاء خاطره حتى لا يخرج عن حزبه
ولكن كان في الكردنالات من يود الاعمير بطوره ومودة صادقة فلم يدعوا
البابا يفعل مع هنري ما يستره ويرضى خاطره بل صرفوه عن هذا المشروع
المنبئ على الخزم والاصابة الى مشروع آخر مبنئ على خلاف ذلك اضطرت
عواقبه بكنيسة رومة حيث الزنوه باراز فرمان بيطلان حكم فرانسوا
وصحة نكاح هنري للاميرة كاثريّة وحرمان هذا الملك اي طرده عن

٢٣ من شهر اذار

سنة ١٥٣٤

مطلب
ابطال حكم البابا
من مملكة انكلترا

الكنيسة اذ لم يتزل بعد اجل مسيحي زوجته البعيدة وهي اندريولان ويرجع الى زوجته كاترينة فغضب هنري من هذا القرمان وتقض ما كان بينه وبين ديوان رومة من العلائق والروابط وغضب لغضبه رعاياه وساعده وشذوا عذبه فصدر من ديوان البرلمان الانكليزي امر بابطال احكام البابا واوامره في مملكة انكلترا وصدر منه امر آخر يجعل الملك هنري رئيس الكنيسة الانكليزية ونقله بكل ما حرم منه البابا في هذه المملكة فبجرد ما ضاع احترام البابا ودين الكنيسة من قلوب الاهالي انهدم في اسرع وقت جميع ما تفتن في تشييده القسوس حتى كان يظهر أنه على اساس متين ولكن لحق هنري واوهامه الباطلة استمر على حماية دين الكنيسة الرومانية وبذل في ذلك من الجهد ما كان يبذله في ازالة شوكة البابا من مملكته وابطال احكامه المدينة منها فكان تاردي يوذى القساويقيين واخرى يوذى المعتزلة فاما المعتزلة فكان يؤذيهم لكونهم رفضوا مذهب الكنيسة الرومانية واما القساويقيون فكان يؤذيهم لانهم كانوا يتبعون احكامها المدينة الغير الدينية ولكن بمجرد ما ساعا للرعيا اسلول طريق جديد بادروا اليه وتوغلوا فيه ولم يستحسنوا أن يبقوا عند الحذ الذي يعينه لهم الملك هنري وذلك انهم لما تأسوا به في الخروج عن بعض شعائر تلك الكنيسة صاروا يتربصون مع القلق فرصة يفتنونها في التخلص بالكلية من ربة اسر الكنيسة الرومانية حتى ان بلاد انكلترا انقضت فيما بعد بمجرد ظهور الفرصة عن كنيسة رومة في امور الدين كانتصلت عن احكامها المدنية والسياسية

مطلب
موت البابا كليمان
السابع

٢٥ من شهر ايلول

ولم يجعل البابا كليمان باراز القرمان المتقدم في شأن ملك انكلترا لكأن من الجائز أن تسلم كنيسة رومة من تلك العواقب الشنيعة وبعد صدور هذا القرمان بمدة قليلة اصيب كليمان بداء السل فاخذت بينه في الضعف شيئا فشيئا حتى مات راقضت حكومته الطويلة التي كانت لكثرة المصائب التي حلت بالكنيسة في مدتها اقمج حكومة بين حكومات البابات الذين تولوا على ديوان رومة منذ عدة قرون وبعد موته انعقدت مشورة

سنة ١٥٣٤

مطلب

انتخاب البابا بولس

الثالث

٢٣ من تشرين الاول

الكردي نالات لاتقارب بابا جديد فلم يحصل توقف في هذا الشأن بل اجتمعوا في اول يوم من اجتماعهم على تولية الكردي نال اسكندر فرنيز رئيس الديوان المقدس اى ديوان الكردي نالات وكان اقدم الكردي نالات وعند تقليده هذا المنصب بولس الثالث حصل للامة الرومانية كل الفرح بتولية هذا الكردي نال لانه كان من ابناء وطنهم فخرجوا برجوع تاج البابا الى رجل من الامة الرومانية بعد ان مكث اكثر من قرن يتداوله الاجانب وتفاك العارفون من توليته بحسن الادارة لانه كان يمكن من التجار يرب حيث شهد حكومة اربعة من البابايات واطهر في منصب الكردي نال ما يدل على كثرة حزمه وقناعته مع ان ذلك الوقت كان وقت قن واضطراب يستدعى السياسة والمداهنة

وربما كان موت كلمان سببا في شاء الصليح لاد اوروبا فانه وان لم ينص التاريخ على أنه تعصب مع الملك فرنسيس على الايمراطور الا انه لاشك انه لو هجمت الجيوش الفرنسية على اراضي الايمراطور في بلاد ايطاليا لكان هذا البابا يساعدها في المساعدة لانه لطعمه كان يفرح حين يرى أنه قد خرج من عائلته ملكا كان احدهما يحكم فلورنسة والثاني يحكم دوقية ميلان فلما تولى بعده بولس الثالث وكان من حرب الايمراطور وانصاره اضطر الملك فرنسيس الى ابقاء الحرب لوقت آخر ورجع عما كان عزم عليه من الشروع في قتال الايمراطور

وبما كان الملك فرنسيس يترب فرصة يتهزها في الحرب مع الايمراطور وان كان قد انهمز في الحروب المتقدمة ولحقه منها الضرر وهو ورعاياه اذ حصل في بلاد المانيا حادثة غريبة وذلك ان الدين الجديد كان شاع عنه كثير من القوائد الباطنية تشابهت امورا اخرى مضرّة ومثل هذا لازم لرومانيا لافعال البشرية في اشتغل القتل البشري بمقاصد جسيمة ربما خرج عادة عن اطواره وتجاوزت حيمته الحدود وفضل عن الصراط المستقيم ويقع في سبل الزنح وبضيع رشده ومثل تلك الآفات تتراكم عادة على عقول البشر متى جالت في مجور

مطلب

عصيان طائفة

الانابايتيست في

بلاد المانيا

الانابايتيست طائفة

من المعتزلة ترى ان

التعميد لا يكون الا

في سن التمييز بالغضين

دون الرش

سنة ١٥٣٤

الدين وغاصت في لجة الطامة لاسيما في مثل ذلك العصر الذي كان قد خرج فيه
الناس عن الدين القديم ولم يتمكنوا من اصول الدين الجديد الذي تمسكوا به
حتى يدركوا حقيقة ما اوجبه عليهم فبناء على ذلك كانت جساوتهم في الاقدام
على الدين الجديد دائما في الفتور والازدياد ولم تنقص حيتهم عما كانت عليه
عند رفض الدين القديم وحيث ان العقل اذ ذاك لم يكن يتمكن من اصول
الدين الجديد حتى يتخذها دليلا يمتد به الى الصواب كان لا يستطيع ما فيه
من التضييق عليه فوردت عليه واردات غير جديدة ومن ثم كان فساد الاصول
المحمودة والاخلاق المدروحة وشاهد ذلك ما حصل في مبدأ نشر الدين
النصراني فكنت ترى كثير من الناس يتكبرون دينهم القديم ويتكبرون بدين
النصرانية قبل أن يتمكنوا من معرفة اصوله فيحدث فيهم اعتقادات باطلة
واوهام عاتلة تخالف لدعائم التقوى وشعار الفضيلة ثم اضلعت هذه البدع
شيئا فشيئا حتى صارت في زوايا انسيان وصارت تجعل ضبابا يهاب انتشارها
ثموس الاصول الدينية الصحيحة في آفاق العقول البشرية * وقد حصل
مثل ذلك في دين آتويز حيث انه بعد ظهوره بقليل نشر بعض اصحابه لجهلهم
او لجسارتهم اصولا مضرة ليست الا من قبيل الاوهام الكاسدة والبدع
الفسادة وجعلوا اتهام الدين وكان الناس اذ ذل لمع جهلهم اهم رغبة نامدة
في الدين الجديد وكان هذا الدين مطمح نظرهم فذلك هو السبب في حدوث
الاهوام الفاسدة التي نشرها المعتزلي مونستير في سنة ١٥٢٥ وحظيت
بالقبول بين الفلاحين ثم ان هذه الفتن التي اتارها لم تطل مدتها ولكن اختفى
عقد من اصحابه في بعض البلاد وبذلوا جهدهم في نشر آرائهم واذاعة اوهاهم

وبدعهم

مطله
منشأ هذه الطائفة
وبيان آرائهم واعتقاداتها

وكانت الاقاليم العليا من المانيا قد تغربت وساء حالها بسبب حاقة
هؤلاء الجهلة وما ارتكبه من التعلال القبيحة فشدد عليهم الحكام واساوا
معاملتهم فغضبوا منهم البعض وقوا البعض والجأوا بالايذاء جا غفيرا الى
المهاجرة الى بلاد اخرى فامسكهم بذلك أن يزلوا ما كان قد نشره هؤلاء الجهال

من الاوهام الباطلة ولما لم يحصل مثل هذا التشديد عليهم في مملكة البلاد
الراوية وفي اقليم وستاليا لانه لم يكن هنالمن يدرلهم مضار عواقب
مذاهبهم دخلوا عدة مدائن ونشروا فيها اصولهم وقواعدهم مذاهبهم وكان اعظم
هذه الاصول هو التعميد على وجه مخصوص وهو أن لا تعمد الا ولاد الا في سن
التمييز وأن لا يكون التعميد بالرش بل بالغمس وبناء على ذلك حكموا بيطلاق
ما سبق من التعميد قبل سن التمييز وصاروا يعدون كل من دخل في حزمهم
ومن ثم سميت طاقتهم بطائفة الانابايتيست اي المعدنين بالغمس في ما
المعمودية والظاهر أنهم بنوا ذلك على ما كان يقول في التعميد على عهد
الموارين وهذا الامر لا يؤثر في انتظام العالم شياً بكن كانت لهم عقائد
اخرى خطيرة مفسرة فكانوا يقولون ان وظيفة الحكام لا يحتاج اليها التصاري
الذين يأخذون بصريح عبارات الانجيل ويعملون بما يستنبطونه منها من
الاحكام وانما هي وظيفة متنوعة شرعاً لما فيها من الظلم وتضييق دائرة العقل ومنعه
عن وظيفته من الجولان والنظر في الاشياء وكانوا يرون أنه يلزم ازالة كل امتياز
بين الناس من حسب ونسب ورفعة قدر ورتبة لان ذلك كله مخالف لما يقتضيه
الانجيل من التسوية بين افراد البشر وأنه يجب على جميع ابناء النصرانية
أن يجعلوا اموالهم واملاكهم بينهم على سبيل الشيوخ وأن يعيشوا مع بعضهم
كعائلة واحدة لا امتياز بين اهلها وكانوا يرون تعدد الزوجات فائلين انه حيث
لم يكن في التاموس الطبيعي ولا في العهد الجديد مقدار النساء اللاتي يجوز للمرء
نكاحهن فله أن يتزوج بمن شاء منهن واحدة او متعددة واسوته في ذلك الانبياء
المتقدمون والامم الماضية فان الله عز وجل قد اباح لهم ذلك
ثم انهم نشروا هذه الاصول وجعلوا بعض دونهما مع الحجة الجاهلية فقتلوا عنها
امور قيحية افسدت بالعباد والبلاد * وادعى اثنان منهم النبوة وهما خاتمي
وكان خبازاً من مدينة هرلم و خبا بوكولد او بوكولس وكان
خباطاً بمدينة ليند فاستوطنا بمدينة مونتير وهي من اعظم مدائن
الامبراطورية وهي وان كان لها اسقف الا ان الحل والعقد فيها كان لارباب

مطلب
استيطانهم في مدينة
مونتير

سنة ١٥٣٤

المشورة والتواصل من اهلها وكان هذان الكاذبان جامعين لما يلزم لاجلها
في مشروعهما من المعارف والجسارة العظيمة والظهور بظهر الاقنعة وادعاء
الوحى وفصاحة الخطاب في الاحتفالات العامة فهذه الوسايط كلها
صار لهما في اقرب وقت احزاب واتباع واشتهر امرهما وشاع فكان من اتباعهما
المعلم روتنام وهو اول من وعظ بدين المعتزلة في مدينة مونستر والشهير
كثير دونغ وكان من ذوى الحسب والنسب بين اهل هذه المدينة وكان له فيها
اعتبار عظيم فلما كثرت احزابها تقوت قلوبهما وصار لهما مآولة ونفوذ كلة
فجعلوا نشران اصولهما الدينية على رؤس الاشهاد ويعلم انها الناس كافة
ولم يكتفيا بذلك بل صمما على الاستيلاء على المدينة والتقلد بحكومتها ايضا
ختم الحكومة على مذهب ما ولكن لم يمكنهما في مبدأ الامر ان يظفرا بما
المقصود فطلب اسراجه كبرية من اتباعهما الذين بالبلاد المجاورة لتلك المدينة
واستولوا ليللا على ترسانتها وديوان مشورتها وجعل حزبهما يطوف
في الحارات والازقة والسيوف بايديهم وهم يمجحون تارة بقولهم بوبوا
وتعمدوا واخرى بقولهم ارتحلوا اليها الضالون الجاحدون قفز عنقهم ارباب
مشورة السنف والشماسة والرهبان والاعيان وخيار السكان من
معتزلة وفانوليكية وتركوا المدينة لهؤلاء المجانين الذين كان اغلبهم اجنبيا عنها
وخرجوا منها في اسوء حالة فلم يبق في المدينة من يستطيع معارضتهم فانشاؤا
فيها حكومة جديدة تلايم عقولهم المختلة نعم ان اظهروا في بدء امرهم
احترام الرسوم القديمة فانقبضوا ارباب مشورة السنف من بينهم وقلدوا
كثير دونغ ورجلا آخر من حزبه بوظيفة القنصلية الا ان ذلك
كان ظاهريا فقط وقام متى بادارة المصالح وسلط في احواله واطواره
مسلكا يوهم به انه نبي حق وصار يأمر وينهى ويقتل فورا من خالف امره
وجعل يحرض العامة على نهب الكنائس وتجريدتها عن زينتاتها امرهم أن
يحرقوا من الكتب ما عدا كذب العهد القديم والجديد نظروها عن القائدة مع
استئمالها على الكذب المحدثين وضلالات الجاحدين وضبط على اموال من

مطبع
استيلائهم عليها

مطابع
حكومتهم الجديدة التي
احدثوها تلك المدينة

هاجر من المدينة وباعها السكان البلاد التي يجوارها واهل كل انسان من سكان المدينة أن يأتي اليه مذهبه وفضته وسائر ما عنده من الامتعة النفيسة القيمة ووضع ذلك في خزانة عامة ورتب ثمامسة واناطهم بصرف ما يلزم لكل فرد من افراد الاهالي (وهذا معنى ما سبق من جعل الاموال على سبيل الشيوخ بين الناس) وبعد أن رتب التساوي بين اهل جمهوريته على هذا الوجه أمرهم أن يأكلوا مع بعضهم على اخوة ينصبون على رؤس الاشهاد في الساحات العمومية بل عيّن لهم ما يأكلونه كل يوم من الاطعمة وبعد أن تم هذه التغييرات على هذا الوجه التفت الى ما يكون به تحصين المدينة لتكون آمنة من سطوة العدو وسلك في هذا الغرض مسلح الحزم والتبصر فحدد مخازن واسعة واصلح الحصون القديمة واحداث حصونا جديدة واشتغل في ذلك جميع السكان بالتأديب ورتب من اتباعه جنودا منتظمة احكم ضبطهم وربطهم وجمع في ذلك بين الحزم والحماية وبعث الى اتباعه بمملكة البلاد الواطية يدعوهم الى الحضور الى مدينة مونستير التي كان يسمى اجبل سميون (اشارة الى جبل فلسطين عليه قلعة بيت المقدس ولا يخفى ما في ذلك من الاشارة) ليجتمعوا فيها ثم يخرجوا جميعا للتخجير سائر الملل وادخالهم تحت طاعتهم وكان لا يروق طعم اراحة ابدا ولا يحمل في شيء مما يكون به حفظ مذهبه وتوسيع دائرته وكان يسلك مسلح التقشف والزهد ولا يستنكف عن الاشتغال بان شيء ليقدر به في ذلك اصحابه وقد ازدادت حبيبتهم وتقوى عزيمتهم بتحريضهم وادعائه النبوة ونزول الوحي عليه فصاروا يستسهلون كل صعب لاجل تأييد مذهبهم وقضيدته ولكن كان اسقف مونستير قد جمع جيشا عظيما وقدم به الى المدينة ليلضع عليه الحصار فلما دنا منها خرج عليه متي من المدينة مع بعض عساكر انجهم وجعل على معسكره وقتل منه كثيرا ثم كسر راجعا الى المدينة يرفل في ثياب القنار ومعه اسلاب القتلى واغترها بالنصرة فخرج في اليوم الثاني يقدم اهل المدينة ويده ورحم وهو يقسم أنه لا بد أن يذهب مع افراد قليلة لمحق جيش الجاحدين ولو كثروا كما فعل كذعون بن يواش الاسرائيلي فانه مع ثلثمائة

مطلب
اتحاد اسقف مونستير
عليه

(سنة ١٥٣٤)

(شهر ايار)

مطلب

ازدياد شوكة حشا

دوليد بين طاشة

الانابايتيت

رجل ظفر باهل مدين وكانوا مائة واربعين الفاً * فانقب ثلاثين رجلا وانقب
 بهم على معسكر الاعداء مع الحية الشديدة قتلوا عن آخرهم وقتل معهم
 نبيهم وبموته وقع الرعب والفرع في قلوب اتباعه الآن حشا بو كولد اتلياط
 الذي تقدم ذكره ملك مسلك متى في الحيلة والخذاع واطهار دعوى النبوة
 فاجبي قلوبهم حتى اقاموه مقام متى وجعلوه مطلق التصرف بينهم ولما
 لم يكن في الحسارة مثل متى اقتصر على المدافعة عن مدينته ولم يخاطر
 بنفسه وبجسم على الاعداء بل جعل ينتظر الامداد الذي كان متى قبل موته
 قد بعث يطلبه من مملكة البلاد الواطية ومع أن هذا الكاذب لم يكن جسورا
 مثل متى كان اكثر منه اوهاما وبعدا واعظم منه حجة جاهلية وكان يفوقه
 ايضا في الحرص والطمع وذلك أنه بعد هلاك متى صار يضل الناس
 ويغترهم بدعوى الالهام والوحي واندوهم بوقوع حادثة غريبة وبعد أن مهد
 عقولهم بهذه الكيفية خلع ملبوسه وصار يجري في الخنازق والازقة ويقول
 باعلى صوته ان مملكة صهيون قد قرب اوانها وان كل ما شيد على الارض
 سيخطوكل ما انخط سيثيد وبناء على هذا التبا الذي يزعم أنه بالالهام والوحي
 امر بهدم الكنائس لانها كانت اعلى مبانى المدينة وعزل ارباب مشورة
 السنت الذين كان ولاهم متى قبله وخلع كنيرو دلتغ عن منصب
 القصلية الذي هو اعظم مناصب الجمهورية وحكم عليه بادى الوظائف
 واخسها حيث جعله جلادافلم يتوقف كنيرو دلتغ في قبول هذه الوظيفة
 بل اظهر القرح والمسرّة بها وبالجلة فكانت قسوة هذا الرجل خارجة عن
 الحد حتى ان كنيرو دلتغ كان يدعى كل يوم لاجراء وظيفته الشنيعة واقام
 بو كولد محل ارباب مشورة السنت الذين عزلهم اثني عشر قاضيا
 ليقوموا بادارة المصالح تأسيا باسباط بنى اسرا بل وكان له في قومه من قوذا
 الكلمة ما كان لموسى عليه السلام في قومه

مطلب

تولينه ملكا بطريق

الانتخاب

(سنة ١٥٣٤)

٢٤ من شهر حزيران

رجلا وعله حتى اعتقدوا بوثقه ثم جمع هذا الرجل الالهائي وأبدي لهم أن الله سبحانه وتعالى قد تعلق ارادته بجعل حنا بوكولد ملكا في صهيون وأنه يجلس على كرسي داود عليه السلام فعند ذلك خثر حنا ساجدا امتثالا لارادة الله عز وجل وحقق للناس أنه قد اوحى اليه بذلك فبادروا الى مبايعته وصار من وقتئذ ينظر يظهر الملوك فالتخذ تاجا من الذهب وصار يلبس انغر الملابس وكان دائما على احد جانبيه رجل يحمل الانجيل وعلى الاخر رجل شاهر سيفه وكان لا ينظر بين الملا الاومعه جم غفير من الناس خلفه وحر استه وضرب التقودورسم عليها صورته وجدد ضبطا لقصره وللمملكة وكان من جلمهم كثير دونه حيث جعله محافظا على المدينة مكافاة على امتثاله حين قلده بوظيفة الجلاد وعلى فؤيته بهادون اشتراروا لائق

فلما بلغ بوكولد هذا المبلغ من الصولة وانسعت دائرة شوكته اخذ يرتكب امورا كان لا يرتكبها قبل ذلك او كان يفعلها سرا * وقد شوهد في سائر الاعصار أن الحمية المفرطة يصحبها العشق عادة وأن منشأ الامر من واحد فامر بوكولد عدته من علمائه أن يعطوا الالهائي ويرغبوهم في التزوج باكثر من واحدة بل وفيهم موهوم أن هذا الامر لا بد منه وزعموا أن ذلك من المزايا التي خصها الله سبحانه وتعالى بمن امطعهاهم واجتباهاهم من خلقه فلما تعود الناس على سماع ذلك وفروحو باللائحة للطباع البشرية كان هو اول من بدأ بذلك فتزوج ثلاث نسوة في ان واحد منهن ارملة متى وكانت بهيمة الحسن والجمال ثم بلغ منه العشق وحب التقل حتى صار عدد نساؤه اربع عشرة امرأة ولكن كان الملقب منهن بقلب الملكة هي ارملة متى وحدها فكانت تقسم معه تشريفات المنصب الملوكي ثم ناسى به الناس في ذلك وجاوزوا الحد في الفساد حتى لم يبق رجل الا وعنده اكثر من واحدة وصاروا يعدون الاقتصار على الواحدة من اكبر الكاثر لانه يخالف لما شرعه لهم نعيم من الحرية النصرانية بل كان ثم اناس منوطون بالبحث في البيوت عن الابكار ويلزمونهن بالتزوج * وحيث ان

مطلب
فساد سلوكه

(سنة ١٥٣٤)

الطلاق لازم لزوما ذاتيا لتعدد الزوجات صار مشروعا بينهم وصار من جلة
دواعي الفساد عندهم واخضبتهم الشهوات الى ارتكاب القواحش حيث
لم تجد هاشر يعتمهم بخذولم يكن عندهم حياء يمنعهم من الافراط فيها وبالجملة
قد شوهد يومئذ أن الفساد عضدته اصول الدين وأنه قد جمع بين القواحش
والزهد في تلك المدينة التي كانت موطننا للارواح والضلالت والبعد
والترهات

مطلب
العصبة التي تعصبت
على طائفة الانابابيت

ولما رأى امراء ألمانيا أن هذا البتدع الضال الخسيس الاصل قد دنس
مناصبهم باقبياته على حقوق المنصب الملوكة حيث أقام نفسه ملكا في مدينة من
دولهم اشتد غيظهم منه وصمموا على اهلاكه لاسيما وكانت فواحش اتباعه
تدنس دين النصرانية فنفر منها جميع الناس في سائر الدول وضاعت صدوره
وكان لوثير من مبدء الامر لا يستحسن حجة هذه الطائفة فتأسف حين
رأى تقدعها اسفا عظيما وحزروا في التقدح في اوهاهمم والتشنيع على عقائدهم
عبارات فظيعة مؤلمة لا تقبل تقضا ولا رد او حرض فيها جميع امراء ألمانيا
على منع جنة هذه الطائفة المشؤمة على الناس الخطرة على الدين وكان
الامبراطور اذ ذاك مشغولا بامور جمة ومقاصد مهمة فلم يملكه أن يلتفت الى
هذا الغرض لاسيما وكان بارض بعيدة عن محل اقامته ولكن جمع ملك الرومانيين

مطلب
حصار مدينة مونستر

سائر امراء الامبراطورية وانتقت كلمهم على امداد اسقف مونستر بالرجال
والاموال لانه لا قدرته على القيام بصاريف العساكر اللازمة لحصار المدينة
على ما ينبغي وانما كان مقتصر على قطع الوارد عنها من بعيد ولما سمع امراء
ألمانيا على ذلك جمعوا العساكر واناطوا برياستهم ضابطا من الضباط اولى
الدراية والتجارب فوصل بهم هذا الرئيس الى مدينة مونستر في فصل
الربيع سنة ١٥٣٥ واراد أن يجعل بانها المحاصرة والمهجوم على المدينة الا أنه
رأها حصينة منيعة ووجد اهلها معنيين بخططها غاية الاعناء فلم تجاسر على
المهجوم عليها لئلا يخذها عنوة وكان قدمضي على اتباع طائفة الانابابيت
اكثر من خمسة عشر شهرا وهم في اشتد التعب بتلك المدينة من الاستغلال

(سنة ١٥٣٥)

(سنة ١٥٣٥)

مطلب
نقط المحصورين
وحيتهم

في الحصينات والاستحكامات والخدمة العسكرية وكان بوكولد لا يألو جهداً في تحصيل ما يلزم ملوثة أصحابه وقت محاصرة المدينة وكان يقرر عليهم في صرف مرتباتهم ومع ذلك قل من عندهم الزاد حتى يقنوا له سيقع بهم القحط والمجاعة عن قريب وإلى اليهم في أثناء ذلك عدة سرايات من أخوانهم بمملكة البلاد الواطية بقصد اعانتهم فنبهوا وايدوا عن آخرهم فلم تنق لهم وسيلة يرجون بها النجاة لاسيما وكانت بلاد المانيا مستعدة لان تجتمع مع بعضها لتقطع دابرهم ولكن كان للضال بوكولد موقع عظيم عند أصحابه وكانت حيتهم قد تجاوزت الحد حتى انهم لم يفتروا لهم همة ولم يعدوا عن عقائدهم واهلهم وكانوا آمنين بأخذون الاشياء قضية مسلمة وكان بوكولد واضرا به يحدونهم بنزول الوحي عليهم ويقولون لهم ان الله القادر على كل شيء سينقذ مدنتهم عن قريب ويخيم من كيد اعدائهم ولكن اشتد بهم الكرب والضنك حتى احدث بعضهم بشك في نبوة هؤلاء المبتدعين وصحة اخبارهم وجعل يتردد في التسليم الى العدو فاجتهد ما ظهرت سريرتهم وانضج امرهم عوقبوا بالقتل على كفرهم وعدم اعتمادهم وتوكلهم على الله عز وجل وافق أن امرأته نساء بوكولد تكلمت بكلمات تؤذي بشكها في نبوته فجمع هذا الكذاب الاشرساثر نساؤه وامر زوجته الكافرة أن تجثو على ركبتيها ثم شرب عنقها يده ولم تفرغ النسوة من هذا الفعل الحسنئ بل امسكن يده وجعلن رقصن على شكل دائرة حول جثة ترهبين وينظهن القرص والمسرة

مطلب
اخذ المدينة في اول
يوم من شهر تموز

وكان القحط لم يزل يشتد في المحصورين حتى عظم كربهم وساء حالهم ولكن كانوا يؤثرون مثل هذه المصائب التي يفرغ الانسان من مجرّد حكايتها على كونهم يقبلون قول الاسقف الذي كان يعرض عليهم التسليم في جميع الاوقات الا أن رجلا منهم هرب من المدينة اما لكونه افاق من نشوة الحمية الجاهلية او لكونه لم يستطع تحمل مشاق المجاعة والقحط وانضم الى جيش المحاصرين للمدينة ودل رئيسهم على جهة واهية الحصين واخبره أن المحصورين لما لحقهم من التعب والنصب والمجاعة وغيرها من المشاق غير معتنين بحفظ هذه الجهة

سنة ١٥٣٥

٢٤ من شهر حزيران

مطلب

عقاب الملك واتباعه

مطلب

حال مذهب

الامانيست

بعد ذلك

وعرض له أن يبعث معه سرية ليلا ليدلها على تلك الجهة قبل قوله وبعث معه طائفة من اجود العساكر فخصوا في مرامهم كما اخبر فانهم تسلقوا على الاسوار من غير أن يشعر بهم احد واستولوا على باب من ابواب المدينة وادخلوا منه بقية جيشهم وكان ذلك على حين غفلة من اهلها فوجدوا الامانيست غير متحفظين ومع ذلك تنبتوا في ميدان السوق ودافعوا عن انفسهم مع الحمية التي تقوم عادة بمن يقع في اليأس والقنوط ولكن كان الاعداء اكثر منهم عددا فاحاطوا بهم من سائر الجهات وقتلوا معظمهم واسروا الباقي وكان من جملة الاسرى كثير دلتغ واما بوكولد فكبلوه بالسلاسل والاغلال وصادوا يقتلونه من مدينة الى اخرى لينظر ما لخاص والعام حتى ذاق العذاب الاليم ومع ذلك ينظر عليه قنورهمة ولا تذلل قس ولم يتحول عن مذهب بل مازال يعصده مع الحمية والنيات التامة اعادوه الى مدينة مونستر التي هي منشأ استعلائه ومحل ضلالاته وقتلوه بعد أن اذاقوه من العذاب ما لا يزيد عليه وتجدد ذلك كل التجدد واظهر صبر الرجال وعزم الابطال وهذا الرجل العجيب الذي اوقع الهيبة في قلوب اتباعه وحدث قننة كان يخشى منها على النوع البشري لم يكن له من العمر الا ست وعشرون سنة او دون ذلك

وزالت ملكة الامانيست بزوال ملكتهم الا أن اصولهم كانت قد تمكنت في ملكة البلاد الواطية فلم يزل بها مذهبهم الى الآن وهو المسيحي بمذهب المانويت ومن الغريب أن هذا المذهب بعد أن كان في مبداء امره مهولا وقوات منه قن واضطرابات حشفت اخلاق التمسكين به وصاروا يميلون الى الصلح والراحة ويتقرون من منك الدماء فهم الآن يرون الحرب والتصدى للخدم المدينة من الماسم الكبيرة ويفعلون ما يجب على كل انسان اصلحه اخوانه ووطنه فكانتهم باجتماعهم في الصنائع واعمال البر والراقة بهاد الله التي هم عليها الآن يريدون جبر ما فرط من املا فهم الامانيست مما يفسر بالجمعية ومنهم من استوطن بانكثرة وحافظ فيها على رسوم آباءه وعوائد اسلافه في شأن التعميد من غير أن يكون ذلك مشروبا بما يحفل براحة الجمعية من

الحجة الجاهلية والغيرة الدينية

ومع أن عصيان الأباباينست كان مطمح نظر الناس كافة لم يشغل به امراء
 ألمانيا حق الاشتغال حتى يمنعهم عن الالتفات الى مصالحهم السياسية
 فقد ظهر في انشاء ذلك نتائج المعاهدة المتعقدة سرا بمدينة سمالكال بينهم
 وبين ملك فرنسا وذلك أن الدوق اولريق حاكم دوقية وبرمبرغ كان
 قد طرده بعينه سنة ١٥١٩ بعد أن خرجوا عن طاعته لاجفاه بهم قتلعت
 عائلة الأوسترسيا على هذه الدوقية ثم لما طالت مدة تنفيه نسبت ذنوبه لانها
 انما كانت ناشئة عن عدم التجربة لأنه كان ظالما بالطبع فرى جميع الناس
 لحاله لاسيما امير هيسه لأنه كان من اقرب الناس اليه فاعانه اتم الاعانة وبذل
 وسعه ورداه الى تلك الدوقية التي ورثها عن آباءه وكان ملك الرومانيين بأبي ذلك
 ولايسلم في هذا الاقليم العظيم الذي اكتسبته عائلته بدون مشقة ولا تعب وكان
 امير هيسه ضعيف الشوكه لا يمكنه اخذ الدوقية المذكورة بطريق القهر
 والغلبة فطأطأ في شأنها ملك فرنسا وكان هذا الملك يتربى فرصة تعينه
 على توريث عائلة الأوسترسيا فترح حين عرضت عليه هذه القضية حيث
 ان القرض منها تجريد تلك العائلة عن ارض كانت تكسبها الشوكه في جزء
 من ألمانيا بعيد عن بقية دولها اقوى قلب امير هيسه وألح عليه أن يشهر
 السلاح وأمدته سرا بمبلغ عظيم من الاموال فجمع هذا الامير جنودا وسار بهم
 فورا الى دوقية وبرمبرغ وهجم على طائفة عظيمة من عساكر الأوسترسيا
 كانت مأسورة بحراسة هذه الدوقية فابادها وشتت شملها وبادر جميع الرعايا
 بقبول الدوق اولريق لانه الاحق بها وفرحوا به ككل الفرح وسلموه
 زمام بلادهم ولم يزل حكمها في ذريته الى الآن ومن يومئذ دخل دين المعتزلة
 في تلك البلاد

فلحق فرديند ملك الرومانيين من ذلك غيظ عظيم الا أنه لم يجاسر على
 الاغارة على امير كانت بلاد المعتزلة من ألمانيا مستعدة لتأييده وتعضيده
 فانصبوا أن بعدد شارطة في محفل عام يعترف فيها بحقوق اولريق في دوقية

مطلب
 اعمال عصبة سمالكال
 ويان شوكتها

سنة ١٥٣٥

ويرغمغ ولما رأى نجاح لمير هبة في اعانته لهذا الدوق رأى أنه يلزمه أن يتجنب ما يوجب الشقاق بينه وبين عصابة سمالكالد فآخذ يتداول مع الأمير منتخب سكس وكان رئيس هذا العصابة ورخص للمعتزلة في بعض أمور دينية فامكنه بذلك أن يستميل هذا الأمير وغيره من الأمراء المتعاهدين حتى اقتروه على غلته على الرومانيين ولكن لأجل منع مثل هذا الانتخاب المخالف للأصول فيما بعد وقع الاتفاق على أنه من الآن فصاعدا لا يطلد أحد منصب الملوكية على الرومانيين إلا بإجماع المنتخبين ورضائهم واقتر الإمبراطور هذا الاتفاق بعد ذلك بمدة قليلة

ولما رأى ديوان رومة أن ملك الرومانيين يراعى حزب المعتزلة ويرخص لهم في أشياء دينية ليستميل بذلك قلوبهم اغتباط غيظا شديدا وكان البابا بولص الثالث غير مصمم كسلفه البابا كليمان على عدم الرضا بمقدورة قسيسية عامة بل وعد في أول مجلس انعقد بعد توليته منصب البابا أن يجمع تلك المشورة القسيسية التي كان جميع النصارى يودون انعقادها ولكن كان مقتضا مثل كليمان من النسخ الواقع في الدين يبلاد ألمانيا فكان لا يقبل شيئا مما يعرض عليه في شأن تحسين مذهب الكنيسة وإزالة مفاسد ديوان رومة ومظالمه وانما كان يرى أن البابا كليمان انما استوجب لوم الناس بعدم رضائه بمقدورة المشورة القسيسية العامة فامل هو أن يسلم من هذا اللوم اذا طلب انعقادها بنفسه خصوصا وكان يرى أنه لا بد أن يحصل توقف في تعيين زمان هذه الجمعية ومكانها وفي الذوات الذين يكون لهم الحق في حضورها وفي كيفية المذاكرة فيها وهذا كاف في خيبة آمال من كانوا يطلبون انعقادها وفي عدم توجه اللوم اليه اذا هو لم يرض بمعقدتها فبعث رسلا الى سائر دواوين اوربا ليخبرهم بمرامه ويضمهم أنه قد عين مدينة ماتوه لعقد الجمعية القسيسية فحصل ما كان يرامه من التوقف من عذته وجوه وذلك أن ملك فرنسا لم يستحسن عقدها بهذه المدينة متعللا بأن كلام البابا والإمبراطور تكون كلمته اشتد فوا من كلمة غيرهما لان هذه المدينة في بلادهما وواقعه على ذلك ملك

مطلب
تعيين بولص الثالث
مدينة ماتوه لعقد
الجمعية القسيسية
العامة

سنة ١٥٣٥

١٢ شهر كانون الاول

انكثرة وزاد انه لا يقر تلك الجمعية اذا هي انعقدت باسم البابا وامره وامام معتزلة
المنيا فاجتمعوا ثانيا بمدينة سمالكالا وألحوا في طلب ما كانوا يطلبوه
اولا واستدعوا أن تعقد الجمعية ببلاد المنيا معجدين على وعد الاميراطور
اهم بذلك وعلى ما اخذ عليه من الميثاق في مشورة الديينة التي انعقدت
بمدينة رانسونة وأبدوا انها اذا انعقدت بمدينة ماتوه تكون ملغاة
لا يعمل بها ولا تكون نائية عن الكنيسة حتى النيا به قرتب على هذا الاختلاف
فتح ابواب الدسائس والمداولات حتى حق للبابا أن يقتصر بنجاح جيلته حيث انه
ينما كان يظهر الرغبة في عقد تلك الجمعية كان يذل جهده في منع انعقادها
ولذا وقعت الريبة منه في قلوب المعتزلة ونسروا اجلا لعصبة سمالكالا يبلغ
عشر سنون وكانت هذه العصبة قوية من قبل وانضم اليها الناس كثيرون
فازدادت قوتها وعظمت شوكتها

وفي ذلك الزمن شرع الاميراطور في اغارة الشهيرة على افریقة لقتال اهلها
الذين كانوا ارباب صيال يقطعون طرق البعاري يعطون مصالح التجارة ومن
المعلوم أن البلاد الافريقية القارة التي على سواحل بحر سفيد وكان بها سابقا
جمهورية قرطاجنة ومملكة موريثانيا ومملكة ماسيلي (الجزائر
وتونس ومراكش) تعرف الآن ببلاد البربر وقد حصل لها عدة تغيرات فتغلب
عليها الرومانيون وجعلوها اقليما من جلة اقاليم اميراطوريتهم وبعد ذلك فتحها
الوندال وجعلوها مملكة مخصوصة ثم هدمها بليزير فبقيت تحت حكم
امبراطرة اليونان الى اخر القرن السابع ثم قصها العرب الذين لم يكن لاحد قدرة
على مقاومة جيوشهم ومكثت مدة وهي تحت حكم الخلفاء الا انها كانت بعيدة
عن دار اقامتهم قوى بذلك عزم المغاربة وهم اهلها المتأصلون وهموا
بالاستقلال والخروج عن طاعة الخلفاء ومن المعلوم أن احترام الناس للخلفاء
والسلطين اتما منشأ امتثال الاوامر الدينية وهذا يعين على التسويع لاعلى
حفظ ما فتح فلما قام عليهم اهل المغرب اضلوا الى التغاضي عنهم حيث لم يكن
لهم اقتدار على قمعهم وادخالهم تحت الطاعة ومن يومئذ انقسمت بلاد البربر

مطلب
اغارة الاميراطور على
بلاد افریقة وحالة تلك
البلاد

سنة ١٥٣٥

الى عدة عمالك كان اعظمها مراکش والجزائر و تونس وكان سكان هذه
الممالك اخلاطا من العرب والزنج الذين كانوا يأتون من الاقاليم الجنوبية
ومن المغاربة المتأصلين بافريقية او المطرودين من اسبانيا وكانوا جميعا
متمسكين بدين الاسلام ويغضون النصارى بغضا شديدا خشونة اخلاقهم
وفرط جبنهم

واذا وثقنا بكلام مؤرخى الرومانيين رأينا أن هذه الامة الجاسرة الخائنة لم تدم
على حالة واحدة بل وقع بينها فتن كثيرة وحصل في حكوامتها تغيرات جمة
غير أن هذه التغيرات لما كانت محصورة في داخل بلاد متبررة خبت عليها
عناكب النسيان قل من يعرفها وليست جديرة بالتذكار والاشتهار ولكن
حصل في اثناء القرن السادس عشر تغيير عظيم صارت به دول بلاد البربر
مخوفة على الافرنج وصار تاريخها حريا بالالتفات اليه والاطلاع عليه

وقد احدث هذا التغيير العظيم جماعة من رعاع الناس لا يتوهم فيهم فعل مثل
هذا الامر الجسيم وذلك أن رجلا كان ابوهما يصنع التبخار يقال لاحدهما
هوروق والثاني خير الدين وكانا يجان من الجسارة والمخاطرة فخرهما
ذلك الى أن تركا صنعة ابيهما واتخذوا صنعة الملاحة وانغمسا الى طائفة من ارباب
الصيال قطاع البحر فعدا قليل صار لهما صيت وشهرة بالشجاعة والمهارة وذلك
انهما اغتصبا سفينة صغيرة وصارا يجوبان بها البحر وينهبان ما يصاد فهما وحصل
لهما نجاح عظيم حتى جمعا دونهما مركبة من اثني عشر غرابا وعدة سفن اخرى
اصغر منها وكان اكبرهما هوروق وكان لقبه بربروس اى ذا اللعينة
الشقرة لان لحينه كانت كذلك وكان قبودان باشا على هذه الدونغا وكان اخوه
خير الدين هو القبودان الثانى ولكن كان مثل اخيه في هوذا الكلمة تقريرا
فلقبنا انفسهما باحباب البحر واعدا من يسافر على ظهره وعما قليل اشتهرا
وصار يخفى من ذكر اسمائهما من بونغاز الدردانيل الى بونغاز جبل الطارق
وكان كلما قويت شوكتهما وعظمت شهرتهما ازداد طمعهما واتسعت دائرة
مقاصدهما حتى محيا ما لحقهما من معزة الصيال بما ابدىا من المعارف الجسيمة

مطلب
منشاء دول بلاد البربر

مطلب
مشروع هوروق
واخيه خير الدين
الملقب كل منهما بذي
اللعينة الشقرة

سنة ١٥٣٥

والقاصد الجليله العظيمة التي لو كانت في فاتح لرقى به اذرى الشرف والفخار وكانا
في القالب يذهبان الى مينات بلاد البربر بما ينهبانه من الاموال والامتنعة
من سواحل ايطاليا واسبانيا فحصل لاهل بلاد البربر ثروة عظيمة من
ذلك حيث كانوا يشترونه منهما ومن ملاحيم ما بين بنحس فلذا كان لهما عندهم
حظوة وقبول ايما توجهوا وكانت هذه السنوات لطيفة الوضع لقرى بهما من دول
النصارى الكبيرة التي كانت يومئذ مشغولة بالتصارع فطرب لاهل هذين الاخيرين
أن يجد دارة في تلك الاقطار وعمال قليل لاحت لهما فرصة تعينهما على تجميع
هذا الغرض فانتهزاهما ولم يضيعا عمرتها وذلك أن اوعى ملك الجزائر كان قد هم
عند ممرات بالتغلب على قلعة كان بناها الاسبانول حكام اوران قريبا من
مدينة اوران وكانت دار اقامتهم فلم ينجح فيما هم به ولم يمكنه التغلب على تلك
القلعة فلعدهم تبصره استعان بذى النعية الشراء لانه كان عند اهل افرقة
معدودا من الابطال فلي هو روق دعونه واتاهم اخاه خير الدين بمقامه على الدونما
ووجه بخمسة آلاف من الرجال الى بلاد الجزائر فالتقاء اهلها وبالقواف اكرامه
كأنهم من بلادهم وتغلب على مدينة اوران وذلك أنه لما رأى أن المقاربة
لا يفلتون به سوء او رأى أن عساكرهم قليلة لا اسلحة فلا يقدرون على مقاومة
عساكره الذين غمروا على الحرب منذ مدة مستطيلة فذبح سر الملك الذي استعان
به ووقى على بلاده ثم اخذ يبحث عما يكون به تأييده وتمكنه فيها فسلط مسلحا
يلام طباع اهلها وعوايدهم فكان يكافى احرابه وانصاره الذين كانوا يعينونه
على التكن من الملوكة بالعطايا الجزيلة التي رجا عنت من باب الاسراف
والتبذير وكان فاسيا جبارا على من كان يخشى منهم ولم يكنف بهذه المملكة بل
هجم على ملك تلسان وكان يجواره فاخذ منه مملكته وضمها الى مملكة
الجزائر ولم يرل ينهب سواحل ايطاليا واسبانيا ومعه دوتها عظيمة كان
من رآها ينظر أنها دوتها ملك من عظماء الملوك لاسف بعض ارباب الصيال
وبالجملة فكان نهب هؤلاء الناس قد تجاوز الحدود حتى ان شرابكان يجرد
قلعه منصب الامير الطورية بعث الى ملتمز قوماريس محافظ اوران

سنة ١٥١٦

مطلب

تغلب هوروق

بربروس على بلاد

الجزائر

طائفة كافية من العساكر وامره بالهجوم على هوروق فبادر سنة ١٥٣٥
بالامتنال واجانه على ذلك ملك تلسان وكان قد طرده هوروق من
ملكته وقد أبدى هذا الضابط العجب العجيب حيث هزم جند هوروق
في عدة وقائع وحصر هوروق نفسه في مدينة تلسان فدافع عن نفسه
حق المدافعة ثم فاجأه الاعداء وانقضوا عليه وكان يريد الفرار من تلك المدينة
فلحقهم بقوة قلب وثبات جنان وما زال يدافعهم بشجاعة غريبة جديرة
بالشهرة والوقائع العجيبة حتى قتل

وبعد موته تولى اخوه خير الدين حكومة بلاد الجزائر وكان ايضا يلقب
برروس ولما تولى على هذه المملكة سلك مسلك اخيه في الطمع والمعارف
الا أنه كان اوفر حفظا منه فلم يقع في ايامه ما وقع في ايام اخيه من الاضطراب
والتعكير بحرب الاسبانول لانهم كانوا وقتئذ مشغولين بقتال الفريج فامكنه
بذلك أن ترتب امر السياسة والضبط والربط في داخل بلاده ترتيبا غريبا واستمر
على الاغارة والصيد في البحر مع العزم الزائد والقوة التامة ووسع فتوحاته
في الاراضي القارة من افريقية لكن كان يرى أن المقاربة والعرب يفتضون
حكمه ولا يتقادون اليه الاقهر عنهم وكان يخشى أن مسياله يغضب به
الى الحرب مع النصارى فادخل دوله تحت حماية سلطان العثمانية فامده هذا
السلطان بطائفة عظيمة من العساكر حتى يكون بهافي أمن من قيام رعيته
وهجوم الاغراب عليه وصارت شهرته فيما بعد آخذة في الزيادة كل يوم حتى طلبه
السلطان سليمان ليجعله قبودانا على الدونما العثمانية لانه لشجاعته وكثرة
تجاريه كان جديرا بأن يعدد لمقاومة الامير اتدره دورية الذي كان اعظم
اهل عصره في الملاحة والصناعة البحرية فترح برروس بهذا الامتياز
وسافر الى القسطنطينية وكان لين العريكة فعرف أن يجمع بين مدهانة ارباب
الدواوين وجسارة ارباب الصيال فنادع السلطان وصا في وزيره حتى استمال
قلوبهما وصارت له الخطوة العظمى لديمافركا اليه ووثقاه وخبرهما بأمر
كان عازما عليه وهو أن يغلب على بلاد تونس وكانت يومئذ هي بلاد ساحل

مطلبه

تقدم خبر الدين

ونجاحه

سنة ١٥٣٥

مطلب
شروع في فتح بلاد
فونس

افريقة واكثرها هجة وروثا فاستحسن ذلك كل من الوزير والسلطان واعطياه
جميع ما طلب لاجل تجميع هذا الغرض
وكان خير الدين يؤمل النجاح في هذا المشروع لما كان حاصله وقتئذ من الفتن
والحروب الداخلية يبلد فونس وذلك أنه كان بها حيتند ملك يسمى محمدا
وكان له عدة فساد فرزق منهم بأربعة وثلاثين ولدا وجعل احدا اولاده المسمى
بمولاي حسن وفي عهده وكان من اصغرهم ولم يخصه بذلك لكونه اكثر
اخوته معرفة بل لانه كان لاهه موقع عند ابيه لاسبابها وكان قد طعن في السن
فبدأ حسن المذكور بسم ابيه حتى لا يعدل عنه الى غيره من اخوته ثم قتل
من وقع تحت يده من اخوته وهذه عادة جارية في جميع البلدان التي يجوز فيها
تعدد الزوجات اذ تمكن الخلافة معينة بالنسب في عصابة من العصابات
وكان من كبار اولاده امير يسمى بأرشيد فساعدته المقادير على النجاة
من اخيه مولاي حسن والتجأ عند عرب البادية فاعانه بعض مشايخهم
وهجم عدة مرات ليستولى على كرسي ابيه لانه حقه حيث كان من اكبر اولاده
ولكن لم ينجح في ذلك وحيث ان عرب البادية لا يثبتون على حال واحد فخلوا عنه
بل وصعدوا على تسليحه لآخيه ليفعل فيه كيف يشاء لكنه فر الى بلاد الجزائر
وطالب حامية الملك بربروس فلما رأى هذا الملك أنه يمكنه أن يجلب لنفسه
فوائد جليلة باعانة هذا الامير وثابت حقوقه تلقاه مع الترحيب والاکرام
التمام واطهر له المحبة الصادقة والاحترام وكان بربروس اذ ذاك عازما على
السفر الى القسطنطينية فاستمال الرشيد الى الذهاب معه بعد أن وصف له
السلطان سليمان بأنه اكرم ملوك الارض واقواهم شوكة وصوله ووعد
بأنه يحصل له من طرف هذا السلطان امدادا عظيما يجمع به اعداءه وينصر به
وكان الرشيد يصدق كل ما يقال له ويسهل عليه أن يشرع في كل شيء لياخذ
ناج ابيه ولكن بمجرد وصولهما الى القسطنطينية اشارا الخائن بربروس على
السلطان سليمان أن يفتح مملكة فونس ويضعها الى سلطنته ولكن يكون
ذلك باسم الرشيد حتى يسهل عليه اخذها ويعينه انصار الرشيد واخرا به الذين

سنة ١٥٣٥

مطلب
نجاح بربروس

بمملكة تونس فرضى السلطان سليمان بهذه الخيانة الملازمة لطبع من اخترعها وإن كانت لا تليق بمقام هذا السلطان العظيم فجمع السلطان في أقرب وقت جيشا كبيرا وجهز دونفا عظيمة فلما رأى الرشيد ذلك ظن أنه قد نظف بأعدائه وأنه عما قيل يدخل مملكته محفوقا بالنصر والنظر إلا أنه عند السفر قبض عليه بأمر السلطان وسجن في السراية ولم يقف له أحد إلى ذلك الوقت على جلية خبر واقعه ببربروس إلى أفريقية بالدونفا وكانت تسجل على مائتين وخمسين سفينة فبعد أن خرب سواحل إيطاليا بالظهور أمام تونس وأخرج عساكرها إلى البر وظهر أنه جاء لاثبات حقوق الرشيد وأنه قد تركه مريضا في البحر وسيحضر عن قريب وبعد أن اشاع ذلك بدأ بالهجوم والافارة وعما قيل تغلب على قلعة غوليطة التي كانت حصنا للبحون ولم يكن تغلبه عليها بمحض مهارته وسياسته بل اعانه على ذلك خيانه حاكمها وما مواساته معه وكان أهل تونس قد سئمت نفوسهم من حكم المولى حسن فخرجوا عن طاعته وانضموا إلى حزب أخيه الرشيد مع الحية التامة حتى اضطروا حسن إلى القرار ولم يتمكن للجلته ومادهم من الصكر أن يأخذ معه أمواله وخزائنه ففتحت أبواب المدينة حالا أمام بربروس حتى كانه ناصر ملكهم الرشيد ومعيد حقوقه وناجه اليه لكن لما رأى أن الرشيد لم يحضر وأن اسم السلطان سليمان هو الجاري على السنة العساكر ارتابوا من هذا الأمر وظنوا أن ذلك حيلة وخيافة من بربروس ثم تغير الظن باليقين وظهر لهم أمر بربروس وغدره فبادروا إلى أخذ السلاح وقاموا عليه فكان بهم جنة واحاطوا بالقلعة وكان بربروس قد ادخل بها عساكره ولكن لتبصره في العواقب احتس قبل ذلك بما يسلم به من مثل هذه التكة فوجه اليهم نار المدافع والقربانات وشتت شملهم مع كثرتهم اذ لم يكن فيهم رئيس ولا ضبط ولا ربط فالزمهم بالدخول تحت الطاعة وادعوا بالوكية للسلطان سليمان واتروا لبربروس بالنيابة عن هذا السلطان فبدأ بربروس بتعصين مملكة تونس لتدافع عن نفسها عند الحاجة

مطلب
ازدياد شوكره

سنة ١٥٣٥

فصرف اموال الاجرة في انشاء تحصينات منتظمة بقلعة غوليطه وجعلها
حصنا لبقته وترسانته الكبرى البحرية والحرية وبعد أن صار ملكا على هذه
الاقطار الواسعة استمر على نهب دول النصارى وازدادت قسوته واشتد ظلمه
وصار لا يقدر احد على معارضته لازدياد شوكته ووصلته فكان يأتي
الى الامبراطور كل يوم من رعاياه الاسبانىولى والايطالية شكوى عديدة
من نهبه وظلمه وكان شرلكان اذ ذاك مطمح نظر النصارى كافة لانه كان اقوى
ملوك ذلك العصر وافرهم حظا فكان الاخرى يمنع هذا الظلم الذى لم يسبق
مثله وكان المولى حسن بعد طرده من تونس لم يجد مغيثا في ملوك الاسلام
الذين يلاذ افریقة فاستعان بالامبراطور شرلكان ليخلص له حقه عن
تعدى عليه وكان الامبراطور يود أن يتخذ دوله من ظلم بربروس وتعديه
ويخلص له حقه فعزم على التصدى لهذا الغرض ليفوز بفخر انتقاذ العباد من
قسوة هذا الظالم واجحافهم ففعا قليل عقد مصادرة مع المولى حسن
وتأهب لشن الغارة على بلاد تونس وكانت قيادته للعسكر في حرب البحار
قد اورثته شدة الطمع في كسب الشهرة والنفس بالحرب والقتال فقسم على
الذهاب بنفسه مع الجيش المتوجه الى تونس فجمع سائر العساكر الموجودين
بمحكومته ليرزبهم في هذا الحرب الكبير الذى كان مطمح نظر الافرنج
كافة واتى اليه دونما فلتكية من مملكة البلاد الواطية وفيها طائفة كبيرة
من مشاة المائيا واماسن بابلي وسبيليا فنزل بها عساكر ايطاليا
واسبانيا وكان قد طال عهدهم في العسكرية واتصروا على الفرنساوية
في عدة وقائع واما الامبراطور فركب البحر من ميناء برسلونه ومعه نخبة
امراء اسبانيا وبيكرادانها وسرية عظيمة من العساكر جاءت اليه من بلاد
البورغال وكان رئيسها اخوه الامير لوير واقبل ايضا الامير اندره دورية
بسفنه وكانت احسن سفن اوروپا فلما وتسلحا كما انه كان امهر الضباط
واكثرهم نشاطا ودرابة ولقد ساعد البابا على قدر جهده في نجاح هذا
المشروع الحميد وكانت طائفة مالطة تبغض المسلمين بغضه شديدة فاخرجت

مطلب

استعانة المولى حسن
بعد طرده من مملكته
بالامبراطور شرلكان
في ٢١ من شهر نيسان
سنة ١٥٣٥

مطلب

تجهيزات الامبراطور
لهذه الغزوة

سنة ١٥٣٥

مطلب
نزول الإمبراطور
في إفريقية

من عندها دونها أخرى ثم وان كانت هذه الدونما صغيرة إلا أنها كانت في المعنى
كبيرة نظرا لشجاعة عساكرها الشواربية وكانت مينا كإغلياري التي
في سردينيا هي الملتقى لجميع هؤلاء العساكر البرية والبحرية وجعل
الأمير دورية قيودان باشا على الدونما والمقرم دعواست سرعسكر
المشاة

وكانت الدونما تشتمل على خمسمائة سفينة وكان بها من العساكر المنتظمة ما يفي
على ثلاثين ألفا وسافرت من مينا كإغلياري في السادس عشر من شهر تموز
ولم يحصل لها ما يعطل سيرها حتى رست أمام تونس وكان بربروس قد
بلغه خبر التجهيزات الجسيمة التي جهزها الإمبراطور فأدرك الغرض منها
واستعد مع الحزم والعزم للمدافعة عن فتوحاته الجديدة واحضر وجاهه الذين
كانوا منتشرين في البحر واحضر أيضا من مدينة الجزائر جميع العساكر الذين
امكنه احضارهم من غير أن يضرب بحفظ المدينة وبعث رسلا إلى سائر ملوك
إفريقية من مغاربة وعرب ووصف لهم المولى حسنا بأنه كافر حيث أنه
لجرت الطمع وقصد الانتقام التبع إلى ملك من ملوك النصارى وتحزب معه على
دمار دين الإسلام فعرف بمثل هذه الخيل أن يشترقوس هؤلاء الملوك الذين
كانت جيوشهم الدينية بالغة الغاية فأخذوا السلاح جميعا واستعدوا لقتال
الكفار ودفعهم عن بلاد الإسلام واجتمع في تونس عشرون ألفا من الخيالة
وطائفة كبيرة من المشاة وفرق عليهم بربروس هدايا عظيمة حتى لا تنفرهم ثم
بالتأني والامهال ومع ذلك كان لا يؤمل نجاحا لان عساكره كانت خفيفة
بخلاف عساكر الإمبراطور من قرابة وخيالة فأنها كانت شاكبة السلاح
فلا يمكن لعساكره مقاومتها فكان تعويله على قلعة غولطة وعلى العساكر
العثمانية الذين كانوا معه لأنهم كانوا في التسليح والضبط والربط على نسق عساكر
الافرنج فادخل في عاصته آلاف من العساكر العثمانية وأمر عليهم رجلا يقال له
سنان وكان يهودي الأصل وكان اشجع رجال بربروس واعظمهم
في التجارب واكثرهم دراية بالقائع والحوادث ومع ذلك حاصر الإمبراطور

مطلب
حصار قلعة غولطة

سنة ١٥٣٥

تلك القلعة واحاط بها من سائر جهاتها بحيث كان اذا ذلك متحكما على البحر
كان لا يتقصر من معسكره شئ من الامور اللازمة بل كان عساكره يجدون
ما يشتهون حتى ان المولى حسنا لعدم تقوده على رؤية مثل ذلك في الحرب
تجيب من شوكة الايمبراطور ووصلته وبحضور شرلكان قوى عزم عساكره
وصاروا يخفرون بسفك دمهم في هذا الحرب المحمود ويتساقون الى ما فيه
انطر من المخططات لما في ذلك من مزيد الشرف والتفخر وقد قسم جيشه الى
ثلاث فرق الفرق الاولى عساكر المانيا والثانية عساكر اسبانيا والثالثة
عساكر ابطاليا واقام كل فرقة في جهة من جهات القلعة وامرهم بالهجوم
عليها فجمعوا جميعا دفعة واحدة مع الحمية التي تنشأ عن الغيرة الملية لدى
المسابقة هذا وقد ابدي سنان من العزم والشجاعة ما ظهر به أنه جدير
بتعويل بربروس عليه وتجند المحافظون ايضا على المشاق العظيمة والتعب
والنصب الذي لحقهم منذ الحصار فكانوا يخرجون غالباً من القلعة ويجمعون
على المحاصرين ويطلون ما صنعوه وكان العرب والمغاربة يكثرن الهجوم
على معسكر الايمبراطور ويقعون عساكره ومع ذلك اتسع شروم اسوار
القلعة من جهة البر وكانت السفن ايضا تضرب ضرباً شديداً على التحصينات
المبنية من جهة البحر حتى اخذت القلعة عنوة مرة واحدة من سائر جهاتها
وبعد أن قاوم سنان الاعداء حق المقاومة فر الى المدينة مع من بقى
من المحافظين الذين كانوا معه في القلعة وبعد اخذ هذه القلعة استولى الايمبراطور
على دوتما بربروس وكلت تلخ سبعة وثمانين سفينة كبيرة وصغيرة واستولى
ايضاً على الترسانة وعلى ثلثمائة مدفع أغلبها من التوج وكانت مصفوفة على
اسوار القلعة وهذا القدر من المدافع كان عجيباً بالنظر اذ ذلك الوقت فيدل على
اهمية تلك القلعة وعظم شوكة بربروس وقد دخل الايمبراطور في قلعة
عزيلة من الشرم والتفت الى المولى حسن قائلاً ها هو باب مفتوح
تدخل منه الى بلادك

مطلب
اخذ القلعة عنوة في
٢٥ من شهر تموز

فحصل لبربروس فزع ورعب مما قد فعله لكن لم تقهره مته بل صمم على أن يذل غاية

سنة ١٥٣٥

جهده في محاولة اقتاد مدينة تونس من ايدي اعدائه وكان دائره هذه المدينة واسعا جدا واسوارها غير حصينة فكان لا يتحقق النجاح في المدافعة عنها لاسيما وكان لا يتق بسكانها ولا يعتمد عليهم بل ولا يؤمل من العرب والمغاربة التحلدي على مكابدة مشاق الحصار فعزم على الهجوم بجيشه على معسكر العدو وكان يبلغ خمسين الفا فاصدبت الامر له او عليه بهذه الواقعة وعرض ذلك على كبار ضباطه وكان في القلعة عشرة آلاف من اسرى النصارى فاخبر ضباطه أن بقاء هؤلاء الاسرى في القلعة يفضي بها الى الخطر لانهم رجماء عصا مدة غيبة العساكر وسلموا القلعة لاهل ملتهم فمن الاحتراس اللازم عدم الرأفة بهم وقتلهم قبل سفر العساكر وخروجهم من المدينة فاستحسن منه الضباط امر الهجوم على العدو والانهم مع قوة قلوبهم وشدة قسوتهم لتعودهم على القتل والذبح بالسيال وقطع الطرق داخلهم القرع والرعب حين عرض عليهم بربروس ذبح عشرة الاف قس دفعة واحدة فلم يوافقوه على هذا الرأي فرضى بربروس بالاستبقاء عليهم خوفا من غضب الضباط لاروة بشرية اورافة انسانية قامت به

مطلب
هزم الإمبراطور
جيش بربروس

وكان الإمبراطور في انشاء ذلك متوجها بجيشه الى مدينة تونس ونلق عساكره من النصب والتعب ما لا مزيد عليه حيث كانوا يمشون على رمال محرقة والشمس تبطح رؤسهم ولا يجدون ماء يبلون به صداهم ومع ذلك وصلوا الى اعدائهم في مدة قليلة فلما رأى العرب والمغاربة أن جيشهم أكثر عددا من جيش النصارى قوى عزمهم وجلوا عليهم حملة واحدة وهم رفعون اصواتهم بالتهليل لكون لعدوهم درايتهم بالسكرية وقلة ضبطهم وربطهم لم يمكنهم أن يثبتوا أمام عساكر الإمبراطور لحسن انتظامهم وترتيبهم * ومع حزم بربروس وما بذله من الجهد في جمع جيشه والتشام صفوfoه والقائه بنفسه الى الاخطار والاهوال حتى يقوى عزمهم ويتأسوا به بتدعيمهم وانهم زموا شرهزيمة حتى ان بربروس فرمهم الى المدينة من غير أن يشعر بذلك فلما وصل اليها وجدها في اسوء حال حيث رأى بعض سكانها خارجا مع عائلاته وامتعته

وبعضهم مائلا الى التسليم للنصارى ووجدوا العساكر العثمانية متاهة للقرار
ورأى النصارى المأسورين فى القلعة قد تغلبوا عليها مع أنه فى مثل ذلك
الزمن كان يمكنه أن يلجئ اليها ويحصن بها وذلك أن هؤلاء الاسرى لقتوهم
ويأسهم انتهزوا الفرصة بغية بربروس كما كان يتوقعه فنجرد ما بلغهم
أن جيشه صار بعيدا عن المدينة رشوا اثنين من الحرس وكسروا السلاسل
والاغلال والسجن وطردها عساكر الترك الذين كانوا يحافظين فى القلعة
ووجهوا مداخلها نحو اعداء النصارى فلما شاهد بربروس المدينة على هذه
الحالة استولى عليه الياس والقنوط وفر هاربا الى مدينة بونة (عناية)
وهو يلوم ضباطه حيث كانت رأتهم فى غير محلها وندم كل الندم حيث قبل
قولهم ولم يقطع دابر هؤلاء الاسرى قبل خروجه من المدينة

مطلب
تسليم مدينة تونس

لم يرل الايبراطور شركان يتقدم جهة تونس وهو فى فرح وسرور
من تلك النصر التى لم يقد منه فيها كثير من الرجال ولكن كان سيره مع البطى
والتأنى والاحتراس الملائم لن حل يلاذ اعدائه وكان لم يبلغه ما حصل
فى المدينة حتى اتاه رسول من طرف النصارى الذين كانوا مسورين فى القلعة
واخبره بأنهم قاموا وتغلبوا على القلعة وطردها منها الاعداء واتاه ايضا رسل
من طرف المدينة معهم مفاتيحها وتضرعوا اليه أن يحميمهم من عساكره
حتى لا يضروا سكانها ولا يفعلوا معهم امرا منكرا وينما كان الايبراطور
مشغولا بما يحترس به من وقوع النهب والسلب فى المدينة اذا اقتض عساكره
عليها على حين غفلة خوفا من أن ينعمهم من الغنية وصاروا يتهبون ويلبسون
ويتقلون اهلها ولا يحترمون احدا منهم فلم يمكن الايبراطور حينئذ أن ينعمهم
ويردهم عن قسوتهم واجحافهم بالاهاى وصارت مدينة تونس غنية
للعساكر واشتد بهم الحمية حتى صاروا الايرافون باهلها لعدة اسباب كبايتهم
لهم فى الاخلاق والدين وقتل فى هذا اليوم المشؤم اكثر من ثلاثين النفس
لاذنب لهم فكانوا فريسة للقسوة النصرانية واسر عشرة آلاف وجلس
المولى حسن على كرسي ملكته والارض كالدهان من الدماء ودم القتلى

سنة ١٥٣٥

سائر ملها ورعاياه يعنونه لعنة الكفار لما أنه كان السبب في حلول تلك المصائب
ببلادهم واشتد بغض الناس له حتى رفق لحاله من كلوا سببا في تلك المصائب
وتأسف الإمبراطور على ما حصل من عساكره اذ كان سببا في تدمير غره
واطفاهم جته ولكنه رأى في اثناء ذلك ما يسليه في الجملة وهو أن عشرة الآلاف
من النصاري الذين كانوا مأسورين بالمدينة وكان فهم عدة أشخاص
من ارباب الاعتبار والامتياز قابلوه عند دخوله المدينة وقبلوا الارض بين يديه
ودعوا له بالنصر والظفر حيث فكهم من الاسر وانقذهم من ايدي اعدائهم
الجبابرة

مطلب
قولية الإمبراطور
للمولى حسن على
كرسي مملكته

وكما وفي الإمبراطور شرلكان بوعد للمولى حسن حيث ولاد نانيا على
كرسي مملكته لم يغفل عما فيه مصلحة نفسه وامن رعاياه باذلال ارباب الصيال
من اهالي افريقية وذلك أنه عقد مشاركة مع المولى حسن تتضمن هذه
الشروط وهي أن مملكة تونس تكون من التزامات ملك اسبانيا وتكون
تحت تبعية الإمبراطور وأن كل من كان اسيرا وقتئذ في دول المولى حسن
من النصاري من اى ملة كانت يعني سبيله من غير فداء وأن رعايا الإمبراطور
يرخص لهم في التجارة في بلاد تونس وأن لا يكون عليهم حرج في التعبد
بدين النصرانية وأن تبقى قلعة غوليطة ملكا للإمبراطور وتسلم اليه كل
المنتجات المحصنة في المملكة وأن يدفع له المولى حسن كل سنة اثني عشر ألف
ايكوا واصاريف العساكر الاسبانية التي تقوم بمفظة قلعة غوليطة
وأنه لا يجتهد مشاركة ولا مساعدة بينه وبين اعداء الإمبراطور وأن يهدى
اليه كل سنة بوصف كونه من اسباعه ست افراس مغربية وستة من طير الباز
* وبعد أن تم مصالح افريقية على هذا الوجه وعاقب ارباب الصيال
واعقد من الاماكن ما تلحق اليه عساكره عند الضرورة واخذ لنفسه مرسى
لطيف على السواحل التي كان يأتي منها ارباب الصيال ثم بدوله وركب البحر
ليعود الى أوروبا وكان ذلك في فصل كتبه عواصف الرياح وحلت
الامراض بعساكره فلم يمكنه أن يقتني اثر بربروس ويتبعه حتى

١٧ من شهر ابر

سنة ١٥٣٥

مطلب
التفر الذي سازه
الايبراطور بسبب
هذا الحرب

يقبض عليه

والظاهر أن معاصري هذه الواقعة جعلوا فضلها في حسن القصد منها بحسب الظاهر وفيما سلكه الايبراطور في تنميتها من الابهة والهمة وفي نجاحها فيها ولم يلتفتوا الى عواقبها المهمة وفوائدها الجمة حيث رقى بها الايبراطور الى ذوى التخاذل والشرف وكانت اجمع الحروب التي شرع فيها الى ذلك الوقت قتل من الاسرى عشرين الف نفس من النصارى بعضهم بالقوة وبعضهم بالمشارطة المتعقبة بينه وبين المولى حسن واعطاهم جميعا ما يلزم لهم من الملابس والدرهم ليرجعوا الى اوطانهم فاقبضوا بعد رجوعهم الى اوروبا في مدح الايبراطور والنساء عليه وبالفوا في وصفه بالحلم والكرم حتى صار له موقع عظيم في قلوب الافرنج واشرفت شمس فخاره في الافاق حتى خفيت بها النجوم فخر غيره من الملوك لانهم يتما كانوا مشغولين بمصالح انفسهم كان هو مشغولاً بالمدافعة عن النصارى كافة وبمصيل ما فيه راحة اوروبا وامنها فصار جديراً بأن تكون درجته اعلى الدرجات بين ملوك الافرنج

انتهت المقالة الخامسة

* (المقالة السادسة) *

من اتحاد ملوك الزمان * بتاريخ الايبراطور شرلكان

واما الملك فرنسيس فن سوحظه سلك مسلكاً ميباً تا سلكه الايبراطور فسات شهرته بين اهل عصره وذلك أنه انتهر الفرصة بغبية الايبراطور لاجل قتال اعداء النصارى وجدد طلب حقوق في بلاد ايطاليا فاقوع بلاد اوروبا في حرب جديد وقد املنا أن مشاركة كبريه لم تمنح ما كان بين الايبراطور وفرنسيس من العداوة والبغضاء ولم تظني منيران التفاهم والمشتاق من بينهما وانما استمرت طواهرها فقط لاسيما وكان الملك فرنسيس يترقب فرصة يعيد بها الى نفسه الشهرة والاراضى التي قد هافكان دائماً لا يغفل عن المداولة في هذا الشأن مع ملوك اوروبا وكان يبذل جهده في تقوية الغيرة التي قامت بنفس بعض ملوك الافرنج من ازدياد شوكة الايبراطور وشدة

مطلب
اسباب حرب جديد
وقع بين الايبراطور
والملك فرنسيس

سنة ١٥٣٥

طمعه وكان يجتهد في أن يودع في قلب البعض الآخر الوساوس والرعب الذي كان قائما بنفسه من الإمبراطور وكان يخاطب في هذا الشأن كثيرا من الأمراء لاسيما الأمير فرنسيس سفورس ثم وان كان الإمبراطور هو الذي ولي هذا الأمير على دوقية ميلان إلا أنه كان قد شرط عليه شروطا صعبة جدا فلم يقتصر على جعله من أتباع الإمبراطورية الألمانية بل ألزمه بدفع الخراج حتى كما أنه من أتباع الإمبراطور نفسه ولم نفسه تشريفه بتزوجه بنتاخت الإمبراطور الذي كان أعظم ملوك الأفرنج ما لحقه من مذلة التبعية بل كانت نفسه لا تطيق ذلك حتى أنه مع ضعف شوكرته وخوفه من الإمبراطور بادروا إلى قبول كلام فرنسيس حين عرض عليه أنه يريد فكه من قيد التبعية وكان فرنسيس قد بعث إليه بصدق هذا الأمر بزيادة من دوقية ميلان يقال له مرويل كان مقبلا اذ ذاك بمدينة باريس فسافر هذا الأمير إلى دوقية ميلان متعللا بأنه يريد زيارة عائلته وأقاربه والواقع أن فرنسيس هو الذي أرسله إلى سفورس وكانت معه بذلك مكاتبات من طرف الملك المذكور وقلقاء سفورس على سبيل أنه رسول من طرف فرنسيس ووقع مزيدا لاهتمام بكتمان هذا السر وعدم افشائه ومع ذلك أدركه شرلكان ولا يدري هل أخبره به أحدا واخذه بطريق الخدس والتخمين وعلى كل بادروا إلى تحذير سفورس وتهديده كل التهديد حتى حصل له ولوزرائه رعب شديد حتى يقامهم بين الأفرنج حيث ظهر أنهم يخشون بأس الإمبراطور وبطشه حتى عذّب ذلك منهم من باب الخبن الذي يري بالمروءة ويدنس العرض فبذلوا جهدهم في إرضاء خاطر الإمبراطور وأوقعوا المشاجرة بين مرويل وأحد ضباط الدوق سفورس وكان مرويل غير جامع لما تستدعيه ونظيفة الألبية التي قلدها من الحزم والتبصر قتل الضابط الذي تشاجر معه قبض عليه حالا وأقيم دعواه وحكم عليه بالقتل وقتل في شهر كانون الأول سنة ١٥٣٣ فاعتباط فرنسيس من قتل ألبية لان الألبية محترمة عند سائر الأمم بل والمثل المتبرق والمثنية وغضب لذلك غضبا شديدا إذ أن هذا الأمر

سنة ١٥٣٥

منقصة في حقه وترذيل لشأنه فهدد سفورس ورفع شكواه الى الامبراطور الذي هو القاعل في الحقيقة لهذه القعلة لما في ذلك من هتك حرمة حقوق الدول والملل فلم ينصفه الا امبراطور ولا امير سفورس فرفع شكواه الى سائر ملوك الافرنج وابدى أن له الحق في الانتقام لنفسه في تطهير هذا القعل المخالف للقوانين وأنه ان لم يبادر بذلك لحقته المعزة بين الملوك وانخط قدره

وبعد أن تعطل فرنسيس بهذه العلة في اشهار الحرب الذي كان مصمما عليه من قبل جعل يذلل جهده في ادخال غيره من الملوك في حربه ولكن طرأت اذ ذلك عوارض افسدت عليه ما كان يديره وذلك انه بعد أن دنس عائلته الملوكية بزواج ابنه لكاترين الميديسيية فاصدا بذلك ادخال البابا كليمان في حربه مات هذا البابا ويؤس الملك فرنسيس مما كان يؤمله من هذا الزواج وكان البابا بولص الثالث الذي خلف كليمان يميل الى حزب الامبراطور ولكن ظهر منه أنه مصمم على التخلي عن الحزبين اذ لا يليق به اعانة احدهما على الاخر وهو بموجب منصبه ابوالنصارى كافة فيجب عليه الاصلاح وازالة اسباب التناقض والتشاق من بينهم وكان ملك انكلترا مشغولا اذ ذلك بمصالح دوله فجنب في هذه المزة الدخول في المشاجرات وابتى أن يعين فرنسيس الا اذا تأسسى به في الخروج عن طاعة البابا

وكان فرنسيس لا يؤمل مثل ذلك من ملوك انكلترا فلما رآه ممنعا من اعانته اضطر الى الاستعانة بامراء المعتزلة الذين كانوا من ارباب عصبة سمبالكاله فصار يستميل طوبهم اليه بقلقه لهم ومدحه لغيرتهم على عقائدهم التي ذهبوا اليها ومدافعتهم عنها بما في وسعهم واطهر أنه يستصوب اراءهم في المسائل الاخلاقيه التي وقع فيها النزاع منهم وبين ديوان رومة وأذن لرسوله يولي الذي بعثه الى بلاد المانيا أن يعرض على هؤلاء الامراء عن لسانه وأياه في المسائل المهمة الصعبة وأن يعبر فيها بالقاطرة من الاقفاط التي عبر بها المعتزلة وتغالى فرنسيس في المخادعة والمداينة حتى دعا ميلختون الذي كان ممتازا بينهم بحسن الاخلاق ولين العريكة الى الحضور بمدينة باريس

مطلب
عدم وجود نصير
لفرنسيس

مطلب
مداولته مع معتزلة
المانيا

سنة ١٥٣٥

لبنذا كرمعه في شأن ما يكون به الإصلاح بين الحزبين ويزيل اسباب الشقاق
الحاصل بين الكنيسة وحزب المعتزلة وكل ذلك منه محض خداع وسياسة
وليس ناشئا عن اعتقاد وادعاء باطنى لان المذاهب الجديدة وان كانت
قد اثيرت تأثيرا قويا في عقل اخيه ملكة توار ودوقة فرارة لكنها لم تؤثر فيه
لانه كان مشغولا باللعب والاهو ومضيعة اوقاته في اللذات والشهوات كما هو
دأبه فلم يكن في اوقاته فحة حتى يقف على حقيقة المسائل التبولوجيكية
التي كان واقعها فيها النزاع وقتئذ

مطلب
سلوكه فيما يعرض
امراء المانيا

ولكنه عمال قليل ظهر أن ذلك منه حيلة وخداع فلم يورثه الا المعزة والتضيعة
لانه سلك سلكا سخيا لئلا يظهره لامراء المانيا ولكن لا يخفى أن سلوكه
هذا المسلك كان قهرا عنه اذ لم يحمله عليه الا بدع عصره واوهام رعاياه الفاسدة
وذلك انه كان بينه وبين ملك انكلترا المحكوم بكفره وطرده عن الكنيسة
التنام كلى وكانت مداو لانه لا تقطع مع معتزلة المانيا وكان قد قبل رسولا
بعثه اليه السلطان سليمان فتوهم الناس فيه الضلال وقوى هذا الشك
عندهم حين سمع على الحرب مع الإمبراطور الذي كان كليا لاحتماله فرصة
يبدل غاية جهده في المدافعة عن الدين لاسيما وكان تصميمه على هذا الحرب
حين كان الإمبراطور يستعد لتقتال بربروس الذي كان معدودا
من الحروب المقدسة لما أن بربروس المذكور كان ينهب دول النصارى
ويضربهم ويسد عليهم الطرق والمسالك فلاجل ازالة هذا الشك من قلوب
الناس رأى فرنسيس أنه يجب عليه ابداء براهين جلية على صحة عقيدته
وتحكيمة بدين الكنيسة وكان بعض رعاياه قد تمسك بمذاهب المعتزلة وعقائدهم
فاتهم تلك الفرصة واستعان بها على تفتيز مرأه من ازالة ما قام باذهان
الناس من زنج عقيدته وكان من رعاياه وضع على ابواب القصر
الملوك المسيحي لوفر وفي جميع الميادين والحال السلطانية بطاقات مكتوبا
فيها عبارات مستحالة على هيو دين الكنيسة الرومانية وادم اصوله واحكامه قبيض
على ستة ممن كتب هذه البطاقات او كان لهم دخل فيها وقتلوا بهذه الكيفية

سنة ١٥٣٥

وهو انه لاجل منع المصائب التي كان يتوقع حلولها بالناس لكفرهم بالتدح
في الكنيسة امر فرنسيس بعمل موكب واحتفال عام وحل القربان المقدس
وطبقه في الحارات والازقة الكبيرة من المدينة وكان فرنسيس في اول
الموكب مكشوف الرأس ويده شعله نار وامراء عائلته حاملون مظلة لهذا
القربان وجميع الامراء والبيكرات خلفهم صفافا ثم صاح الملك في هذا
الموكب الحافل مع الجنية والحمام كما هو عادته عند التكلم قائلا ان كانت
احدى يدي تقيست باعتزال الكنيسة قطعها بالآخرى قطعيها ولا اراى
من خرج عن دينها ولو كان من اولادى هذا ولاجل البرهنة على صحة ما قاله حكم
بجرق الستة المقبوض عليهم فخرقوا على رؤوس الاشهاد قبل انتهاء الموكب
واذ يقاويل المحرق عذابا شديدا تفر منه نفوس اهل المروءة ولا يستطيع النظر
اليه من به ادنى ثقة

مطلب
امتناع ارباب عصبة
سمالكالد عن الانضمام
الى حزبه

فلما بلغ ارباب عصبة سمالكالد ما صنعهم الملك فرنسيس مع من اعتزل
من دعاياه غضبوا كل الغضب وعرفوا انه كاذب فيما اظهره لهم وانه كيف
يدافع في بلاد المانيا عن مذاهب المعتزلة وينعنها في بلاده ويعاقب من غش
يهان رعيته اشد العقاب فن لم تؤثرفهم فصاحة بيلى ولا ماسلكه
معهم من التدبيرة والمكر في استمالتهم الى حزب سيده فرنسيس لاسما
وكان الايمراطور الى ذلك الوقت لم يفعل شيئا منكرامع المعتزلة ولم يتعرض لمنع
تقدم مذاهبهم واتساع دائرتهم بل التزم في مشورة الذينة المنعقدة بمدينة
راتسبون انه لا يؤذى من اتبع دين المعتزلة فكان من حزم هؤلاء الامراء
المانية وسداد رأيهم انهم رأوا ان يعيظهم على الايمراطور ومواعيده المحققة
اقرب الى الصواب من تعيظهم على مواعيد فرنسيس المظنونة البعيدة
التي كان يخادعهم بها لاسما وكان تخليه عن معاهديه وحلفائه في صلح كبريه
راضيا في الادهان فلم يستطع أحد أن يثق بمحبته وكرمه ويعتمد عليه في شيء
فتلك الاسباب العديدة أبى امراء المانيا أن يسعفوا فرنسيس بامداد
يستعين به على الايمراطور شرلكان فلم يأذن رئيسهم الامير منتخب

سنة ١٥٣٥

سكن للعالم ميلختون أن يسافر الى مملكة قرانسا خوفا من غضب
الامبراطور ومنع الحرية والشك وان كان ميلختون فرح للسفر فرح شديد اما
لكونه دعاء الى ذلك ملك عظيم الشوكه جليل القدر اولاه كان يرى أن حضوره
بدون فرنسا الملوكي يعود بالنفع على حرب المعتزلة
ومع أن ملوك الافرنج وامراءهم كانوا اذذاك ما بين خائف وغاثر من ازدياد شوكه
الامبراطور وبطشه لم يرض احد منهم أن يعين فرنسيس على ما كان يقصده
من منع ازدياد هذه الشوكه وتموها ولكن مع ذلك لم يرل فرنسيس مصمما
على قصده ووجه جيشه الى ضواحي ايطاليا وحيث انه لم يسرع في الحرب
الامتداد للاحاقبة دوق ميلان في تطير قتله لرسوله لما في ذلك من هتك حرمة
حقوق الدول والملل كان يظهر أن غرضه اخذ دول هذا الدوق بهذه الحجة ولكنه
حول جيشه الى دول اخرى وذلك أن الامير كرلوس دوق صابوة كان
قد تزوج باميرة البورنسال وهي الاميرة يياتريكسة اخت الامبراطور
شرلكان وكان هذا الدوق اقل امراء عائلته نشاطا ومهارة وكانت الاميرة
المذكورة التي تزوج بها ذات معارف وعوارف فاخذت بعقل زوجها
وصارت تتصرف فيه كيف شاءت ولشجتها يكونها اخت الامبراطور
اولا غتارها بالامور المزخرفة التي كان يعدها بها اخوها جعلت بين الديوان
الامبراطوري وزوجها علائق وروابط بعد أن كان زوجها الى ذلك الوقت
لم يتعرض لمعاودة الامبراطور او فرنسيس لاسباب سياسية حيث كان يرى
بالنظر الى وضع دوله أن تخليه عن كل منهما هو الصواب وغير ذلك يضر به وكان
ملك فرنسا يعلم انه يحاطر بنفسه اذا هو دخل بلاد ايطاليا قبل
أن يتغلب على دول هذا الامير الذي كان يميل كل الميل الى مصالح الامبراطور
حتى انه ارسل ابنه البكرى الى ديوان مدريد ليتربى هناك ويكون رهينة
عند الامبراطور على امانة ابيه وعدم عدوله عن الحزب الامبراطوري وكان
البابا كايان السابع حين تقابل مع الملك فرنسيس بمدينة مرسلينا
افهمه شدة هذا الخطر وشار عليه أن يبدأ قبل اغارته على دوقية ميلان

مطلب
توجه جيش
الفرنساويه
الى ايطاليا

سنة ١٥٣٥

مطلب

نقلب فرنسيس على
دول الامير دوق ساوية

بأخذ اقليم ساوية واقليم بيون وانهم اذ انقلب على هذين الاقليمين
لا يبقى هناك حاجز يفصل بينه وبين مملكته مادام ميلاد ايطاليا فيسهل عليه
تخزين مقاصده وما ربه وبدون ذلك لا يتم له مرام وكان ثم عدة اسباب توجب
كرهه فرنسيس لدوق ساوية منها انه كان اعطى الاميردى بوردون جميع
الاموال التي جمع بها بعد عصيانه العساكر الذين هزموا عساكر فرنساوية
في واقعة باويا المشؤومة فلما لاحت هذه الفرصة لفرنسيس اخذ يظهر
نعمه محاسن من دوق ساوية وأنه يفتقم عن اساءه ولو بعد حين وكان ثم عدة
اسباب بها يترأى أن ظلمه الذي عزم عليه ليس الامن باب العدل والانصاف
وذلك أن دول مملكة فرنسا واقليم ساوية كانت متصلة ببعضها بل
ومتداخلة في بعضها من عدة جهات فكان ينشأ عن ذلك مشاجرات دائمة
ومنازعات مستمرة في شأن حدود اراضي كل من فرنسيس ودوق ساوية
وزيادة على ذلك كان لفرنسيس بواسطة اميرة لوزة اميرة ساوية حتى
فيما كان ينبغي لها انقسامه مع اخيه دوق ساوية المذكور من املالك
ايبها ولكن اراد فرنسيس أن يبنى حربه مع دوق ساوية على اسباب
اخرى خالية عن الشبهة ليست كهذه الاسباب مضى عليها احقاب انست
ذكرها فالتبس من الدوق المذكور أن يأذن له بالمرور من اقليم بيون
ليدخل دوقية ميلان وكان جازما بأن الدوق ليله الى الامبراطور لا يرضى
بمروره من هذا الاقليم فيخذ ذلك عله في الاغارة على بلاده وتخصيما كان مصمما
عليه ولكن لم يتوقف هذا الدوق في قبول هذا الامر حسبما ذكره مؤرخو ساوية
الذين هم اعلم بهذه الواقعة من مؤرخي فرنسا لانه لم يكن له قدرة على الاستناع
من قبوله بدون أن يضطر نفسه فوعده أن يترك جيش فرنساوية يمر ببلاده
الى حيث شاء وبناء على ذلك لم يبق للملك فرنسيس في الاغارة على بلاده
سوى كونه يلزمه بتوفية ما يطلبه تاج فرنسا من عائلة ساوية
بناء على حقوق الاميرة لوزة فلم ياته في هذا الشأن الاجواب مبهم قليل
الجدوى حسبما كان قائما بنفسه فتوجه جيش فرنساوية حالا الى بلاد الدوق

وكان رئيس هذا الجيش الامير دوبريون فهمم على دول الدوق من عدة جهات وتغلب في اسرع وقت على اقليم بريئة واقليم بوجي وكانا حينئذ مضافين الى الدوقية سابوة وقبعت اغلب مدائن هذه الدوقية اوابها عند دنو جيش الفرساوية منها والبعض الذي لم يسلم واراد المقاومة اخذ عنوة في اقرب وقت وقبل انتهاء الحرب صار الدوق مجزعا عن دوله ما عدا اقليم بيون فانه بقي له فيه بعض مدائن حصينة تدافع عن نفسها

طلب

عود مدينة جنيورة الى حريتها

ولاجل اتمام المصيبة على هذا الدوق خرجت مدينة جنيورة عن طاعته وكان يرغم انهاره حتى كان له سلاطة عليها من بعض الوجوه فخر عصيانها الى عصيان سارالاراضي المجاورة لها وكانت جنيورة وقتئذ من المدائن الاميراطورية وكان يحكمها مباشرة اساقفة من اهلها تحت تبعية ودقات سابوة ومع ذلك كانت قواتها الداخلية جمهورية محضة فكانت محكومة بوكلاء ومشورة مخصوصة اربابها يقتضهم الاهل الى فن ثم حصل الشقاق فيها وافتراق اهلها فرقتين مكنتا زماما طويلا لتنازعا في شأن هذه المدينة الجمهورية فكانت احدهما تدافع عن حزايا الجمهورية وكانت تسمى اينورة اي حزب المتعاهدين للمدافعة عن الحرية العامة وكانت الثانية تعضد من ابادوق سابوة وتدافع عن حزايا الاساقفة فسموها باسم ماملوس اي الارقاء احتقارا لهم فلما دخل دين المعتزلة في هذه المدينة اودع في قلوب من تمسك به الجسارة الكبيرة و الجراءة التامة التي تنشأ عادة في كل قلب تعلق بهذا الدين وكان كل من الاسقف ودوق سابوة عدوا مينا للدين المعتزلة لعدة اسباب من مصالح خصوصية واوهام كاسدة ومقاصد سياسية فضيقا على الناس كل التضيق في شأن هذا الدين فغضب الاهالى من هذا التضيق وصاروا المعتزلة كلهم ينضمون الى حزب الايثورة فانضمت بذلك الحمية الدينية الى حب الحرية فازداد عزم الناس وعظمت قوتهم وكبر الشقاق والتفاقم بين الحزبين وتكاثر الفتن وكان الغالب في الاكثر حزب الحرية فكان يتقلب كل يوم على اراض جديدة فابطل دوق سابوة والاسقف ما كان بينهما من المشاجرات والتنازع في شأن

سنة ١٥٣٥

سنة ١٥٣٤

شوكهما ومزاياما واجتمعا مع القتال حزب الانيوترة الذي كان عدوا
لها فقاتله كل منهما باسلاحه اما الاسقف فحكم بكفر اهالي مدينة جنيرة
لاتباعهم والذين المعتزلة ونحرو جهم عن دين النصرانية مع تعديهم على حقوق
الاسقف واما الدوق فهجم عليهم ونحرو جهم عن طاعته وله حق الملك عليهم
وعزم على انه تغلب على المدينة أولا بالخليلة والخدمة فاذا لم ينجح اخذها
عنوة وتغلب عليها بمحض القوة ولكن احتقر اهلهما حكم الاسقف عليهم بالكفر
ودافعهم عن انفسهم حق المدافعة لياخذوا حريتهم ويستقلوا بانفسهم وكانوا
مع شجاعتهم قد اتاههم مدد عظيم من قطر برنة لانه كان متعاهدا معهم
واعانهم ايضا ملك فرنسا حيث ارسل اليهم سرا اموالا اورجالا لانتخاب
آمال دوق سابوة ولم ينلشر بجرانه من التغلب على المدينة ولم يقتصروا
على دفعه عن انفسهم وطرده بل انهزوا فرصة يجزه عن مقاومتهم وبقيا
سكان جيش القرناسوية يسكن القارة على بلاده تغلبوا على عدة قلاع
وحصون كانت له بجوار مدينتهم فاراحوا بذلك اتسهم من رؤية تلك الانار
التي كانت تذكرهم بتبعيتهم لغيرهم وامنعوا على حريتهم حيث ان تلك القلاع
نعيهم عند الضرورة على اعدائهم وفي اثناء ذلك حصل ان قطر برنة اتاح
على بلاد وودة وتغلب عليها بناء على ما كان يرغمه من ان له الحق فيها واما قطر
فرييورغ فخرج نمسكة بالدين القانوليقي وعدم وجود مقتض للشقاق بينه وبين
دوق سابوة اراد ان يقتسم مع غيره سلب هذا الدوق فتغلب على بعض
اراضيه وبالجملة فقد تغلب كل من هذين القطرين على جزء عظيم من اراضي دوق
سابوة باق معه الى الآن فازدادت بذلك شوكته ووصلته وقد صارت هذه
الاراضي الآن الطب بلاده ومع ما ضل فيه بعد دوقات سابوة ليعيدوا
حكومتهم على مدينة جنيرة لم تزل تلك المدينة مستقلة برأسها باقية على
حريتها وبذلك صارت معتبرة ككل الاعتبارين الدول وعظمت ثروتها
حتى وصلت الى درجة جليلة كان لا يمكنها الوصول اليها لو لم تكن حرة مستقلة
بنفسها

سنة ١٥٣٥

وبينما دوق ساووة قد نزلت به تلك المصائب المتتابعة ولم يرمي يستغيث به
الا الايمبراطور اذ رجع شرلكان منصورا من بلاد تونس فاستصرخ به
هذا الدوق استصرخ المستغيث المكروب وكان له الحق في كونه يؤمل الاغاثة
منه لان ميله الى الايمبراطور ووعايد مصالحه هو الذي اوجب له تلك المصائب
ولكن كان الايمبراطور لا يمكنه أن يسعفه بالاغاثة حسبا كانت تقتضيه حالته
اذ ذاللان معظم العساكر الذين غزوا معه في بلاد افريقية كانوا مستأجرين
لهذه الواقعة بخصوصها فجبر دفر اغما سر حوا وخلي سيلهم واما العساكر
الذين كانوا مع الامير اتوان دوليو فلم يكن فيهم كفاية للدفاع
عن دوقية ميلان فلم يمكنه أن يفصل منهم فرقة ويرسلها لاغاثة الدوق المذكور
وايضا كانت خرائن الايمبراطور قد عقدت في المصاريف الحسبية التي صرفها
في حرب افريقية

٢٤ شهر تشرين

الاول

مطلب

موت الامير سفورس

دوق ميلان

ولكن مات في اثنا ذلك الامير فرنسيس سفورس وكان سبب موته على
ما ذكره بعض المؤرخين انه داخله الخوف والرعب من اغارة الفرنسيين
لان اغارتهم في المراتين السابقتين كانت قد انشئت بعائلته كل الضرر فقامات
انزع الوقت مع الايمبراطور وامكنه أن يستعد للحرب بجميع لوازمه لان موت
هذا الامير كان على حين غفلة فغير موضوع المشاجرات والحرب حيث كان الملك
فرنسيس يظهر أن قصده من الحرب هو معاقبة الدوق سفورس في نظير
كونه هتك حرمة فرنسا بقتله لرسولها فموت هذا الدوق زالت تلك العللة
وكان الملك فرنسيس قد تخلى عن حقه في هذه الدوقية للدوق سفورس
وذريته وحيث ان سفورس مات ولم يعقب ذرية كان مرجع هذا الحق
الى صاحبه وهو ملك فرنسا الذي كان غرضه الاصل من الحرب هو التغلب
على دوقية ميلان فلذا طلبها بمجرد موت سفورس ولو كان حين طلب
حقه ايد ذلك بتوجيه جيشه الجزا الذي كان مقبلا في ساووة الى دوقية
ميلان لتغلب عليها مع السهولة وقاز بجرامه الأمانة كان كلما طعن في السن
قل عزمه وقررت همته لان ما حل به سابقا من المصائب كان مرسوما في ذهنه

سنة ١٥٣٥

مطلب

دعوى الملك فرنسيس
في شأن دوقية ميلان

لا يبرح عن فكره فكان تذكر ذلك يفضي به احيانا الى العجب والحوال فتعوضا
عن اثبات حقه في دوقية ميلان بطريق القهر والغلبة اقتصر على الدواولات
ومكثت المكاتبات بينه وبين الاميراطور مدة طويلة فتشأ عن هذا الحوول
الذي يتولد عا دق من الخوف ويضرب صاحبه في المصالح الجسيمة أن فرنسيس
غفل عن انتهاز تلك الفرصة التي كانت تعينه حق الاعانة على اخذ دوقية
ميلان فوضع الاميراطور شر لكان يده على هذه الدوقية بوصف كونه
سيدا عليها وهي تابعة له كبقية الالتزامات التابعة للاميراطورية حيث ان له
الحق في وضع يده عليها حتى خلت عن المالك وبينما كان فرنسيس يضع اوقافه
في تأييد حقوقه بالبراهين والادلة ويبدل جهده في استمالة الدول الايطالية
اليه حتى لا تنزع منه اذا حكم ثانيا في ايطاليا كان الاميراطور شر لكان
يحتس سر اكل ما يلزم لفسد عليه آماله ويحجب سعيه واهتم باخفاص مقاصده
حتى لا يعلم اعداؤه ما في ضميره من مبدأ الامر فكان يظهر أنه يقتر ويعترف بصحة
ما يقوله ملك فرانس واثما هو متحير في كيفية رد دوقية ميلان اليه بدون
تكمير على بلاد اوروبا وعدم اختلال ميزان التعادل الموجود بين دول
ايطاليا لاسما و كان ارباب السياسة في هذه الدول يحافظون على ابقاء
هذا التعادل بين دولهم فبهذه الحيل خدع الملك فرنسيس وسأرملول
الا فرنج حتى اتسع معه الوقت وامكنه أن يحدث مشكلات جديدة شغلت
اعداءه والهمتهم عنه من غير أن يظهر عليه ادنى شيء يوجب الوسوسة
في صدور الناس فكان تارة يعرض أن تعطى دوقية ميلان للامير دوق
دورليان ثا في اولاد الملك فرنسيس واخرى يعرض أن تعطى للامير
دوق دانفوليم ثالث ابناء الملك المذكور وحيث كان في ديوان فرانس خلاف
فيمن يتولى حكم الدوقية المذكورة من هذين الاميرين صار الاميراطور تارة
يختار الاول وتارة يختار الثاني وكان ذلك مع المخادعة التامة والمكر في اخفاء
ما بضميره حتى ظهر أن الملك فرنسيس ووزرائه لم يدركوا مقاصده الحقيقية وظهر
بايقاف الحرب من ملك فرانس انه خطر ياله أن لا شيء ينفعه من وضع يده

سنة ١٥٣٦

مطلب

تأهب الايمبراطور
للحرب

على الدوقية المذكورة

وكان الايمبراطور في أثناء هذا الزمن الذي شاغل فيه اعداءه يستعد للحرب ويجهز مواده ومهماته ولم يرل تصيل على دول سيسليا ونايل حتى امدته بامدادات عظيمة لم يسبق ثلها الى ذال العصر وذلك أنه لما شرفهم بمحاول ركابه السامى ييلادهم بعد رجوعه من بلاد تونس منصوراً مؤيداً ارادوا أن يظهروا امامه بالكرم والسخاء فغضوه هذه الامدادات الجسيمة التي امكنه بها ان يجمع عساكره القديمة وأن يجمع من بلاد المانيا طائفة اخرى ويستعد بكل ما يلزم لتخيز اغراضه التي كان مصمماً عليها * وكان الامير بيل المبعوث من مملكة فرانساً حاضراً اذ ذاك ييلاد المانيا فعرف القصد من جمع العساكر ولم يصدعه ما ظهره اهل المانيا من الخيل في اهبام الامر عليه فكتب لسيدته فرنسيس صورة الواقعة واخبره أن ذلك يدل على عدم صدق الايمبراطور فيما يقول وثل هذه النصيحة كان حقها أن تنبه الملك فرنسيس من غفلته لكنه كان اذ ذاك المولعاً بالمداولات والمكاتبات وكان خصمه امهر منه في هذا المجال فعوضاً عن أن يشرع في الحرب مع عزمه المعتاد وينقلب على دوقية ميلان قبل اجتماع الجيش الايمبراطوري اكتفى بعرض امور جديدة على الايمبراطور ليعطيه هذه الدوقية بمحض ارادته وكانت فائدة تلك الامور عائدة على الايمبراطور وكانت عظيمة الحدوى بحيث لو كانت طوية الايمبراطور خالصة لما امتنع من قبولها الا أنه لما كان مغفراً خلاف ما يظهر وكانت له ما رب اخرى حاول في قبول هذه الامور قائلاً انه لا يمكنه أن يبت شيئاً في هذا الشأن الا اذا تذاكر فيه مع البابا حيث ان ذلك يتوقف عليه أمن بلاد ايطاليا واطمئنانها وبهذه الحيلة اتسع معه الوقت بالكلية حتى امعن النظر وتمكن من تخيز اغراضه التي كان مصمماً عليها وعرف عواقبها ومسيباتها وما يترتب عليها

وبعد ذلك توجه الايمبراطور الى مدينة رومة فدخلها في موكب عظيم واحتفال عام وحصلت حينئذ حادثة واهية ذكرها بعض المؤرخين وجعلوها

٦ من شهر نيسان

لغلتهم علامة على ما وقع بعده من الحرب الممهل وهي أن الازقة كانت ضيقة
لا يمكن أن يمر منها موكب الاميراطور وكان هنالك هيكل مهديم يقال له هيكل
الصلح فلاجل توسيع الازقة لم يور الموكب لزم رفع اطلال هذا الهيكل واتقاضه
هذا الواقع أن الاميراطور كان قد فرض علائق الصلح فلما جمع امره
انظر ما كان يضمره مدة طويلة في شأن ديوان فرانسا وبين حقيقة ما ربه
على وجه واضح لا يقبل الريب وذلك أن رسل فرانسا طلبوا منه جوابا
بنياعا عرضه عليهم سيدهم الملك فرنسيس لينال منه حكومة دوقية
ميلان فوعدهم الاميراطور بالاجابة الى غد بحضور البابا والكردينالات
فاجتمع في اليوم الثاني البابا والكردينالات في الديوان ودعيت
رسل الملل الاجنبية الى الحضور ثم قام الاميراطور ووجه خطابه للبابا
واطال الكلام المؤذن بميله الى ابقاء الصلح والراحة بين الملل النصرانية وبغضه
للحرب وما يترتب عليه من الاهوال والمصائب وحكى في هذا الشأن كلاما
طويلا كان قد استعصره من قبل واعتنى بحفظه فذكر أن مساعيه في شأن الصلح
وابقاء الراحة في اوروبا قد افسدها عليه الا أن طمع ملك فرانسا وظهور
تعديه وأنه قبل أن يبلغ سن الرشد قد فعل هذا الملك معه ما يدل على بغضه له
ويشعر بمقاصده المضرة به حتى أنه فيما بعد قد ظهرت هذه المقاصد حق الظهور
حيث سعى في حرمانه من التاج الاميراطوري مع أنه حقه وحق آبائه من قبله
وأنه منذ قليل انغار على مملكة نوار ولم يكتف بهذه الظالم بل هجم
على اراضيه واراضى حلفائه التي يبلاد اطاليا ومملكة البلاد الواطية
وبعد أن حصل التأييد من القدير العلي عز وجل واتصرت عساكره على جيش
الفرنساوية واسر الملك فرنسيس في واقعة شهيرة لم يرجع هذا الملك عن تلك
المقاصد المتأذية لشعائر العدل والانصاف بل لما عجز ورأى قوامه قد ضعف وبادت
جعل يسلك مسلك الخداع والغش ولم يلتفت الى شيء من البنود المقررة
في مشاركة مدريد التي كانت مبنى خلاصه من الاسر وتخليه سبيله
فانه بمجرد دخوله في مملكته جعل يستعد للحرب مع أن هذه المشاركة

مطلب
استقاده على فرنسيس

انما انعقدت لابطال الحرب والنزاع فهزمت عساكره ايضا واضطر الى طلب
 الصلح وانعقدت مشاركة اخرى بمدينة كبريه لكن نخب طويته لم يقدرها
 الا وهو مصمم على قضاها وعدم العمل بمقتضاها حيث انه بعد انعقادها بتليل
 تعاهد مع المعتزلة من امراء المانيا وحزنهم على القيام والعصيان ايضا عوا
 راحة الايمبراطور ية ويوقعوها في الاختلال والفتن والاهوال والمحن وعماتليل
 انار على دوق ساوية وطرده من معظم بلاده مع أنه كان متعاهدا
 مع الايمبراطور ومتزوجا باخته فبينهما علاقة المصاهرة والمعاهدة فخل هذه
 المصالح العذبة والاسباب الاكيدة الموجبة للشقاق والتناقم لا يمكن معها
 حصول الائتلاء والتوافق فزاد الايمبراطور على ذلك انه وان كان يميل الى اعطاء
 دقية ميلان للملك فرنسيس الا ان الناهر انه كان لا يكتفه ذلك
 لان فرنسيس لا يرضى بقبول الشروط اللازمة حتى لا يضر ذلك براحته
 بلاد اوربا ولان الايمبراطور لا يرى من الصواب أن يعطيه هذه الدوقية
 من غير أن يلزمه بالشروط والاحتراسات اللازمة حتى لا ينشأ عن استيلائه
 عليها ما يضر بالملك النصرانية ومع ذلك لا ينبغي لنا أن ننفك دماء رعايانا
 وانما نهم خصوصتنا بقتال خصوصي ي و بينه في ميدان حرب وله أن يختار
 ما شاء من انواع الاسلحة ويقضى الله ما يريد ويكون قتالنا في جزيرة
 او على قنطرة او مدينة مربوطة على نهر او غير ذلك وتبقى دقية بورغوين
 مرهونه عندي من طرفه ويرهن عنده من طرفي دقية ميلان ومغلب
 من انبث له الرهن الذي تحت يده وبعد ذلك نجتمع عساكر المانيا واسبانيا
 وفرنسا لترغم انب الدولة العثمانية وعحق الاعتزال ومعمو آثاره من بين الملل
 النصرانية فان امتنع فرنسيس من تميم الخصومة على هذا الوجه وابي
 الا الحرب فلا شيء يعني حيث نذعن التغالي فيه حتى يصير احدا فاقرا اكابر
 مملكته ولا أخشى أن اكون اما المغلوب بل ادخل في الحرب بقلب سليم لا ينزع
 ومثل النصر والنجاح بل واجرم به واتقنه كيف لا والحق معي ولي ما يؤيدني
 وهو التمام رعيتي وكثرة جنودي وشجاعتهم وامانة رؤساء عساكرى وكثرة

• طلبه •

دعاء الايمبراطور الملك
 فرنسيس الى مقاتلة
 خصوصية

تجارهم وامالك فرائسا فليس له شيء من ذلك فلذلك تكن وسائل اكثر
من وسائله ولم يكن رجاء في النصر مؤسسا على اسباب اقوى وأكثر من
اسبابه لذهبت اليه حالا مغلول اليدين والعنق ووقعت على اقدامه وطلبت
منه العفو والسماح

وقد خطب الاميراطور هذه الخطبة الطويلة بعلو صوته مع الحمية والحماسة
على وجه يؤذن بالامارة والشهيم وكان الرسل الفرنساوية لا يفهمون جميع
معاني ما احتوت عليه هذه الخطبة لانه قالها باللغة الاسبانية ففهموا كل
التخدير حيث كانوا لا يعرفون ما يحجبون به عن هذه المسبة الظاهرة التي لم تكن
تخطر لهم ببال واراد احدهم أن يكلم ليبري سيده من ذلك فاستدركه
الاميراطور باغلاظه عليه ولم يأذن له بالكلام واما البابا فلم يتعرض له بشيء
وانما اوردني بالصلح واوجز في العبارة مع الحمية والحماسة قائلا ساذل جميع وسعي
في ايقاع الصلح بين الملل النصرانية حتى لا يقل نظامهم ويحتل حالهم ثم اتفنى
الجلس وقام اربابه وهم في غاية العجب من قول الاميراطور ولاشك
أن الاميراطور في هذه المرة قد تجاوز عادته وعدل عن سنن طباعه حيث كانت
عادته أن يتنكر في العواقب ويسلك سبيل الحزم والنصر ويراعي مكارم
الاخلاق وشعار الادب فيخفي ما ربه ومقاصده حتى لا يدركها احد وطلما تعجب
الناس من وجود هذه الخصال فيه في غير هذه المرة واما في هذا المجلس فسلط
سلطان الجراءة والسفاهة حيث مدح نفسه واقصر في ديوان الكرد ثلاث بغزواته
وحروبهم وظفروا باعدائه وسب خصمه كل المسبة ودعاه الى القتال المخصوصي
على وجه يلحق بابطال الحكايات الباطلة والنخرافات التي تلتقي بمن كان اذ كان
اعظم ملوك النصرانية ولكن يسهل توجيه ذلك عندئذ اذا التفت الانسان
الى ما وقع له غير مرة من الظفر باعدائه ومدح المتعلقين فان ذلك له تأثير قوي
ولو في النفوس العلية وكيف انه صد السلطان سليمان مع شدة بطشه
وقوة شوكرته اذ كان اذ اخذ مملكة بربروس مع عظم صولته وهيبته
في سائر السواحل ولا يرى نفسه أنه غضنق اوانه وشمر عام زمانه وكان من حين

مطلبه

اسباب تناخره وتظاهره

بملح نفسه

سنة ١٥٣٦

رجوعه من افریة منصورا والاعیاد والمواسم العامة مستمرة لا تنقطع
وكان بها الشہار نصره وتخصيم مقامه وقدره فكان لسان حالها يحذنه برقة
شأنه وعلو مكانه وقمانفق الشعراء والادباء من مملكة ايطاليا كنوز قرائعهم
في مدحه وجادوا بينات افكارهم في بث ما تراه وفضله وكانت هذه المملكة
ازهى عمالك الافرنج وابججها في الآداب والفنون المستطرقة وزيادة على ذلك
كان المتعممون يخبرونه أن مستقبله يكون اعظم من ذلك فاخذته الفتوة حين
ارتشف من تلك الاقداح * التي هي من دواعي الترح والانسراح * وعقل
عن عادته من الاحتراس والسكينة فعبده * وارغى بالتفاخر في هذا الحقل العام
وازيد * حيث اوسع في الخطاب * وابدى للعائرين العجب العجيب
والظاهر أن الإمبراطور قد احس بخطأه حالاقاته لما حضر بين يديه رسل
فرنسيس في اليوم الثاني والتمسوا منه توضيح ما وله في شأن الحرب
المنصوبة ابيهم بأنه لا يلزم الالتفات الى ذلك وانما قلته حقنا لدماء الرعايا
وبذل جهده في لطيف عبارات أخرى ~~كان~~ قد قالها في خطبته وتكلم
معهم في شأن سيدهم بعبارات مؤذنة بالادب والاحترام * ولا يخفى
أن مثل ذلك لا يكفي في جبر ما وقع منه من المسبة في حق الملك فرنسيس
ومع ذلك لم يرل هذا الملك يسد اول مع الإمبراطور طامه في انتهاء المناجرات
بالتى هي احسن لما رأى الإمبراطور أنه قد عصى بصره وبصيرته حيث لا يصر
حبال الخداع والمكيدة اخذ يدها منه فظهر له انه يريد قبول ما عرض عليه
وكان في انسا ذلك يذبراموره ويستعد بما يلزم لتنجيز اغراضه وما ربه

مطلبه
دخوله في مملكة
فرانسا

وبعد أن جهز الإمبراطور جميع المواد والمهمات اللازمة جمع في ضواحي
دوقية ميلان جيشا جزارا يبلغ اربعين الفا من المشاة وعشرة آلاف
من الخيالة واما جيش الفرنساوية فكان دون ذلك في العدد وكان قد عسكر
قربا من مدينة ورسيلي في اقليم بيون وتخلت عنه طائفة من عساكر
السويسة فنقص جدا وصار اقل من الجيش الإمبراطوري بكثير وسبب
تخليها أن الإمبراطور بعد اهنته وتخليه حل الاقطار التأويلية على طلب هذه

الطائفة متعللا بأنه لا ينبغي للسويسة أن يتناولوا دوق ساوية لانه حلفهم من قديم * وبنا على ذلك كان سرعسكر الفرنساوية يخشى من القتال فكان يبعد كلما قرب منه جيش الایمیراطور وكان الایمیراطور مع جيشه وكان الرسام معه الملتزم دوغواست والدوق دالبه والامیر فردینند دوغوزاغ وكان سرعسكره الامیر أنطوان دوايوه وكان جدیرا بهذا المنصب لغزارة معارفه وادمانه على التجارب ووقائع الاحوال * فعما قليل اظهر الایمیراطور أنه ليس قصده الاقتصار على فتح اقليم بيجون ودوقية ساوية بل مرامه الاغارة على الاقالیم الخويصة من مملكة فرانساً وكان يدبر امر هذا المشروع منذ زمن طويل ويسذل جهده في جمع المواد والمهمات اللازمة لتجيزه مع العزم التام حتى ينجح فيه وينظر بمقصوده وكان قد بعث الى اخته اموالا كثيرة وكلت حاکمة في مملكة البلاد الواطية وكذلك الى اخيه فردینند ملك الرومانيين وامرهما أن يجعلا ما بكنهم ما جمعه من العساكر ليجمع منهم فرقتين احدهما تدخل مملكة فرانساً من جهة بیکاردیا والاخرى من جهة اقليم شمبانيا وهو يدخل بجيشه الجزائر من الجهات المقابلة لهما تین الجهتين من المملكة المذكورة

ولكن لم يوافقهم وزراءه ورؤساء عساكره على هذا المشروع واخبروه انه يصير عرضة لاختار عظيمة اذا ذهب بعساكره الى تلك الاقطار الفرنساوية وبعد عن مخازنه خصوصا وهذه الاقطار لا يوجد فيها ما يكفي مؤونة اهلها وترجوه أن يلتفت من جهة الى كون مملكة فرانساً لا تنجز ابدان الحرب مادامت تدافع عن نفسها ومن جهة اخرى الى بطش اشراف الفرنساوية اذا منطلقوا بالشهامة وتدرعوا بالحمية للذب عن ملك يحبونه حباً جاساً واجلاء العدو عن وطنهم * وذكره بما حصل من الخذلان للدوق دي بوربون والامیر بیکير حين شرعا في مثل هذا الفرض مع أن مقتضيات الاحوال اذ ذلك لم تكن دون مقتضيات هذا الوقت في المساعدة * وكان اكثرهم الحاسا عليه في هذا المعنى هو الملتزم دوغواست حيث خر على اقدامه وترجاء أن يعدل

سنة ١٥٣٦

عن هذا المشروع الخطر ولكن الاسباب العديدة التي حلت الايمراطور على قصد هذا المشروع لم تسوغ له أن يسمع اهم قولاً ولأن يقبل منهم سرقا ولا عدلا وكان عادة يندر عدوله مما عزم عليه لاسيما في هذه المرة فانه كان يريد رغم انفس خصمه الملك فرنسيس وكان ثم بواعث تحمله على ازدرائه واحتقار معارفه وانكار فضله وفي الحقيقة كان هنالك يون بعديدين معارف هذا ومعارف ذلك وكان الايمراطور مغرورا بنظره وحظه بل ربما كان معولا على قول من اخبره من المنجمين بانه سيكون مستقبله سعيدا وانه لا يزال يرقى الى اوج المعالي فابي الاتخير هذا المشروع بل عزم على التوجه الى بلاد فرنسا قبل التغلب على اقليم بيمون وانما اخذ منه بعض قلاع لازمة جدا لتكون وصلة بين جيشه ودوقية ميلان

وكان الملك فرنسيس قد اقام الملتزم دوسالوسه على طائفة صغيرة من العساكر معدة لحماية بيمون فاهمل الملتزم المذكور في هذا التغر حتى استولى عليه الايمراطور مع السهولة وكان هذا الملتزم قد تربى يدويون فرانسا وكان الملك فرنسيس يفتقد عليه بالخيرات الجزيلة فشرفه بائتمانه له واتامته بهذا التغر العظيم الا انه ترك سيده على حين غفلة وخانه بدون سبب ولا علة تغضبه ووجبه ذلك بل كانت اسباب خيائنه واهية باطلة كما كان فعله من باب الجبن وذلك انه كان من اهل البدع والاوهام فكان يصدق باخبار المنجمين فحزم بان الملكة الفرنسية قد حان اوان اقراضها وأن الايمراطور سيضع اساس دولته على آثارها فبناء على ذلك رأى من الحزم والصواب أن يضم الى حزب الايمراطور حيث ان الدهر يساعده ويسالمة ورأى انه لا يستوجب لنفسه لوما ولا يلحقه عار اذا تخلى عن حزب يريد الله سبحانه وتعالى دماره * وكان غدره كبيرا وخيائنه فاحشة حيث انه لاجل أن يفتح للاعداء تغور فرانسوا استعان بالشوكة والصولة التي كان قلده بها الملك فرنسيس وجميع ما عرضه عليه الضباط الذين كانوا تحت حكمه واهموا بقتله لاجل دفع الاعداء وطردهم انكره عليهم او اضاع عمره

مطلب
تغلب الايمراطور على
جزء من دول دوق
سابوة

فاهمل بالكلية فيما يجب عليه من المدافعة من حيث كونه رئيس المحافظين
وبهذا السلوك القبيح الذي اكسبه الخزي والمعة جعل القلاع والحصون
غير مألحة للمقاومة حيث جرّدها عن الزاد والادوات والاسلحة والمهمات
فكان لا يلحق جيش الاميراطور تعب ولا مكابرة في التغلب على اقليم بيجون
ولم يكن الامير مونيزات محافظ مدينة فوسانو قد ابدى العجب العجيب
من النجاعة والمهارة حتى اوقف جيش الاميراطور شهرا كاملا امام
هذه المدينة الصغيرة

ولما حصل هذا العائق للجيش الاميراطوري اتسع الوقت مع الملك فرنسيس
وامكنه أن يجمع قواه وعساكره ويدبر امر المدافعة عن بلاده ويتخذها
من تلك الاخطار والاهوال واقتصر على ما يمكنه أن يقاوم به عدوه وينجو
من صولته وشدة بطشه وما اظهره من الحزم والاصابة في انتخاب الوسائل التي
احترس بها ومن العزم والمواظبة في اجراء تلك الوسائل جدير بالمدح وحسن
التنام حيث كان مخالفا لميته الطبيعية كما كان مياثا لطباع الملوك الفرنسيين
فالزم نفسه بالاعتصام على المدافعة وعدم المخاطرة بعساكره في القتال
الا اذا جزم بالهزيمة وعزم على أن يحيط معسكره بتحصينات منتظمة
وأن لا يضع المحافظين الا في اعظم القلاع والمدائن الحصينة وأن يجرب البلاد
التي يدخل منها العدو حتى يهلك جوعا ولا ينسر في خراب اقليم يترتب عليه نتيجة
المملكة بتبليغها وفوض امر ذلك للمارشال دوموتور انسى وكان هو
البتدع لهذا الامر وما كان الله الا جعله الله سبحانه وتعالى لتنجيز هذا
المشروع المهم فكان ذاتهم واقعة وكان معجبا جبارا يحب نفسه ويعرفه
ويردري معارف من عداه وكان لا يعشق ولا يشفق فكان اذا عزم على شيء
لا يعدل عنه حتى يفض امره

فانشأ المارشال معسكرا حصينا تحت اسوار مدينة اوينون على ملتقى نهر
الرون ونهر دورنة فكان احدهما نهر ين يجلب الى عساكره
من داخل المملكة جميع ما يلزم لهم وكان النهر الاخر يحصن معسكرهم من الجهة

مطلب

صورة مادبره الملك
فرنسيس للمدافعة
عن مملكته

مطلب

تقويضه اجرام هذا
الامر الى المارشال
موتور انسى

مطلب

وضع معسكره بقرب
مدينة اوينون

سنة ١٥٣٦

التي يظن أن العدو يأتي منها واشتغل من غير اهمال بتحصين هذا المعسكر حتى جعله حصينا منيعا وجمع فيه جيشا عظيما وان كان دون جيش الإمبراطور عددا واما الملك فرنسيس فاخذ طائفة أخرى من العساكر ونصب معسكره قرب مدينة والنس على شاطئ نهر الرون فوق معسكر المارشال ورأى أنه لا يلزمه الاتحصين مدينتين وهما مدينة مرسيليا ومدينة ارس اما الأولى فليكون متكاملا من البحر واما الثانية فوجه لزم تحصينها أن تكون حصنا لاقليم لتخدوق فوضع في هاتين المدينتين طائفة عظيمة من المحافظين والحفر وانتخبهم من اعظم جنوده وجعل عليهم ضابطا لا يعهد فيهم الا الامانة والشجاعة وحل اهل المدائن الأخرى وسكان الغيطان والقلاو على ترك بيوتهم ووزعهم فجعل بعضهم في الجبال وادخل بعضهم في المعسكر وارسل الباقى الى داخل المملكة وهدمت سائر الحصون والقلاع التي يمكن أن يأتى اليها العدو ويدافع بها عن نفسه وقتلت الحبوب وانواع المطعومات والذخائر والعلوفات من تلك الاماكن وخربت الطواحين والاخران وهدمت الابار وغيرها حتى صار لا ينفع منها بشئ فكانت ترى الارض مقفرة كالصحراء من جبال البه الى مدينة مرسيليا ومن شاطئ البحر الى دوقية دوفينة ولا يرى في الساريح أن ملة متدنة فعلت ذلك الامر الشنيع المنكر لتدافع عن بلادها

مطلب

دخول الإمبراطور

في اقليم برونسة

وقد وصل الإمبراطور مع طليعة جيشه الى ضواحي اقليم برونسة وكانت نشوته لم تزل متسلطنة عليه وآماله متعلقة بالنجاح حتى انه لما نزل بعساكره واضطر لا انتظار بقية جيشه ومضت عليه عدة ايام في هذه المحطة صار يقسم على ضباطه البلاد التي كان يؤمل قصها ويعدهم بتصاب بمملكة فرنسا واراضيا ويبين لكل منهم سهمه ليشتد عزمهم وتقوى قلوبهم لكنه لما جال في البلاد ورأى الاراضى خربة مقفرة كالصحارى داخله اليأس وزال من نفسه ما كانت تسو له آماله وادرك أن الملك الذي يحترق اقليمه من اغنى اقاليمه واهمها لا بد وأن يكون مصعما كل التصميم على المداخعة عن الاقليم

الآخرى ولما دونقما التي كان يعتمد عليها في تحصين قوت جيشه فعملها الرياح وحصلت لها عوائق أخرى فكنّت زمانا طويلا لا يمكنها الدخول من سواحل فرنسا فلما رست بعد معاناة وتعب رأى الإمبراطور أن ما فيها من الخدوش والموتة لا يمكن جيشه الجزار وكان لا يطمع في شيء من إقليم برونسة ولا من بلاد دوق ساويرة لانها مكنت مدة طويلة وهي تصرف على جيشين عظيمين فغير في أمره وصار لا يدري ما يصنع بجيشه في تلك البلاد ولا من أين يطعمه لانه وإن كان حيثن مستوليا على هذا الإقليم العظيم ما عدا بعض بلاد منه الا انه كان لا يعدّ نفسه مستوليا عليه حقيقة حيث لم يجد فيه الامدان غير حصينة بخلاف فرنساوية فكانوا متحصنين في معسكرهم بقرب اويون وكان باليديهم مدينتا مرسيليا وأرلس ولم يكن ثم مدينة محصنة سواهما فافراد الإمبراطور أن يبدأ بالهجوم على معسكر فرنساوية وينهى بذلك أمر الحرب الآن الضباط الماهرين الذين بعثهم ليكشفوا له عن كيفية وضعه اخبروه بعد اطلاعه على ما به لا يتمكن منه بأى وجه كان فامر بوضع الحصار على مدينة أرلس ومدينة مرسيليا مؤملا أن فرنساوية يادرون الى اعانة هاتين المدينتين ويتركون المعسكر المحكم الوضع الذى كانوا به لكن لما كان المارشال مونتورانسى لا يعدل عاصم عليه لم يتحول عن معسكره وتلقى محافظوا المدينتين عساكر الإمبراطور بقلب ثابت وعزم عجيب حتى الجأهم الى رفع الحصار بعد أن هلك مقدار منهم وبأثر بالغزى والمرة فغاطر الإمبراطور ودنا من مدينة اويون الآن العساكر الخفيفة كانت تخرج عليه من المعسكر وتطرد عساكره حتى سئموا واشتد عليهم التعب والتعب ونزلت بهم الامراض ويسوا كل اليأس من امكان ازالة تلك العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة التى كانوا لا يتقربونها

وفي مدة الحرب كان مونتورانسى يكابد المناق من جهة عساكره اكثر مما اهمه من جهة العدو وذلك أن حية عساكره فرنساوية ومحبتهم لوطنهم اخرجتهم عن طور العقل والحزم وافضت بهم الى ترك سبل السياسة والتبصر

مطلب
محاصرته لمدينة
مرسيليا

مطلب
ثبات مونتورانسى
في تضييق مادبره
للمدافعة عن مملكة
فرنسا

(سنة ١٥٣٦)

في العواقب حتى ان علكة فرنسا لهذا السبب كانت قد اشرفت على الوقوع في الاهوال والمصائب التي كان مونثورانسي سياسته وحزمه يحاول اجتنابها وابعادها عنها فلم يستطع فرنسا وية الملك يدون حرب والعدو نصب اعينهم يحترق وطنهم وبلادهم وداخلهم القلق والجزع من طول المدة التي مضت عليهم وهم محجوزون عن الحرب ولم يدركوا القوائد الجلية التي كانت نصب عين المارشال مونثورانسي من المنهج الذي سلكه للدفاع عن المملكة فطلبوا الحرب والقتال مع الالاح والارلم وعدوا ماسلكه المارشال بما يري في الملة الفرنسية ويكسبها الخزي والعار وكنوا يرون أن حزمه وتبصره في العواقب ليس الامن باب الخول وأن احتراسه عجز وتبته في اتباع هذا المنهج الذي اختاره للدفاع ليس الامن قبيل العناد والكبر ونشأ ذلك اولاً بين العساكر واصغر الضباط ثم سرى الى عقول اكابرهم وكان اغلبهم يفار من خطوة المارشال مونثورانسي عند الملك وسم البعض الاخر من كبره وشجته فمما قليل عم الفم سائر المعسكر وجعل العساكر والضباط يتخفرون سرابا ويظهرون التشكي من سلوك المارشال المذكور ولم يكن لذلك كله تأثير عذره كما أن ما صنعه العدو وكذلك لم يزل مصمما على قصده متعبا بالمعسكر لكنه لاجل تسكين ما داخل العساكر من الغضب الذي لحقهم من سكونه المبين لحياتهم الطبيعية سلك مسلك الرفق واللين على خلاف عادته فكان في الغالب يراعي خواطرهم ومماسكن ويفصح للضباط عن الاسباب التي الجأته الى عدم التعرض للعدو ويوضح لهم ما يترتب على ذلك من القوائد وما يعقبه من الفجاء العظيم وبعد ذلك حضر الملك فرنسيس الى المعسكر بقرب اوربون وانضم الى الجيش الذي كان بالمعسكر عدة طوائف كبيرة من العساكر فرأى فرنسيس حينئذ أن جيشه قد تقوى وصار قابلاً للمصادمة جيش الإمبراطور ومقاومته وكان فرنسيس قد غلب على نفسه حتى رضى بمكث عساكره تلك المدة الطويلة وهي مقتصرة على المدافعة وكان يميل الى المشروعات البشعة التي تستلزم الجسارة والجرامة وربما كان قد خبرض

عساكره وضباطه واطهارهم والقلق والجزع من اقتصارهم على المدافعة والعدو يحترق اوطانهم يحمله على العدو على عامله مورتورانسى من رأى المبني على الخزم والالاصبة فيغير على جيش العدو ويضع التربة الجليظة التي كان يترقبها مورتورانسى من هذا التدبير الصائب المبني على مزبذ الاحتراس والتبصر في العواقب

ولكن لحظ ملكة فرانسوا وسعدا سارا الايمبراطور بجيشه فكان ذلك سببا في شجاعة هذه المملكة من الاخطار التي كان من الجائز أن تقع بها لو حصلت المجازفة من الفرنسيين وجمعوا على جيش الايمبراطور وذلك أن الايمبراطور مكث شهرين في اقليم برونه وهذه المدة تعد كثيرة بالنسبة لشهرته ومقامه ومع ذلك فلم يتمكن تحصيل مرامه واضطر الى الخروج من هذا الاقليم ولم يفعل ما يكون جديرا بالتجهيزات الجسيمة التي جهزها قبل شروعه في الحرب ولا ما يزيد اقتضاه في ديوان البابا أماما للكردينالات ورسل الممالك الفرنجية وغيرهم حيث بالغ في وصف بطشه وشدة بأسه وهدد من اصحابه الشهير انطوان دوليوة وعدة اخرى من ضباطه الماهرين الممتازين ومات نصف جيشه من المرض والجاعة وصار الباقي لا يمكنه أن يصبر على مكابدة الاهوال والمصائب بعد أن عاينوا اخوانهم يملكون أمامهم على اسوأ حال فألجأته الضرورة الى الارتحال فأمر بذلك ولم يدرك الفرنسيون غرضه من السير بعساكره فلم يتبعوه والا هلك جيشه عن آخره فان طائفة من العساكر الخفيفة قد تبعته مع عدة جماعات من الفلاحين الذين حققوا من العساكر الايمبراطورية وكانوا ينتظرون فرصة تساعدهم على الانتقام من هؤلاء العساكر الذين خربوا بلادهم ونشروا فيها عتوهم وفسادهم فادركت تلك الطائفة ساقه الجيش الايمبراطوري وصارت تبصم عليها مرة بعد أخرى حتى اوقعت فيها الاختلال والارتباك بحيث صار الاولى أن يقال في سيرهم انه اديار وفرار وحركات هروية لاسير رجوع على اصول الحركات العسكرية فكنت ترى الطريق مشحونة بالأسلحة والامتعة والمهمات ومستورة بالرم والمرضى والجرحى وبالجملة قد شاهد المورخ

مطلب

التهاء جيش الايمبراطور وما آل اليه من الحالة السيئة

(سنة ١٥٣٦)

مارطين دوييلي بعين رأسه الجيش الإمبراطوري وهو في هذه الحالة البينة
الحزنة فلم يوافق به من تشييه بني إسرائيل حين استولى عليهم الرومان
وإذا قومهم بقوتهم من أنواع العذاب ما تقصر عنه العبارة فلو تقدم
المارشال مونغورانسى مع جيشه وأدرك الجيش الإمبراطوري بهذه الحالة
لا باده عن آخره لكنه لطول المدة التي مكثها مقتصر على المدافعة كان
قد صار يمكن من الحرس والاستقوان فطرط حرسه وتوذه لم يعدل عن منصبه
الاول ولم يغير حاله سريعا كما تغيرت الاحوال والمقتضيات بل كان يلهم دائما
بقوله ترك الاسد عند فرار اولى من اقتضا آثاره وكان يقول ايضا ينبغي انشاء
قنطرة من ذهب للعدو اذا ذهب

ولما وصل الإمبراطور بما كان متفرقا من قبايا جيشه الى نفور دوقية ميلان
ولى الملتزم دغواست على هذه الدوقية بدلا عن الامير انطوان دوليوه
ثم سافر الى جنسورة لكن لم يمكنه أن يمر بالدائن التي مر بها اولاً في بلاد
ايطاليا مع الابهة العظيمة فاصدا فتح بلاد جديدة بل صمم على الرحيل
الى بلاد اسبانيا خشية أن يزدري به الايطاليون ويحتقروا لما لحقهم من
النكبة والمذلة في رجوعه حيث خاب آماله وهلك رجاله

واما جيوشه التي شفت الغارة على مملكة فرانسوا من الجهات الاخرى
فلم يحصل لها انجراح عظيم بحيث تجبر ما خسره في اقليم برونسه وذلك
أن دوييلي بسلوكه مسلك الخداع وإيقاع الفتنة والحسائس حل كثير من امراء
المانيا على استرجاع جميع العساكر التي كانوا امدوا بها ملك الرومانيين فاضطر
هذا الملك الى العدول عما كان عزم عليه من الانغارة على اقليم شمبانيا واما
الجيش الكبير الذي خرج من مملكة البلاد الواطية فانه لما دخل اقليم
بيكارديا وجدته خالية عن الحرس لكون جميع عساكر المملكة كانوا قد انتقلوا
الى جهة الجنوب ولكن تسلم الامراء والاشراف ومنعوا بشجاعتهم وشهامتهم
أن يدخل بالملكة من المصائب ما كانت عرضة له بسبب اهمال ملكها
في تحصينها من تلك الجهة فدانعوا عن مدينة بيرون وغيرها من الدائن

شهر تشرين الثاني

مطلب

الحرب في اقليم بيكارديا

(سنة ١٥٣٦)

مع قوة العزم وفطر الشجاعة حتى ارتحل عساكر الإمبراطور ولم يعكهم
فتح مدينة اوبلدمهمة

فانظر الى خيبة آمال الإمبراطور ودمار عساكره مع ما بذله من الجهد
الغريب وكان سبب ذلك حسن التدبير من الملك فرنسيس والتسامح
رعاه وشجاعتهم ولم يحصل للإمبراطور في حروبه الطويلة مع
فرنسيس مثل هذه الواقعة التي خسر فيها خسارة كانت اضرت
عليه من غيرها حيث اورثته الهوان والمذلة فضعت بذلك شوكرته وانحطت
قوته ولكن حصلت حادثة اخرى مشؤومة ضيقت على فرنسيس ما داخله

من سرور الطفر والنجاح في هذا الحرب وهي موت اكبر اولاده وولى عهده
وكان يلوح على هذا الامير تساوير القلاح وكان الاهالي يحبونه كثيرا لانه كان
يقفوا ثروا لوالده وكان موته فجأة فلذا قيل انه مات بالسم ولم تكن تلك الاشاعة
مقصودة على العامة الذين من دأبهم نسبة موت اعيان الناس الى اسباب

غريبة بل قال بذلك ايضا فرنسيس ووزرائه واتهم به القوتنة
دومونكو كولي وكان من يكره ان ايطاليا لانه كان ساقيا لهذا الامير
فتبض عليه وعذب لاجل الاقرار فادعى أن الجنرال ليوة والجنرال غوزناغ
هما اللذان جلاوه على ذلك بل افاد أن الإمبراطور له دخل في هذا الامر لكن

لم يكن ذلك منه بطريق المباشرة وكان القرنساوية اذذاك يبغضون
الإمبراطور بقضا شديدا فجزموا بانه هو السبب في ذلك ولم يلتفتوا الى ما بداه
هو وضباطه من تبرئة اتهمهم من هذا الامر المنكر ولا الى غضبهم من نسبة

هذه التهمة الشنيعة اليهم * وفي الحقيقة لم يكن هنالك ما يدعوا الإمبراطور
الى ارتكاب هذه الخطيئة فان الملك فرنسيس كان له ولدان غير الدوفين
المتوفى وكان كل منهما قد بلغ رشده بحيث يمكنه أن يحلف باء في المملكة وكان
والدهما ايضا قوى البنية سليم العصة فلو قطعنا النظر عن طبع الإمبراطور
ولم نلتفت الى كونه لم يرتكب مدة حياته من المنكرات ما هو من هذا القبيل صح
أن نحكم من هذه الحثية اعني وجود عقب لفرنسيس مع قوة بيته وصحة

مطلب

موت الدوفين اى ولى

العهد

مطلب

نسبة موته الى السم

(سنة ١٥٣٦)

بذنه بيرة الامبراطور من ثقل التهمة ويكون ذلك مواز بالمادعاء عليه القوتية
دومنتكو كولى من نسبة ذلك اليه بسبب ما خلفه من الاكراه وشدة العذاب
ولولم يكن لفرنسيس اولاد صالحون خلفه وكان ضعيف البنية لا يمكن
تسلم هذه الدعوى وقبولها هذا والذي ذهب اليه المؤرخون أن سبب
موته هو أنه أكثر من شرب الماء البارد بعد أن لعب الكورة واشتدت به
السخونة والحرارة وهذا اقرب الى الصواب من الاول وعلى فرض أنه مات
بالسم فلا مانع مما ادعاء الامبراطور من أن السم انما اعطى له بامر الاميرة
كاترينه دوميديس ليبقى التساج الملوكة لزوجها دوق دويليان وهو
الثانى من اولاد الملك فرنسيس اذ لا شك أن اهما مصلحة عظيمة في موت
الدوقين اى ولى العهد ومن المعلوم انهما كانت شديدة الطمع فلا يعدها عليهما
أن ترتكب مثل هذا الامر المنكر حيث تعين طريقا الى بلوغ مرامها
وقد افتتحت السنة الجديدة بمصادفة غريبة وان لم تكن بالنظر لذاتهما مهمة
ولاجدية بالذكر الا انهما تدل اتم الدلالة على ما كان بين الامبراطور وفرنسيس
من شدة البغضاء والعداوة حيث فعل كل منهما فى حق صاحبه من الامور
القبضية ما يرمى بعضهم اذ ذلك أن فرنسيس ذهب بارباب ديوان الپير
(ديوان امراء الدولة) وامراء عائلته الملوكية الى برلمان باريس (مجلس
وكلاء الملك) وجلس به على حسب الرسوم الجارية ثم قام الخطيب الاعظم وقال
فى شأن الامبراطور معنوا عنه باسم كرلوس امير الاوستريا انه قد تقضى
مشاركة كبريه التى خرج بموجبها من تبعية تاج فرانس الملوكة التى كانت
تقتضيا قوتية الملك وقوتية ارنواس ثم برهن على أنه ينقض هذه المشاركة
يجب أن ترد الاشياء الى اصولها ويبقى الامبراطور كما كان من اتباع
تاج فرنسا الملوكة وحيث ان الامبراطور قد ارتكب ذنبا عظيما بعصيانه
على ملكه يجب عليه أن يحضر بنفسه او يرسل وكيله الى مجلس البرلمان
فى باريس لتحقق دعواه ويحكم فيها بما تقتضيه الاصول فلما سمع ارباب
الديوان هذه القضية القوية استحسنوها وقبلوها وبعثوا رسولا الى ضواحي

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

الفرمان الصادر من
ديوان برلمان باريس
فى شأن الامبراطور

(سنة ١٥٣٧)

يسكراديا فلما وصل الى الامبراطور طلب منه على حسب الرسوم المقررة أن يحضر الى مجلس البرلمان في باريس بعد مدة معلومة فأتت تلك المدة ولم يحضر الامبراطور ولا وكيله فصدر من ديوان البرلمان فرمان ينضم الحاكم على كرولس امير الاوستريا (يعنى الامبراطور) بأنه قد خان وغدر واستحق أن ينزع ما بيده من الالتزامات لكونه خرج عن طاعة سيده وخالف القوانين بامتناعه عن الحضور الى الديوان في الاجل المعين فنزع منه اقليم الفلنك واقليم ارنواس ورد الى تاج فرنسا وامر الديوان المذكور بشهراد هذا فرمان واذا عنته بصوت البوق على ضواحي هذين الاقليمين

مطلب

افتتاح الحرب في مملكة
البلاد الواطية في شهر
ادار

وبعد أن نشر فرنسيس هذا الامر الدال على حقه لاعلى بطشه توجه فوراً الى مملكة البلاد الواطية قاصدا اجراء ما تضمنه فرمان الصادر من برلمان مملكته والاستيلاء على الاراضى التى صدر الحكم بردها اليه وكان الامبراطور قد سلم لاخته ملكة البحار حكومة البلاد الواطية الآن فرنسيس انار على تلك البلاد بفته وكانت تلك الملكة لم تتأهب للمدافعة فلذا كانت النصره في مبدأ الامر لفرنسيس فاستولى على بعض مدائن حصنة ولكنه لما ترك جيشه وذهب الى جهة اخرى كانت ايضا تخرب به وكان حضوره فيها ضروريا لاجتماع اهل الفلنك جيشا عظيما وقتئذ واجهه وخذوا ثانياً أغلب المدائن التى كانت اخذت منهم وجعلوا يجمعون ويتغلبون على بلاد فرنسا و حتى اخذوا بعض مدائن وحاصروا مدينة تروان وكان الدوق دورليان قد انتقل اليه لقب الدوقين اى ولى العهد بعد موت اخيه البكرى وكان المارشال مونتمورافسى قد كافأه الملك فرنسيس على ما بذله من الخدم الجسيمة في مدة الحرب السابق بتقليده منصب الكونت تابل اى رياسة الجيوش فغزم كل منهما على المخاطرة والهجوم على العدو ليحيرا بذلك على رفع الحصار فينهاهما يسيران بالعساكر لهذا الغرض حتى لم يبق بينهما وبين العدو الا بعض اميال اذ اتاهما رسول من طرف ملكة البحار واخبرهما انه قد انعقدت مهادنة بين الامبراطور والملك فرنسيس

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

المهادنة المتعقدة

في مملكة البلاد الواطية

وكان سبب هذه المهادنة التي انعقدت على حين غفلة سعي الاختين فيها وهى ملكة فرنسا وملكة البحار وذلك لان هاتين الاميرتين كانتا لا تغفلان ابدا عن الاصلاح بين الدولتين وكان الحرب الذى وقع فى البلاد الواطية قد خرب ضواحي هاتين الدولتين من غير أن يعود منه تنفع حقيقى على احد من المزيين وكان كل من فرنسا واهل الملك يتأفف على تعطيل التجارة واتساعها من بينهم لانهم كانوا ينتفعون منها اتفعا عظيما وكان كل من الملك فرنسيس والايبراطور قد اهلك رعيته ووقعهم فى الشاقة والفقر بما وقع بينهما قبل ذلك من الحروب والمقاتلات فرأيا أن تجهيز عساكر اليباده لاجل الحرب فى البلاد الواطية لا يتأتى بدون اضرار للحرب فى اقليم بيون بل ذلك يجترأى ضعفه واضمحلاله مع أن هذا الاقليم كان مطمح لقطرهما فهذه الاسباب كلها اعانت الاميرتين المذكورتين على مقصدهما من ايقاع الصلح بينهما وحملت الملكين على الرضا بالمهادنة فانعقدت الهدنة بينهما على عشرة اشهر لكن تجرد ابطال الحرب من مملكة البلاد الواطية دون غيرها

٣٠ من شهر غور

مطلب

المهادنة المتعقدة

فى اقليم بيون

وكان الحرب فى اقليم بيون اشد من غيره نعم وان كان كل من الإمبراطور والملك فرنسيس ليس له اقتدار على عمل الحرب بقوى تلامي بعضهم لبعضهما الا انهما كانا مستمرين على الحرب كمنصحين تعشهما البغضاء عند فتور قواهما وتحدث فيهما قوة جديدة فكانت الدائن التي يأخذها احدهما من صاحبه يأخذها الآخر منه ايضا وكان لا يمضى يوم الا ويقع فيه قتال بين الفريقين ولوهذا فكم سقت بينهما دماء من غير أن يغلب احدهما صاحبه فاوادت الملكان أن يتما مابدأناه فى شأن الاصلاح بينهما فالت احداهما على زوجها والاخرى على اخيها حتى حلتاهما على الرضا بعقد الهدنة ثلاثة اشهر فى اقليم بيون ووقع الاتفاق على أن كلا من الملكين يسيق مستويا على البلاد التي تحت يده ويخرج جيشه من هذا الاقليم ولا يبقى فيه من العساكر الا المحافظين فى الدائن ويعين كل منهما وكلاء من طرفه يفوض لهم امرانها تلك المناجرات وبموجب حكمهم واقرارهم تنعقد مشاركة بنية بها

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

اسباب هذه المعاهدة

يتقطع الحرب وتزول اسبابه

ثم ان الاسباب التي دعت الملوك الى هذا الاتفاق هي عين الاسباب التي اسقطها غير مرة وهي أن مصاريف الحرب كانت تزيد بكثير على ايرادها وكان لا يمكن أن يشرع في ضرب مغارم جديدة على رعاياها زيادة على المغارم القديمة لان الرعايا انذاك لم يكونوا مستعدين على تحمل مثل هذه المبالغ الجسيمة التي كانت مضروبة عليهم وقتئذ لاسيما الايبراطور فانه مع ما اقتضاه من المبالغ الجسيمة كان لا يمكنه أن يصرف الماهيات الجمّة التي كانت قد تراكمت عليه لعساكره حيث مكث زمنا طويلا لا يصرف اهلهم استحقاقهم وكان لا يطعم كالمئة السابقة في الاعانة بالمدد والعساكر من طرف البابا واهل البنادقة ومع ذلك كان يسلّم معهم تارة مسلّك الوعد والترغيب واخرى مسلّك الابعاد والترهيب ولم يمكنه تحصيل مرامه منهم وأما البابا فكان لا يصول عما يحسن عليه من أنه يكون خلى غرض بحيث لا يتصر لاحدهما على الآخر فاطاهر للايبراطور أنه من حيث كونه ايا النصراري كافة لا يليق به الالبعث عما يكون به الاصلاح بين الفريقين واما اهل البنادقة فكانوا لم ير الواعى رأيتهم الاول من أنه يلزم ابقاء التعادل بين الخصمين وذلك لا يوجد عند اعانة احدهما على الآخر

مطلب

كون السبب الاقوى هو معاهدة الملك فرنسيس مع سلطان الدولة العثمانية

ولكن كان ثم امر اترف الايبراطور شر لكان تأثير اقوى من تأثير هذه الاسباب وهو خوفه من الدولة العثمانية وكان فرنسيس قد حرّضها عليه وعقد المعاهدة مع السلطان سليمان وذلك أنه مكث مدة طويلة يتردد في عقد المعاهدة مع هذه الدولة لان دول النصراري انذاك كانوا يغضون اهل الاسلام اشتد بغضا ويكرهون معاملتهم ويرون موالاتهم ومودتهم مما يوجب الفضيحة والمعزة او من قبيل الكفر مع أنه كان اضعف شوكة من الايبراطور وتحارب معه من غير أن يستعين باحد عليه ولكن غلبت الضرورة على خوف الملامة فانفت فرنسيس ما يلحقه من اللوم والمذمة بمعاهدته مع اهل الاسلام وكان له سراو كليل في الدولة العثمانية يسمى لا فوريت فعقد هذا

(سنة ١٥٣٧)

الوكيل في اواخر السنة الماضية مشاركة مع السلطان سليمان تتضمن
 أن السلطان في الحرب الآتي يهجم على مملكة نابلي وعلى ملك الرومانيين
 في بلاد الجمار وأن فرنسيس يهجم على دوقية ميلان مع طائفة
 من العساكر تكفي في التغلب عليها وقد وفي السلطان من نقاء نفسه بما وعد
 فان بربروس قدم الى سواحل مملكة نابلي بدونغا كبيرة وأوقع
 في قلوب اهلها الفزع والرعب وكانت العساكر الامبراطورية قد خرجت منها
 فاصدة اقلهم بيمون فاخرج بربروس عساكره من السفن بدون مانع
 قريبا من ترنتة وجبر مدينة كسترة على التسليم وكانت حصينة منيعة
 وخرب ما جاورها من الاراضي والبلاد وجعل يحصن ما فاض من البلدان
 ويفتح بلاد النصارى حتى وصل اليه الامير دورية على حين غفلة وكان معه
 سفن الباياء وعدة من سفن اهل البنادقة فطرده من تلك البلاد الا أن نجاح
 الاتراك يلاذ الجمار كان اعظم من ذلك فان سرعسكرهم هزم عساكر المانيا
 في الواقعة الكبيرة التي حصلت بمدينة اميكة على نهر دراة
 ولكن لو فور حفظ النصارى لم يكن للملك فرنسيس اقتدار على أن يضرب
 ما التزم به في المشاركة المتعقدة بينه وبين السلطان سليمان حيث لم يمكنه
 أن يجمع جيشا كافيا يشن به الغارة على دوقية ميلان فبذلك ضاعت
 منه الفرصة التي كان يمكنه بها أن يتغلب ثانيا على هذه الدوقية وينزعها
 من يد العدو فبحزمه وضعف شوكته فحتمت بلاد ايطاليا من مصائب حرب
 جديد ووقيت أن تكون غنية لجيوش الاسلام بعدما كابذته من المشاق
 والاهوال السابقة * وقد ادرك الامبراطور أنه لا يمكنه أن يستمر زمام طويلا
 على مقاومة جيوش الاسلام وجيوش فرنسا وية وصار لا يؤمل النجاة
 الا اذا طرأت عوارض مساعدة لنجاة مملكة نابلي ودوقية ميلان من الخطر
 وادرك ايضا أن دول ايطاليا تتهمه بشدة الطمع ور بما قامت عليه
 وخرجت عن طاعته اذا هو صمم على استدامة الحرب لانها بذلك تكون
 عرضة لاختطار عظيمة فلهذه الاسباب رأى أنه لا يحيص عن الرضا بقبول

(سنة ١٥٣٧)

الهدنة لتوقف غزاه وأمنه عليها* وكذلك الملك فرنسيس لم يأب الصلح
لكونه رأى أن ذلك مجلبة للوم والمذمة وإيضاً كان يخشى إذا هو امتنع من الصلح
أن يغضب عساكر السويصة وغيرهم من العساكر الاجنبية الذين كانوا
في خدمته فيقتلوا عن حربه ويتردد في الحرب فلا يمكنه مقاومة الإمبراطور
بل وكان يخشى أيضاً أن تسأم منه قوس الرعية بمساعدته لدولة الاسلام
على توسيع دائرة ملكها مع أن الواجب عليه أن يكون على سنن اسلافه
من اضعاف شوكتها وازالة صولتها وكره أن يقر منه الاهالي اذا هو سلك
هذا المسلك الذي لا يليق به لانه كان يمكن من الشهرة وكان يلقب ترك تيان
اي شديد التمسك بدين النصرانية فرجع جانب هذه الاسباب ايضاً ورأى
أن مخاطرته بنفسه في فسح المشاركة مع السلطان سليمان أهون عليه
من الاخطار التي يكون عرضة لها اذا عمل بمقتضى هذه المشاركة

ومع رضاه الجانبين بالهدنة حصل التوقف الكلي بين وكلاهما حين ارادوا عقد
مشاركة بنية وذلك أن كلا من الملكين اراد أن يظهر بمظهر الغالب وعلى
على صاحبه ما شاء من الشروط فاستنكف كل منهما أن يتساهل في امره ويذعن
للاخر فلم يتيسر تجميع المشاركة على احسن حال فلذا مكث الوكلاء مدة
مستطيلة وهم يتفاوضون في هذا المعنى وانتهى الحال الى تفرقهم وانقضاء

المذاكرات بدون أن يتوافقا في امر او اتفعا عقدوا هدنة ببعض اشهر
هذا وقد ظن البابا أنه ينبغي في هذا الغرض اكثر من الوكلاء فتصدى لذلك
بنفسه والتزم بيت امر الصلح وكان له في ذلك غرضان عظيمان احدهما أن يرب
عصبة قادرة على حماية الملل النصرانية من اغارات الجيوش العثمانية وثانيهما
أن يبحث عن وسائل قوية بها يزيل مذهب لوتير الذي اضر بالكنيسة
الرومانية وكان يرى أن التسام الإمبراطور مع الملك فرنسيس اعظم
شيء يعينه على التوصل الى هذا الغرض وايضاً رأى أنه ان سعى في الاصلاح
بين هذين الملكين يظهر الفرق بينه وبين البابايات الذين حكموا قبله على كنية
رومة واوقعوا التفاتهم والشقاق بينهما لتخيز ما ربههم ورعاية مصالحهم

مطلب
المذكورة في شأن الصلح
بين الإمبراطور والملك
فرنسيس

(سنة ١٥٣٨)

مطلب
توسط البابا بنفسه
في الصلح

(سنة ١٥٣٨)

ويكتسب بذلك بهجة وروقتا في الممالك ويمدحه الناس على حسن سياسته
 وإدارته وربما كان يطمع أنه بالسي في تمييز تلك المقاصد الحميدة يمكنه قمع
 عائلته لأنه كان يسعى جهده فيما فيه نفعها ومصالحها وإن كان لا يظهر منه طمع
 ولا اجتهد في هذا المعنى كما كان أسلافه من بابائ ذلك العصر ولما كانت
 هذه المآرب نصب عينيه عرض أن يتقابل الإمبراطور والملك فرنسيس
 بمدينة نيس وأنه يجتمع معهما في تلك المدينة ليصلح بينهما ويريل أسباب
 التفاهم والشقاق فلما رأى الإمبراطور والملك فرنسيس أن البابا مع كبرسه
 وجلالة قدره قد عزم على تحمل مشاق سفر بعيد رغبة في الصلح وصمم
 على الارتحال من مدينة رومة إلى مدينة نيس لمسهما الإجابته
 إلى المقابلة فذهب إلى المحل الموعد ولكن حصل التوقف في كيفية الملافة
 على أي وجه تكون في طريق الرسوم والتشريقات التي يجب على كل منهما
 أن يفعلها في حق الآخر فعملتهما بغضاء والمنافسة على عدم الاجتماع
 وأما وقعت المذاكرة بينهما بواسطة البابا فكان يتردد بينهما ومع بذل جهده
 وحسن سلوكه وخلوص طويته وصدقه في سعيه لم يمكنه أن يظهر على العوائق
 التي كانت تمنع من حصول الالتئام الكلي بينهما لاسيما ما يتعلق بدوقية ميلان
 ولم يمكنه أيضا مع صولته وجلالة قدره أن يوقع بينهما الصلح والوفاء ولكن
 لتلاشال أنه خاب في سعيه جملة ما على عقد هدنة بعشر سنوات وكانت
 شروطها عين الشروط المذكورة في الهدنة الأولى حيث ذكر فيها أن كلا منهما
 يبقى معه ما هو الآن تحت يده وأتمها في مدة الهدنة يعنان رسلهما إلى رومة
 لينتدرا في هذه القضية مع التؤدة والتأني
 فهكذا كان آخر هذا الحرب الذي لم تطل مدته وإنما كانت أهميته لأهمية
 ما حصل فيه من الوقائع وما بذله الخصمان فيه من الجهد نعم وإن كان فرنسيس
 لم يظهر بمقصوده الذي كان نصب عينيه وهو التغلب على دوقية ميلان لكنه
 حاز لنفسه شرفا عظيما ونفارا جسيما بنجاح جيوشه وإصابته تأبه في الوسائط التي
 احتسبها للدفع العدو وطرده عن مملكته وزيادة على ذلك أضاف إلى مملكته

(سنة ١٥٣٨)

بلادا كثيرة حيث تغلب على نصف بلاد الدوق دوسابوة وضعها الى بلاده بخلاف الايمبراطور شرلكان فانه طرد ولحقه الذل والهوان بعد أن اظهر في المحفل العام كما سبق أنه جازم بالنصرة واضطر الى اشتراء الهدنة بتخليه عن الدوق دوسابوة وكان يثق بحبته ويعتمد على شوكتة وصولته وطلماتشكى هذا الدوق وتظلم من هذه المشاركة التي اشترت به ولكنه لم يجده ذلك فعاد وكان ضعيف الشوكة لا يمكنه المقاومة في مثل تلك الاحوال فامثل طوعا او كرها ولم يبق له من بلاده سوى مدينة نيسة واعمالها وما عدا ذلك تقاسمه الملك فرنسيس بظله واقتنائه والايمبراطور الذي كان متعاهدا معه وتحلى عنه مع الحاحه عليه في طلب الاعانة والاسعاف وهذه عبرة يعتبر بها اولو الانصار حيث يعلم منها أن الامراء الضعفاء الشوكة اذا كان يجوارهم ملوك ارباب شوكة قوية وحلهم عدم الحزم والتبصر في العواقب على الدخول في حروبهم لابد أن تضع حقوقهم ولحقهم الضرر عند الاصطدام

وبعد عقد الهدنة بايام ركب الايمبراطور البحر وسافر الى مدينة برساونة الا أن اختلاف الرياح عذف بسفنه الى جزيرة ستمار غور ربطة على اطراف اقليم برونسة وكان الملك فرنسيس قريبا من تلك الجهة فلما بلغه ذلك رأى من الواجب عليه ايواء الايمبراطور في بلاده فعرض عليه أن يتقابل معه في مدينة ايفومورت فلم ترض نفس الايمبراطور أن يكون دون فرنسيس في الحلم وكرم النفس فلي دعوته واجابه الى ما طلب وتوجه الى المحل الموعود فمجرد أن رست سفنه ذهب اليه الملك فرنسيس حتى كانه نسي الرسوم الجارية ونزل سفيته ولم ياخذ منه حذرا فتلقاء الايمبراطور مع غاية التعظيم والتبجيل واطهر له صدق المودة والمحبة ولما كان اليوم الثاني لم يأخذ الايمبراطور ايضا حذرا من الملك فرنسيس حيث نزل بمدينة ايفومورت بدون احتراز فتلقاء فيها فرنسيس مع التبجيل واطهار المحبة الصادقة كما فصل شرلكان معه حين نزل سفيته وقضيا تلك الليلة مع بعضهم على شاطئ الماء وكانا في مسامرتهما يتسابقان الى اظهار الاحترام والتبجيل لبعضهما

مطلب
مقابلة الايمبراطور
شرلكان مع الملك
فرنسيس في مدينة
ايفومورت

(سنة ١٥٣٨)

لبعضهما فكانت هذه المقابلة عجيبية بالنسبة الى ما وقع بينهما قباها فانهما
مكتشعين سنة وهما في حروب ومقاتلات مع بعضهما وعداوة مستمرة وطالما
نقص احدهما بالآخر وسبه ودعا الى القتال الخصوصي والتزال في الميدان
فقد وقع من الامبراطور غير مرة القروح في فرنسيس والتشجيع عليه في سائر
الممالك الافريقية ووصفه بأنه ملك لا عرض له ولا شرف وكان فرنسيس
قبل ذلك بمدة قليلة قد اتهمه بأنه سم ابنه البكرى فانظر الى هذه الامور
المتناقضة ولكن لا غرو في ذلك فان تاريخهما مشحون بمثل هذه الامور
الخسفية وقد ظهر في ظرف هذه المدة السيرة انهما اتقلا من اشد البغضاء
والعداوة الى صدق المحبة واكيد المودة ومن عدم الوفاق يبعثهما
الى الائتمان التام ومن خداع اهل السياسة ومكرهم الى حسن النية
وخلوص الطوية

وبعد ان اثبت البابا لنفسه القنار بنشره الوية الصلح والاصلاح في بلاد اوربا
اشغل بترقية عائلته ونجح في مقصوده وذلك أنه لم يرل بسعي ويذل جهده
حتى خطب من الامبراطور مر غريطة اميرة الاستروسيا للامير
او كاوة فارنيز وكانت هذه الاميرة من ماء الامبراطور بدون نكاح وكانت
اولا تحت الامير اسكندر دوميديسيس فمات عنها وتأيمت بعده فاعطى
الامبراطور لخاطب بنته المذكورة تشريفات واراضى عظيمة وكانت تلك
الاميرة قد فقدت زوجها في اواخر سنة ١٥٣٧ بمحاذنة مشؤومة
محنة حاصلها ان هذا الامير لما ساعده الامبراطور وولاه الحكم على فلورنسة
بعد ان جرد هيا عن الحزبية اعمل في ادارة الحكومة واتبع سبيل اللهو والالعاب
ولم يكتف قريه الامير لورنطة دوميديسيس بمشاركته في سلوك هذا
المسلك بل كان يرشده اليه ويفريه عليه فكان هذا الوز يريد للامير اسكندر
من المسار والخطوط ضرورا وانواعا حتى تمكن منه وصار له موقع عظيم عنده
ولكن مع تجاوز لورنطة المذكور الحد مع هذا الامير في انهماك على
الخطوط والشهوات والمبالغ في الترفه والراحة حتى كان لا يتقلد سيفا ويجزع

مطلب
قتل اسكندر
دوميديسيس

(سنة ١٥٣٨)

رؤية الدم كان يمكن من الطمع والحرص فانه لتولعه بالحزبية ولطمعه في نيل
الحكومة عزم على الفتك بهذا الامير الذي كان يحبه ويصدق عليه بالخيرات
الخليلة والعطايا الجزيلة فكثرت مدة طويلة وهو يشاور نفسه في هذا المقصد
المهول وكان موسوسا لا يأتمن احدا على سره فلم يخبر بذلك احدا واستمر
مع اسكندر على الحبة والالفة حتى خادعه ذات ليلة واطهره لانه يريد
أن يجمعه مع امرأة من الاعيان كان اسكندر يتنى وصلها فاستولى
على عقله بهذه الخيلة وادخله في محل من منزله بحيث لا يراه احد ثم وثب عليه
فقتله بخنجر وهو نائم على فراشه مهمل في نفسه ينتظر قدوم هذه المرأة التي
وعدها ففند ذلك ارتعدت فرائض لورنسة ولحقه الخوف من ارتكاب هذا
التيكرو واشتد به الحبال حتى صار كالجماد لآخر اليه ونسى جميع الاسباب التي
حلمته على هذه القفلة فغلق ابواب المحل الذي قتله فيه وقرها ربا كالجنون
الى ارض غير ارض فلورنسة عوضا عن كونه يمرض الاهالي على استرجاع
حريتهم ويخبرهم بموت اسكندر الذي كان يظلمهم او يدبر بعض طرق
يتوصل بها الى حيازة منصب من قتله ولم يعلم احد بقتل اسكندر الا في اليوم
التالي بعد مضي مدة طويلة من النهار لان اتباعه وخدمه كانوا العدم انتظامه
في معيشته لا يدخلون اليه في الصباح فلما شاع الخبر اجتمع اكابر الدولة
واعيانها وتفاوضوا في شأن الحكومة ومن يقوم بها وكانا لكردينال سيبو
يحب عائلة ميديسيس لانه كان من افار بها فعرض أن يولى على الحكومة
الامير كوم دو ميديسيس وكان عمره يومئذ ثمان عشرة سنة ولم يكن هناك
من الذكور من يرث هذه العائلة سواء وراقبه على هذا الرأي
فرنسيس غيشاردين حيث ذكر اهل فلورنسة يبلغ كلامه وحجاسة
عبارة ماحل من الفتن والتعكيرات يسلادهم حين كانت حكومتها اهلية
فرضوا بتولية هذا الامير عليهم الا أنهم لمحبته في الحزبية وتبوا له قوانين
يعمل بمقتضاها حتى لا يكون مطلق التصرف فيهم فيسوء حالهم
كالاول

مطلب
تولية كوم دو ميديسيس
على دولة فلورنسة

(سنة ١٥٣٨)

مطلب —

تصدى المنفيين من
فلورنسة لمنع توليتهم

واما لورنطة فانه لما نزل بميل آمن سكي ما وقع منه للامير فيليبس ستوروزي وغيره من اعيان فلورنسة الذين كانوا قد نفوا منها وخرجوا بالطوع والاختيار حين نسخت الحكومة الجمهورية وترتبت حكومة العائلة الميديسية فشكروه على اقتراف هذه الخطة وشبهوه في الفضائل برجلين يقال لكل منهما بروطوس احدهما انتهك حرمة الحقوق الطبيعية ولم يراع الحجة والنسب (حيث قتل اولاده) رغبة في حرية الوطن والثاني تقص ثلاثي المحبة وابدل الشكر بالكفران (حيث قتل قيصر وكان قد تبناه واغدى عليه بالنم) * ولم يقتصر اعيان فلورنسة المذكورون على مدح لورنطة بل خرجوا من المحال التي كانوا ملتجئين بها وجعوا عساكر وجنودا وحرضوا التباعهم واحزابهم على حمل السلاح واتهزوا تلك الفرصة العظيمة ليردوا حرية وطنهم الى اصلها واعانهم على ذلك رسول فرنسا الذي كان وقتئذ في ديوان رومة وكان البابا ايضا يحثهم على هذا الامر سر الانه كان لا يحب عائلة ميديسيس فدخلوا ارض فلورنسة مع ملاقة كبيرة من العساكر ولكن كان الامراء الذين اتضوا الامير كوم وقلده بالحكومة مستكملين بجميع الادوات اللازمة اتأيد اتناهم له وحازرين لاسائر المعارف اللازمة لاستعمال هذه الادوات في محالها حتى يكون نجاحهم محققا فجمعوا في اقرب وقت جنودا كثيرة واجتهدوا في استماله قلوب الاعيان اليهم وفي ترغيب الاهل في الملك الجديد وامتعاونوا في هذا الامر بالاميراطور مظهرين له انه لا شيء يؤيد كوم ويتأمر توليتهم الا هو بشدة بطشه وقوة عزمه وكان شرلكان يعلم ان اهل فلورنسة لهم رغبة عظيمة في المعاهدة مع مملكة فرنسا وأنه مبعوض عند انصار الحكومة الجمهورية واحزابها حيث كانوا يرون أنه هو الذي تعدى عليهم وانزعتهم من بيوتهم فبناء على ذلك كانت له مصلحة عظيمة في منع تجديد الحكومة القديمة اعنى الحكومة الجمهورية فلم يقتصر على اقرار كوم بالرياسة على دولة فلورنسة ولا على تشريفه بالاقبال وغيرها مما كان للامير اسكندر قبله بل التزم ايضا بتأييده

وتعصيده وكف من يتعرض له بسوء ولاجل تحقيق هذا الالتزام ارسل الى ضباط عساكر الايمبراطورية التي كانت معسكرة على ضواحي طوسكانه أن يقوموا بنصره ويعينوه على اعدائه فهذه الاسباب اتصر كوم بالسهولة على اعيان فلورنسة المنفيين حيث فاجأهم ليلا وقبض على اغلب رؤسائهم فخابت بذلك آمال المتحزبين واستمر كوم على كرسيه منصورا مؤيدا وكان يتنى زيادة على هذه الانعامات التي نغم بها الايمبراطور أن يتزوج يفتته التي تأيت بموت زوجها اسكندر الآن الايمبراطور لما أعان كوم على الوجه المذكور رأى أنه بذلك قد استأله اليه وتحققت عنده محبته وصدافته فائر عليه البابا وزوج بنته لقريسه (او كاره)

وفي أثناء الحروب التي كانت بين الايمبراطور والملك فرنسيس حصلت حادثة ضعف بها ما كان يملك انكلترا وملك فرنسا منذمة طويلة من المودة والمحبة وذلك أن ياكس الخامس ملك ايقوسيا كان شابا ذا جرأة وجسارة فلما بلغه أن الايمبراطور قصد الاغارة على اقليم پرونسة اراد أن يظهر أنه ليس دون آباءه واسلافه في الميل والمحبة لمملكة فرنسا لاسيما وكانت فيه حمية تحمله على حيازة الشهرة والامتياز ببعض مشروعات حربية فجمع فرقة عسكرية وعزم على السير بها الاغاثة فرنساوية لكن طرأت له موانع مشؤومة منعتة عن التوجه بهذا الجيش الصغير الى ارض فرنسا ومع ذلك لم يرزل مصمما على الذهاب اليها بنفسه فركب البحر وسار حتى خرج الى البر قصد فورا اقليم پرونسة لكن كان قد تأخر في الوصول اليه لانه حصل له عائق في السفر فلم يمكنه أن يدرك الحرب ويصل الى ملك فرنسا الا بعد ارتحال عساكر الايمبراطور فنجث هذا السعي احبه الملك فرنسيس لاسيما وكان يخاطبه في المحادثة بمخاطاب عذب ويراعى من طرق الادب ما هو مألف مستحب فاخذ يلبه واستولى على عقله فلم يمكنه أن يمنع عنه بنته مادلينه حين خطبها لنفسه فلما بلغ هذا الخبر الملك هنري حصل له غم شديد لانه كان يفار من الملك ياكس

مطلبه
تناقص المحبة التي كانت
بين الملك فرنسيس
والملك هنري الثاني

شهر كانون الثاني
سنة ١٥٣٧

(سنة ١٥٣٨)

ولا يأنه حتى انه كثر زناطويلا وهو يعامل ويعامل رعاياه اسوء المعاملة
فهو بالضرورة يتضرر من ذلك الزواج الذي يحوز به صدقه الشهرة وقوة
الشوكة ورأى أن تعرضه لمنع فرنسيس من تزويجه لياكس مغل
بالروية والادب خصوصا وهو ملك من عشيرة ملوكية كان آباءه من قبله
حلفاء للمملكة الفرنسية ولكن ماتت تلك الاميرة بعد ذلك بقليل فطلب
ياكس من فرنسيس أن يزوجه بنته الاخرى وهي مارية دوغيزة
فجعل الملك هنري عند ذلك يلج على فرنسيس كل الاحراج ويعمله على
عدم الرضا بهذا الزواج وطلب هذه الاميرة لنفسه ليصيب سعي ياكس
ولكن لما كانت خطبة ياكس صادرة عن طوية خالصة بخلاف خطبة
هنري فانها كانت محض خداع بقصد التمهيد لرجع فرنسيس الاول
ولم يصغ لقول ملك انكثرة فاعانته ذلك كثيرا لاسيما وكان قد داخلته
الريبة منه بسبب الهدنة التي انعقدت بمدينة نيسه ومقابلته للاميراطور
في مدينة ايفومورت فظن أن فرنسيس عدل عن محبته وجعل يجتهد
اسباب الالفة مع الاميراطور وكان الاميراطور يعرف طبع الملك هنري
حق المعرفة فادرك تأثره وتغيره من ملك فرانسوا ورأى ذلك فرصة تعينه
على تجديد ما كان قد انقطع من بينهم ساندز من طويل من المفاوضات
والمداولات وكان قد زال من بينهم اقوى اسباب التناقض والشقاق بموت
الملكة كاترين زوجة هنري وكانت هذه الملكة من عائلة الاميراطور
ولما اراد هنري أن يطلقها كانت قد عارضه الاميراطور اذ لا يليق به عدم
التعرض للمدافعة عن ملكة من عائلته فلما ماتت اراحت من التزاع مع هنري
واخذ يخادعه ويستميله ويحبب اليه فعرض عليه عدة اميرات من عائلته
ليزوج منهن بمن شاء وكان منهن بنت اخته من ملك دانييرقه وخطب منه
بنته مارية لامير من عائلة ملوك البرونغال ورضي بها بوصف كونها
بنته من الزنا ولكن لم يتقدم ذلك نكاح اصلوا رجعا كان عرضه لهنري
في هذا المعنى ليس على سبيل الجد ومع ذلك فقد نجح في مقصوده وترتبت بين

(سنة ١٥٣٨)

مطلب

تقدم الفصحى

اتساع دائرة الدين

(البلد)

ديوانه وديوان هنرى مداولات مستمرة اضطلع بها فقد هنرى على
الاميراطور وولديهم ما محبة اضرت عاقبتها لك فرنسا كل الضرر
وهذه الحروب الطويلة التي مكثت عدة سنوات وكانت ناشئة عن طمع
الاميراطور وحرصه تقدم الفصحى في بلاد المانيا واتسعت دائرة الدين
الجلد وذلك انه في مدة اغارته على بلاد افريقية وحر به مع ملكة فرنسا
لم يلتفت في بلاد المانيا الا الى منع ما يضرب اراحة والامن العام بسبب
المشاجرات والمنازعات الدينية فلذا كان يحسن معاملته الامراء المعزلة وبسلك
معهم مسلك الحلم واين الجانب ليستسلم اليه او يمتنع عن الانضمام الى حرب
خصمه فاعتنى كل الاعتناء بابقاء المزايا التي حازوها بموجب مشاركة الصلح
المتعقبة في مدينة نورمبرغ سنة ١٥٣٢ من الميلاد واذ اقطعنا النظر
عن بعض احكام كانت تصدر من ديوان الاميراطور نرى ان نقول
ان الامراء المعزلة لم يكن عليهم حرج في التسليم بدينهم ولم يكن عندهم عائق
منعهم عن نشره وتوسيع دائرته ولكن كان البابا لم يرل بسى في عقد مشورة
قيسية عامة وكان المعزلة لم رضوا بان عقادها في مدينة منتو حسبا
طلبه البابا ومع ذلك لم يرل البابا يشدد في تمييز ماسعى فيه حتى سدر منه
في الثاني من شهر حزيران سنة ١٥٣٦ من الميلاد فرمان بتفخيم أن المشورة
يكون انعقادها بالمدينة المذكورة في الثالث والعشرين من شهر ايار
من السنة الجديدة وعين للنيابة عنه فيها ثلاثة من الكريديالات وامر ملوك
النصرانية أن يؤيدوا تلك المشورة ويعضدوها ودعا ابحار جميع الملل الى
حضورها ولا يخفى أن عند مثل هذه المشورة لا يليق الا في اوقات الصلح الخالية
عن التفكير والشقاق حتى تكون عقول الناس مستعدة للتوافق وعدم
الاختلاف فلذا ظهر أن عقدها في هذا الوقت غير سديد لان الاميراطور كان
يتأهب لقتال فرنسا ويستعد لانضمام نيران الحرب في جزء عظيم من بلاد
اوربا ومع ذلك اخذ القرمان رسل وقتية غير معتادة ونشروه في الدواوين
الافريقية والاجل استمالة قلوب اهل المانيا كان الاميراطور مدة اقامته

مطلب

المداولات والدسائس

التي حصلت لاجل

عقد مشورة قيسية

(سنة ١٥٣٨)

في رومة يلج على البابا أن ينجز انعقاد تلك المشورة الا أنه طمع في تحويله
 كما كان عليه من التخلي عن الحزبين وضمه الى حزبه فبعث مع الرسول
 الذي ارسله البابا الى بلاد المانيا نائب صاحب ختامه المسي هلدو وامره
 أن يساعد البابا في سائر ما يعرضه على المعتزلة ويؤيده في ذلك عن لسان
 الامبراطور أتم التأييد فاجتمع المعتزلة في مدينة سمالكال وعرض عليهم
 الرسولان ما هما مبعوثان بصدده فبعد أن ابديا لهم ما عندهما من البراهين
 والادلة أبوا عن لسان واحد أن يقرّوا تلك المشورة القسيسية التي يكون
 انعقادها باسم البابا وامره وله الحق يقتضي التفرمان في الرئاسة عليا لاسيما
 وانهقادها بمدينة بعيدة عن بلاد المانيا في حكومة ملك لا يعرفونه
 ولا يعرفهم وله الاتحاد والتسام كلّي بدويان رومة فلا يأمن علماءهم
 التبولوجية أن يذهبوا اليها خصوصا وقد عنون عنهم في التفرمان بالرافضة
 فلانشرح صدورهم لمثل ذلك وانضمت هذه الموانع الى موانع أخرى كثيرة
 وسطر جميعها في دفتر طوبل نشرو في الممالك ليزكوا انفسهم ويرثوها
 فغضب ارباب ديوان رومة من امتناع المعتزلة وجعلوا ذلك دليلا وانحما
 على منادهم وعتوهم ولم يرزل البابا يشتد في عقد المشورة في المكان والزمان
 اللذين عينهما لذلك الا أنه حصل التوقف في هذا الامر من طرف الامير
 دوق دومتو من جهة حقد في الحكم على من يحضر هذه المشورة ومن جهة
 أمن مدينة منتو التي هي تحت حكومته من هؤلاء الاجانب فلما لم يمكن
 للبابا أن يجيب هذا الدوق الى ما يطلبه اخر عقد المشورة بعض شهور ثم امر
 بعد ذلك بعقدها في مدينة ويسنسة بدول البنادقة وجعل يوم انعقادها
 غرة شهر ايار من العام انقابل ولم يكن كان لم يقع صلح بين فرنسيس
 والامبراطور فلم يأذن كل منهما لاحد من رعاياه بالتوجه الى تلك المشورة
 فلم يحضر في اليوم الموعد احد من اخبار دين النصرانية فغضب البابا أن يعين
 يوما آخر فلا يحضر فيه احد وذلك يزرى بمقامه وعلو مكانته فامر بتأخير
 عقدتها ولم يسم لذلك اجلا

في ٨ من شهر تشرين

الاول سنة ١٥٣٨

(سنة ١٥٣٨)

مطلب —

ازالة الباب العذمتناسد
من ديوان رومة

وحيث كان البابا يولس لا يريد أن يعاب عليه بكونه يشتد في نسخ وتوقف
حصوله على غيره ويحمل في نسخ يمكنه تيجنه بنفسه امر جمعية من الكردياتالات
والاساقفة أن يجشوا عما في ديوان رومة من المفسد والمظالم وعن اقوى
الروابط في ازالها ونسخها فقبل منه ذلك لكن مع التنجور والتكدر فلذا كان
اجراؤه بطيئا حيث تساهلت هذه الجمعية في البحث عن هذه المفسد بل كان
مثالها في ذلك كمثل انسان رقة فرائصه كلما اراد أن يدخل يده في الجرح ليعرف
ما به ومع انهم سلكوا في البحث عنها مسلك التعامل والتساهل عنوا منها على
مفسد كبيرة ومظالم كثيرة الا أن الطرق التي سلكوها في اصلاحها لم تكن
كافية اول يحصل الاعتناء باجرائها وكان ارباب هذا الديوان مصممين
على اخفاء تقرير هذه الجمعية وما يخط عليه رأى اربابها ولكن طرأت عوارض
كانت سببا في اتشار ذلك ليلاد المانيا حتى علم به الخاص والعام واستعان به
المعتزلة على افساد اصول الكنيسة الرومانية وتأييد مذاهبهم في جهة جعلوا
يرهنون على انه لا بد من النسخ في اصول الكنيسة وابدوا أن اغلب المفسد
التي اعترفت بها تلك الجمعية هي عين المفسد التي تفرمتها لوتير واصحابه
وارادوا اصلاحها ومن جهة اخرى أخذوا يرهنون على أن القسوس
لا يجرد لهم على اجراء هذا النسخ باقتسام لوتير انهم اشتغلوا بمعالجة
ناآليل صغيرة واهملوا القروح الكبيرة بل وصيروها منمنة

وكان الايمبراطور قد ألمح على الامراء المعتزة أن يرضوا بعبء المشورة القسيسية
العامة ليلاد ايطاليا فافزعهم ذلك جدا حتى رأوا من الواجب عليهم
أن يقولوا عصبتهم فادخلوا فيها عدة ناس ذوى شوكة كانوا يطلبون الدخول
فيها لاسيما ملك دانييرقة وكان هلدو رسول الايمبراطور قد شاهد مدة
اقامته في المانيا أن المعتزلة لهم شوكة عظيمة بسبب عصبتهم فاداد أن يرتب
عصبة تعادلها ولا تخرج عن الصانوليين من امراء الايمبراطورية
فترتبت هذه العصبة وسيمت باسم العصبة المقدسة ولكن لم تكن الكمال لاجترد
الدافعة عن دين الكنيسة وتأييده لانتقض دين المعتزلة ونسخه وكان هلدو

مطلب —

العصبة التي ترتب
لمعادلة عصبة المعتزة

(سنة ١٥٣٨)

لم يرتب تلك العصبة الإبطريقي الشابة عن الإمبراطور حيث كان قد قوض له
الامر فجا بخل ومع ذلك أنكرها الإمبراطور فجا بعد ولم يدخل بها من الامراء
الا افراد قلائل

مطلب
خوف المعتزلة وفزعهم

وقد علم المعتزلة بهذه العصبة مع الاعتناء الكلى بكنائنها واخفاء امرها عنهم
وكانت قوسهم دائما غير مطمئنة فكانوا يخشون حدوث امر يضر بدينهم
الجديد ولحقهم فزع كبير من تجدده هذه العصبة وظنوا أن الإمبراطور قد عزم
على نسخ مذهبهم وابطالها فبنوا على ذلك اخذوا يحترسون منه فجعلت عصبتهم
تكثر من عقد المجالس والمذاكرات وتتداول مع كل من ملك فرانسا وملك
انكلترة بل وصاروا يذاكرون في شأن جمع العساكر والاموال التي فرضوها
على كل واحد من ارباب العصبة في المشاركة المتعقدة بمدينة سمالكال
ولكنهم هم قليل علوا أن هذا الفزع لم يصادف محلا وأن الإمبراطور محتاج
الى الصلح وبقاء الراحة بسبب دمار قواه وعساكره في حربه مع مملكة فرانسا
فلا يريد ما يوجب تعمير بلاد المانيا وازالة الصلح منها وذلك أن المعتزلة
لما اجتمعوا برسل الإمبراطور في مدينة فرنكفورت رأوا أنه لم يعزم على شيء
بما اتهموه به فانخط الرأى في هذه المدينة بينهم وبين رسل شرلكان على
أن مارخص لهم فيه سابقا لاسيما في المشاركة المتعقدة بمدينة نورمبرغ
يبقى على ما هو عليه حسبا وقع عليه الاتفاق مدة خمسة عشر شهرا وأنه في ظرف
تلك المدة لا يصدر من الديوان الإمبراطورى حكم عليهم بشئ وأن تعقد
مشورة يحضرها بعض افراد من علماء اللاهوت بعضهم من طرف الكنيسة
وبعضهم من طرف المعتزلة لينذاكروا في المسائل الخلافية ويحجزوا شرط الصلح
التي تعرض على مشورة الديانة حين انعقادها ولكن لم يقر الإمبراطور هذا
الاتفاق صراحة خوفا من غضب البابا حيث أبدى أن البند الاول يضر بمصالح
الكنيسة ومع ذلك عمل بمقتضى هذا الاتفاق حرفا بحرف حتى ترتب على ذلك
تمكين اساس الحرية الدينية التي كان المعتزلة يجحدون في طلبها

مطلب
ادخال دين المعتزلة
في بلاد سكس

وبعد الاتفاق الحاصل بمدينة فرنكفورت بايام قلائل مات الأمير جورجي

دوق سكس فكان موته معينا على نشر دين المعتزلة وتوسيع دائرته وكان
هذا الامير كبير فرع امراء سكس الصغير وكان له من حيث كونه ملتزم
مسيئته وتوريجيه اراض واسعة جدا من جملتها مدينة درسد و مدينة
لپسبك وغيرهما من اعظم مدائن بلاد هذا المنتخب وكان من اكبر اعداء دين
المعتزلة فكان يتقرضه بقدر ما كان غيره من الامراء المنتخبين يؤيده ويدافع
عنه فكانت لاعتزله همة في مناقضته لانه كان متمسكا بكل التمسك بالدين
القائوليقي فاودع ذلك في قلبه بدعا واوها ما مفرطة خصوصا وكان يبغض
لوتير حتى كان لا يستطيع النظر اليه وكان الفرع الاخر من عائلة سكس
يدافع عن الدين الجديد ويعضده وكان بين الفرعين منافسة فلذا كان الامير
جورجي المذكور من اقوى الموانع لتقدم دين المعتزلة واتقائه وحيث انه
مات ولم يعقب ذرية انتقل ميراثه الى اخيه الامير هنري كبير الفرع الاخر
وكان يميل الى حزب لوتير بل كان ميله الى دين المعتزلة يفوق ميل جورجي
الى الدين القائوليقي وكان جورجي لشدة ميله لدين الكنيسة قد حرر
وصية قبل وفاته ذكر فيها أن جميع اراضيه تكون هبة منه للايمبراطور والملك
الرومانيين ان اراد اخوه هنري اتباع دين المعتزلة والعدول عن الدين
القائوليقي فبجبر داسقلاء هنري على اراضيه وحيازتها لم يلبثت الى تلك
الوصية بل دعا عدة من علماء المعتزلة وكذلك لوتير الى الحضور بمدينة لپسبك
فلما حضروا بها وحصلت منهم الاعانة لهذا الامير فسبح في ظرف بعض اسابيع
من بلاده الدين القديم ونشر بها اعلام الدين الجديد وفرح رعاياه بذلك كل الفرح
بجيشه على وفق مراسيمهم وانما كان اميرهم المتوفى يمنعمهم عن هذا الدين بطريق
القهر والاكرام فبهذه الحادثة نجت طائفة المعتزلة من الاخطار التي كانت
عرضة لها يبغض الامير جورجي لدينها لاسيما وكان متمسكا منهم
حيث كانت لارضيه في وسط بلادهم فأرأوا بعد موته دائرة اراضيهم قد اتسعت
وصارت متصلة ببعضها يكاد أن لا يتخللها فاصل من شواطئ بحر بلطيق الى
شواطئ نهر الرين

(القالة السادسة)

(تاريخ الإمبراطور شيركان)

١١٩

(سنة ١٥٣٩)

مطلب

قيام العساكر
الإمبراطورية
وخرجهم عن
الطاعة

وبعد انعقاد هدنة مدينة نيسه ببعض أيام حصلت حادثة علم بها اهالي
اوربا أن الإمبراطور لم يعدل عن الحرب الا لكونه رأى أنه لا اقتدار له عليه
وأن مصالحه لا تسوغ له ذلك حيث كانت عليه مبالغ جسيمة من ماهيات
عساكره وكان يلاهيهم ويخادعهم بالمواعيد ويزخرف لهم القول لكن لما رأوا
أنه بسبب الهدنة صار لا يحتاج اليهم ولا يجيبهم اذا طلبوا منه ماهياتهم عيل
صبرهم وعصوا دفعة واحدة واطهروا أنفسهم يريدون اخذ استحقاقهم بطريق
التهر والغلبة ولم تكن هذه القسنة مقصورة على بعض دول الإمبراطور دون
بعض بل عمت سائر بلاده * فاما العساكر الذين كانوا بدوقية ميلان
فذهبوا القرى وبلاد الارياق وافزعوا تحت هذه الدوقية * واما المحافظون
الذين كانوا بالقلعة غوليطة فابعدوا أنهم ان لم يعطوا استحقاقهم فلما ناع
بمنعهم من تسليم هذه القلعة الى بربروس * واما العساكر الذين كانوا
بجزيرة سيسيليا فقتلوا ما هو اعظم من ذلك حيث اتهم بعد أن طردوا
ضباطهم وولوا على انفسهم ضباطا آخرين هزموا سرية ارسلها اليهم نائب
الإمبراطور وتغلبوا على عدة مدائن ونهبوها وسلكوا في ذلك غاية الالتئام
والضبط والربط حتى كأن حروبهم ناشئة عن نظام تام وادارة محكمة لا عن حمية
عسكرية غر ولا تستقر ولا يتيسر معها انتظام ولا ضبط وربط ولكن لحزم رؤساء
الإمبراطور ومهارتهم اقترضوا اموال اياهم واباسهم ونسب كل منهم مغارم
جسيمة على مدائن الاقاليم التي كان مقيما بها حتى جعوا المبالغ اللازمة لصرف
ماهيات العساكر وسكنوا القسنة وبعد ذلك سرحوا معظمهم ولم يبقوا منهم
الا بقدر ما يلزم لحفظ القلاع والمدائن الكبيرة وحفظ سواحل البحر من اغارات
الدولة العثمانية

مطلب

انعقاد مشورة
وكلاء المملكة
قسطيلة في مدينة
طليطلة

فلو فرض حظ الإمبراطور اقتضته مهارة رؤسائه من هذا الخطب الذي كان
لا يمكنه بفرده أن ينجو منه ولم يكن تحت نظره مما يوقى به استحقاق عساكره
الا الامداد الذي كان ينظره من اهالي المملكة قسطيلة فبنا على ذلك جمع
مشورة وكلاء تلك المملكة بمدينة طليطلة وعرض عليهم المبالغ الجسيمة التي

(سنة ١٥٣٩)

صرفها في الحرب وبين لهم ما عليه من الديون الجمة وطلب منهم أن لا يعطوه من الامداد والاسعاف ما يستسبونه بالنظر لحالته الراهنة وأن يضربوا ذلك مغرماً على جميع البضائع وفروع التجارة ولكن كان اهل اسبانيا اذذاك ملزومين بمغارم لم تكن تعهد عند آياتهم واسلافهم وكانوا يشكون غالباً من فقد اموالهم ورجالهم في حروب لا تقتصر ولا يعود عليهم منها نفع فكانوا مصممين على أن لا يكتفوا انفسهم بمغارم جديدة ولا يعينوا الايماطور على حرب يضربون يلادهم **كالحروب السابقة** لاسيما الاشراف منهم فانهم ناقضوا في المغرب المطلوب وابدوا انه يضرب باعظم مزايا خرقتهم وهي معافاتهم من المغارم على اختلاف انواعها وطلبوا المفاوضة مع وكلاء المدن في شأن حالة الملة وعرضوا على الايماطور انه ان اقتدى بسلفه ولازم الاقامة ببلاد اسبانيا ولم يتعرض الى المعالجات التي لا تخص الدول الاسبانية فإيراد التاج يكفي بل يريد عما يلزم للحكومة من المصاريف وامام ادم يعدل عن سقمهم ويعمل في تلك الوساطة التي ينشأ عنها ثروة الملة وقود كلتها فسيه في ضرب مغارم جديدة على الملة الاسبانية لئلا يحض ظلم وتعسف فسلك الايماطور مع ارباب تلك المشورة مسلك الترحي والمواعيد والاستدلال والبرهنة ليستبيلهم اليه فلم يجد ذلك نفعاً فصر فهم واحشائهم وتلظى ومن يومئذ لم يدع الاشراف ولا القسوس الى مشورة القرطس وسبب ذلك هو ما قيل انه اذا انعقدت مشورة القرطس وكان الغرض من انعقادها ضرب مغارم جديدة فلاداعي لحضور خرقه القسوس والاشراف اليه لان من لا يدفع شيئاً لا حقه في ابداء الرأي وصار لا يقبل في تلك المشورة اذا اجتمعت الا وكلاء المدائن الثمان عشرة المتقدمة وكانوا ستة وثلاثين لان كل مدينة منهما كانت تبعث رسولين وكان يتألف منهم مشورة ليس لها من الصولة ولا من القسام والاعتبار ما كان لمشورة القرطس سابقاً بل كانت تطيع الديوان الايماطوري في جميع الامور ولا تخالفه في شيء مما تحصل في شأنه المذاكرة فن ذلك أن اشراف قسطنطينة لهدم بصرهم وقلة حزمهم أيدوا المزايا الملوكية وقاموا بصرتها حين خرجت

مطلب

تشكي ارباب المشورة وتظلمهم

مطلب

ابطال الرسوم القديمة التي كانت مجعولة لمشورة القرطس

(سنة ١٥٢٩)

الجميعيات البلدية عن طباعة الملك سنة ١٥٢٩ فاضرت ذلك بعصاية
الاشراف حيث ان الاشراف المذكورين باعاتهم لشرلكان على خفض
طائفة من طوائف المملكة وهي طائفة الاشراف على العموم اضعوا التعادل
الذي كان حصنامنيها لقوانين المملكة وساغ لشرلكان ومن خلفه
أن يخفضوا تلك العصاية ويحترقوها عن ابي مزايها واعظمها
ومع ذلك فكان باقيا لاعميان اسبانيا شوكه عظيمة وخصايص جسيمة
يدافعون عنها مع الكبر والعقول الذي كانوا ممتازين به عن غيرهم من الامم وقد وقع
للإمبراطور مدة انعقاد مشورة العموم بمدينة طليطلة ما بدله على ذلك
* فقد اتفق ذات يوم أنه كان واجعا من ملعب التورنواس ومعه
معظم الاشراف فهم احدا وياوشية ديوانه أن يفسح له طريقا بين الزحام فضرب
بعصاه فرس الامير دوق دولاقتادو فغضب هذا الدوق وسل حسامه
وضرب به الجاويش فخرجه فغضب الإمبراطور من جسارته هذا الدوق امامه
وضربه الجاويش بحضرته وأمر الامير رونكيلو وكان من ضباط ديوانه
أن يقبض حالا على الدوق فتقدم رونكيلو ليقبض عليه عملا بالامر فلم يشعر
الاوحاكم المدينة قد قبض عليه منه للابان من مزاي منصبه ووظيفته أن يحكم
على اعميان اسبانيا وذهب بالدوق دولاقتادو الى منزله فسر لذلك
جميع الاشراف الذين كانوا حاضرين لمخفيه من المدافعة عن مزاي طاقتهم
وتركوا الإمبراطور وصحبوا حاكم المدينة الى قصره وهم يدحونه على فعله
فاضطرت الإمبراطور الى الرجوع وليس معه الا الكردينال طاويرة ولحقه
من ذلك غضب شديد لكنه رأى أنه ان تعرض لمن أساءه شيء فقد عرض
نفسه الى الخطر لان طائفة الاشراف كانت شديدة البأس وكانت ادنى اساءة
تخرجها عن اطوارها وتؤديها الى ارتكاب ما لا يرتكب فعوضا عن كونه
يشدد في هذا الامر ويتظاهر بحقوقه ومزايه المملوكية عمل بما يقتضيه الحزم
من الاغضاء عن سفاهة هذه الطائفة القوية الشوكه حيث كان يعلم أنه
ان تصدى لعقابها عرض نفسه للخطر وارسل في صبيحة اليوم التالي الى

مطلب

بيان كون اعميان
اسبانيا كان لهم مع
ذلك مزاي كبيرة

(سنة ١٥٣٩)

الدوق ولا خاتنادو في يته وعرض عليه أن يعاقب الجاويش كيف شاء
فرأى الدوق أن تسليم الإمبراطور له بهذه المشابة ~~يكنى~~ في التوفية بحقه
واصلاح ما حصل له من الاساءة فصنع حالا عن الجاويش بل واتخذه بهديه عظيمة
في تطهير حرمه وعمائله تنوسبت هذه الدعوى ولم يبق لها ذكر ولولا أنها تدل
اتم الدلالة على كبر اشراف اسبانيا وحزبتهم وعلى نباهة الإمبراطور
وحزمه لكونه راعى في ذلك مقتضيات الاحوال لما كانت جديرة
بالذكر في التاريخ

مطلب

عصيان مدينة غنده

ولكن لم يحصل من الإمبراطور مثل هذا الحلم في حق اهل غنده حين عصوا
عليه بعد ذلك بمدة قليلة وكان سبب عصيانهم أنه في سنة ١٥٣٦
من الميلاد حصلت حادثة افضت بهم الى الخروج عن الطاعة فانزعت عصيانهم
بتلك المدينة الزاهرة وذلك أن ملكة البحار لما كانت حاكمة في البلاد الواطية
وبجاءها امر من اخيها شريكا بالاعارة على مملكة فرانس بما يمكنها
جمعه من القوى والعساكر جعت مشورة عموم الاقاليم المتجمعة فرضى اربابها
أن يجمعوا لها ألفا ومائتين من الثلوران (نوع من النقود) لتستعين بها على
الحرب فضرب على قوتية الفلنك ثلث هذا المبلغ وكان اعظم مدن هذه
القوتية مدينة غنده وكان لاهلها تجارة واسعة رابحة مع مملكة فرانس
فكانوا لا يريدون الحرب مع فرنساوية فلما طلب منهم ما يخصهم من المبلغ
الذكور او اودفعه متعللين بأنه بموجب الشروط بينهم وبين آباء الإمبراطور
لايسوغ أن يضرب عليهم مفرم ايا ما كان الا عن رضائهم بدون الرام وكانت
ملكة البحار تقول ان هذا المبلغ حيث اقترنه مشورة عموم الفلنك وكان وكلاء
غنده من جملة ارباب هذه المشورة ولولم يصدر منهم تصديق يجب على هذه
المدينة أن ترضى بما حكت به تلك المشورة لأن من الاصول التي
ينبغي عليها نظام كل جمعية ولا يتم الامن بدونها أن رأى الجمهور يغلب
على غيره فلا يصح أن يعمل بمقتضى رأى وكلاء تلك المدينة ويلقى رأى غيرهم
وهو الجمهور

دعوى اهل غنده

(سنة ١٥٣٩)

فلعباً اهل غنده بهذه العمل حيث **ك** انوا متعودين في عهد العسيرة
البورغونية على التمتع بمزايا وخصايس واسعة وعلى الحلم ولين الجانب من
طرف حكامهم فلم يزالوا مصممين على عدم دفع ما ضرب عليهم وأبو أن يطيعوا
الملكة التي كان **ك** هماء عليهم بطريق النياحة ولم يقبلوا امرها في شيء يضرت
بحقوقهم ومزاياهم التي طامادافوا عنها ملوكهم الاقدمين وظفروا بمرامهم
فجعلت الملكة اولاً تسيدهم باللين والرفق وتسلط معهم مسلط الحلم لتدخلهم
تحت الطاعة فلم يحكم اذلك فلحقها غضب شديد وامرت بالقبض على كل من كان
في مملكة البلاد الواطية من اهل غنده ولكن مثل هذه الطريقة لا تؤثر
في رجال كانت حجتهم شديدة من وجهين مختلفين وهما بعضهم للظلم وجههم للحرية
فاشدت غضبهم من هذه الملكة لم يلتفتوا الى ما ترتب على عصيانهم من المصائب
التي تقتر بابناء وطنهم واصحابهم بل احتقروا اوامرها وبعثوا رسلا الى سائر
المدائن القليلة **ك**ية يحرضونها على عدم التخلي عنهم في هذا الخطب حيث
انه امر مشترك بينهم وبينها وطلبوا منها أن تنضم الى حزبهم لينتصر والحقوقهم
ويؤيدوها وانه لا يليق بهم أن تفرغهم سفاهة امرأة لا تعرف مزاياهم وتعرفها
ولا تحترمها فابت تلك المدائن أن تعصب على الملكة ماعدا بعض مدائن صغيرة
واتماوا طاماً بعضهم بعض على أن تخرج الملكة أن تبقى هذا المعرم المضروب
على اهل غنده حتى يبعثوا رسلا الى الايمراطور في اسبانيا يعرضون
عليه ما لهم من المزية التي بموجبها **ك** ونون معاقين من دفع ما ضرب عليهم
وعرضوا هذا الرأي على الملكة فتوقفت اولاً ثم رضيت فتوجه الرسل الى
اسبانيا فوجدوا في الايمراطور من الكبر والعنوة ما لم يجدوه في اسلافه من
الملوك فامرهم أن يطيعوا اخته كطاعتهم له واحال تحقيق دعواهم على مشورة
مدينة مالينس وكانت هذه المشورة جزأ من برلمان قوتية الظنك
فكان يسوغ لها أن تحكم في المصالح الجسيمة حكماً يتبلا يقبل التقص فحكمت
بأن تدعى اهل غنده لاختية والزمتهم بدفع المعرم فوراً
فغضب اهل غنده من هذا الحكم وعذوه من الظالم الذين في حقهم واستولى

مطلبه

عصيان اهل غنده وعرضهم
على مملكة فرانساً أن تدخل
مدنيتهم تحت حكمها

عليهم اليأس والتسوط حيث رأوا أن المشورة التي هي قرار العدل ومحل
الانصاف قد خانتهم وغدرت بهم وحكمت عليهم بغير الحق مع أن حقها
أن تعضدهم وتأخذ بأسرهم فعصوا جميعا وشهروا السلاح وطرردوا من
مدنهم جميع من كان مقيما بها من الاشراف وقبضوا على طائفة من ضباط
الايماطور وجعلوا يعذبون ضباط منهم اتموه بأنه اخفى او مرق الدفتر الذي
كان محتويا على قوانين معافاتهم ورتبوا فوراً مشورة قوضوا اليها ادارة
مصلحهم وصدرت منهم اوامر باصلاح التخصينات القديمة وانشاء ما يلزم من
التخصينات الجديدة ونشروا لواء العصيان والخروج عن طاعة ملكهم لانهم
لما كانوا يعلمون أنهم اضعف شوكتهم لا يمكنهم مقاومته بمفردهم ارادوا أن يتخذوا
لهم نصيراً يعينهم على بطش عدوهم فجمعوا على ارسال رسل الى الملك
فرنسيس يعرضون عليه أنهم يبايعونه بالتملك عليهم بل ويعينونه حتى الاعانة
على التغلب من مملكة البلاد الواطية على الاقاليم التي كانت سابقا لتاج فرانس
وحكم بعضها اليها في الامر الصادر منذ قليل من برلمان باريس ولا يخفى
أن عرض مثل ذلك من اناس يمكنهم أن يجروا بعضه حالا ويعينوا حتى الاعانة
في تيمم البعض الآخر كان حقه أن يفرّ فرنسيس لشدة طمعه وحرصه
ويدين عليه آمالا واسعة لان قوتية الملك وقوتية اربوازة كانتا
اعلى مقداراً من دوقية ميلان التي كان فرنسيس يود الاستيلاء عليها
ومكث زمناً طويلاً وهو يصرف في ذلك مصاريف واسعة ويبدل مجهودات
كثيرة ولم يمكنه الظفر بمقصوده في شأنها ولقرب هاتين القوتيتين من مملكة
فرانسا كان يسهل عليها الاستيلاء عليهما وحفظهما اكثر من الدوقية
المذكورة وكان يمكنه أن يجعلهما مملكة مخصوصة يولي عليها ابنه الامير
دوق دووليان وتكون جديرة بمقامه كالمملكة التي كان ابوه يعدّها له وكان
من الجائز أن اهل الملك لمعرفةهم ياخلاق الفرنسيات وحكمهم لا يتوقنون
في الدخول تحت طاعتهم وأن الفرنسيات لتعجبهم وقادقواهم في حروب بلاد
ايطاليا يرغبون في الحرب بمملكة البلاد الواطية ويعتنون به فلا يخيب

(سنة ١٥٣٩)

سعيهم بل ينظفرون بمرامهم ومع أن هذه الفرصة كانت في الظاهر اعظم فرصة
للملك فرنسيس يستعين بها على توسيع دوله واذلال الامبراطور وكان
ثم عدة اسباب قوية منعه عن انتهازها واجتناء ثمارها وذلك انه من حين
مقابلتهما لبعضهما في مدينة ايفو ورت كان الامبراطور لم يرل يراعى
مزاج الملك فرنسيس ويلطفه ويعدده بأنه يجيبه الى مطلوبه في شأن دوقية
ميلان وأنه يعطيه له اولاً حداً بئسائه * ولم تكن هذه المواعيد صادقة
وانما كان قصده بها اماخراج فرنسيس من معاهدة السلطان سليمان
ارأه بكثرة مداواته معه يوقع الرية في نفس السلطان فيحصل التفاهم بينهما
وكان من عيب فرنسيس أنه كان كلفماً أن يغترب بالسراب فاهمل في تحصيل
القوتين السابقتين مع أنهما اعظم من دوقية ميلان التي كان يود الاستيلاء
عليها * وزيادة على ذلك كان الدوفين ابنه وولي عهده يفار من اخيه غير شديدة
وكان يهدف فيه الطمع والحرص فشق على نفسه أن تعطى له قوتية الفلنك
وقوتية ارنوازة لانهما كانتا في داخل مملكة فرانسوا وكان للمارشال
موتورانسى الخطوة عند الدوفين كوالده فرنسيس فاستعان به
على أن يحمل اباه على عدم قبول ما عرضه عليه اهل الفلنك

فلهذا الغرض جعل المارشال موتورانسى يبالغ لفرنسيس في الشهرة
الكبيرة والشوكة العظيمة التي يحوزها باسترجاع دوله التي كان يملكها في بلاد
ايطاليا وافهمه أن محافظته مع التدقيق على العمل بمقتضى الهدنة وامتناعه
عن قبول ما يعرضه عليه رعايا الامبراطور الخارجون عن طاعته مما يجب
فيه الامبراطور فيعطيه دوقية ميلان * وكانت هذه الدوقية
عند فرنسيس بمكانة جليلة فكان اعتباره لها بقدر ما حصل له من التعب
والمشاق في الاستيلاء عليها لاسيما وكان لاستقامة طبعه يركن الى مظاهره
الحلم والكرم فسمع قول موتورانسى واستحسنه وامتنع عن قبول
ما عرضه عليه اهل غنسة وصرف رسلهم بعد أن اجابهم بما اغضبهم
وانغاضهم

مطلب
امتناع الملك فرنسيس
عن قبول عرضهم

(سنة ١٥٣٩)

مطلب —
اعلامه للإمبراطور
بقاصدهم

ولم يكتف فرئيس بردهم وعدم اجابته بل اسلامه باطنه اخبر الايمبراطور
بما وقع بينه وبين رعاياه الخارجين عن طاعته واعلم بما وقف عليه من مقاصدهم
والوسايط التي يريدون الاحتراس بها فلما رأى الايمبراطور ذلك من الملك
فرئيس أمن من جهته وزالت عنه الرية والوسواس وكان قد باه
ما هو حاصل في مملكة البلاد الواطية من مجاوزة اهل غنمة الحدود
في الخروج والعصيان وكان يعرف اخلاق اهل هذه المدينة وجهتهم وحجم
القرية وتوابعهم عزايهم وعوايدهم القديمة وعثوهم وبطأهم في اجراء ما عزموا
عليه من المشروعات وكان يعلم أنه لو أعانهم ملك فرنسا لظهر واعليه
وطفروا بجرأهم طامبلعه ما فعله فرئيس معهم وصار أمنا من جهته
استمر على ما كان مصمما عليه من وجوب المبادرة الى اطعام نيران الفتنة وبذل
الجهد في هذا الغرض ليتداركه قبل اتساع الخرق في هذه البلاد القوية الشوكة
لكثرة مدائنها واموالها ورجالها ففكر زمنا طويلا ثم رأى أن الاصوب
أن يتوجه بنفسه الى مملكة البلاد الواطية وكان ذلك على مرام اخته لانها كانت
تلج عليه بالسفر الى هذه المملكة وكان له من حيث السير اليها طريقان يختار
ما شاء منهما اما أن يسافر الى ابرابا بانيجوب بلاد ايطاليا والمانيا او بجرا
بأن يسافر من احدى مينات بلاد اسبانيا حتى يصل الى احدى مينات مملكة
البلاد الواطية فاما الطريق الاولى فكانت طويلة المسافة بالنظر لقتضيات
الاحوال اذ ذلك لان مثل هذا الغرض يلزم له المبادرة والاسراع لاسيما وطريقه
من بلاد المانيا فيلزمه من حيث كونه ايمبراطورا أن يأخذ معه تابعا كثيرة
وعساكر لاجل الاحتراس لانه ربما كان لا يأمن على نفسه وذلك يعطله
وتطول به الشقة واما الطريق الثاني فكان مزاج الفصل يمنعه من السفر بجرا
لاسيما وكان بينه وبين ملك انكلترة منافسة ونزاع فيلزمه أن يأخذ معه
دونا عظيمة لاجل حرسه وخفقه فلما كانت تلك الموانع تقيعه من ترجيح احدى
الطريقين على الاخرى خطريه الامر غريب وربما عتدى الظاهر من الجنون
وهو أنه يريد المرور بمملكة فرنسا لانها اقرب طريق الى البلاد الواطية

مطلب —
مذكورة الايمبراطور
في شأن سفره الى مملكة
البلاد الواطية

مطلب —
عرضه المرور بمملكة
فرنسا

(سنة ١٥٣٩)

فعرض على ديوانه استئذان الملك فرنسيس في ذلك فلم يوافقهم احد من ارباب الديوان على هذا الرأي وظهر لهم أن ذلك من باب المحاطرة وأبدوا له أن هذا السؤال لا يليق من جميع الوجوه وذلك أنه لا يخلو اما أن يجيبه بالمتع وذلك يحط بمقامه ويرزى بعرضه واما بالاجاب فيوقع نفسه في الخطر حيث يصير بذلك بين ايدي عدو أساءه غير مرة فهو يود الا يتقام منه لاسيما وكانت اسباب الحرب لم تزل باقية بينهما فلم يصح الا ان الإمبراطور لكلامهم بل مازال مصمما على هذا القصد لانه كما يعرف طبع فرنسيس أكثر من جميع وزرائه وارباب ديوانه فاخبرهم أن مروءة بملكه فرانسوا ليس فيه ادنى خطر بل يناله به مطلوبه من غير أن يكاف شيأ بضربته

فاخبره قصده رسول فرنساوية الذي كان في ديوانه وبعث الى مدينة باريس وزيره الاعظم يستأذن فرنسيس في المرور بملكته ووعده بأن قضية ميلان ستمت له عن قريب وترجاه أن لا يشتد في طلب مواعيد أخرى غير هذا الوعد وأن لا يدق في المواعيد التي وقع الاتفاق عليها سابقا حتى لا يظهر أن الحامل له على قصد اعطاء دوقية ميلان هو الضرورة والحاجة لاعلاقات المحبة وحب العدالة واما فرنسيس فلم يدرك ما آرب الإمبراطور وخذاعه مع ظهوره وعدم خفائه على اولى الاباب بل عول على أن الاولى للانسان أن يحسن لمن اساء اليه لاسيما وكان قد صرح فرحا شديدا بما بلغه من المدح على رده لاهل عنده وعدم قبوله لما عرضوه عليه فاجاب الإمبراطور الى ما طلبه لانه كان يظن في الإمبراطور ما يعهده في نفسه من الصدق وخلوص الطوية فلن أنه اذا أكثر من حسن معاملته واسداء المعروف اليه يحمله ذلك على الوفاء بمواعيده ويكون هذا الطريق اشد تأثيرا مما اذا لمه ذلك بموجب مشاركة اكيدة

ولما كان الوقت عزيزا عند الإمبراطور شرلكان سافر فوراً ورعيته في وجل ونزع عليه حيث لم يعجبه في السفر الا اخصاص قلائل نحو مائة نفس ولكن مع فله هذه الدائرة المصاحبة له في السفر انت دائرة ذات بهجة ورونق

مطلبه

رضاء الملك فرنسيس

مطلبه

دخول شرلكان في ملكه فرانسوا

(سنة ١٥٣٩)

فلما وصل الى بايون وهى مدينة على ضواحي مملكة فرنسا تلقاه فيها
كل من اخي الملك فرنسيس وهما الدوفين اى ولى العهد والامير دوق
دورليان وكان معهما الامير مونتوردانسى وعرضا عليه أن يذهب الى
اسبانيا ويكتسبها ويكون بمنزلة الرهينة حتى يعود اليها سالما غافلا لم يحجم
الى ذلك بل قال ان الرهينة هى مروءة ايكا فلا اعول على غيرها وكان كلما مر
على مدينة تظهر له من الاحترام والتعجيل ما لا مزيد عليه فكانت تتنافس
في تعظيمه وتشريفه حيث كان الحكام يسلمون اليه مفاتيحها وفتحت السجون
فلو رأيت ما كان يؤدى له من التشرىفات يومئذ لظننت أنه ملك فرنسا
لاملك اجنبي عابري سبيل وذهب الملك فرنسيس الى مدينة شاتلوروت
لاجل ملاقاته فيها فلما اجتمعا ظهر كل منهما للاخر صدق المحبة واكيد المودة
وسار معا حتى وصلا الى مدينة باريس وتعجب اهلهما حين رأوا هذين الملكين
بعد الحرب والشقاق الذى وقع بينهما مدة عشرين سنة وترتب عليه تفكير بلاد
الافرنج بتمامها قد دخل مصطفيين مع الابهة والاحتفال ويظهر ان بعضهم
الصداقة حتى كأنهما نسياما مضى بينهما من الاساءة وصحما على أن يعيشا مدة
حياتهم ما فى صلح مستمرا لا ينقضى مدى الايام والليالى

(سنة ١٥٤٠)

واقام شريكان فى مدينة باريس ستة ايام وكان ديوان فرنسا
الملوكى يبدى له من انواع التشرىفات والافراح ما لا مزيد عليه وكأوا
يتنوعون فى ذلك لاجل ادخال الحظ والسرور عليه ومع ذلك كان فى خلق من
الملك بفرنسا لانه كان يود الارتحال الى البلاد الواطية ولم يكن سبب
هذا القلق مجرد لزوم حضوره الى تلك البلاد بل كان سببه ايضا خوفه من
الاقامة عند عدوه وذلك انه خيبت طويته كان فى رعب شديد فكان يخشى
أن يظهر منه ما يدل على ما فى ضميره فيدركه خصمه او يرتاب منه ومع أنه نجح
فى اخفاء سره عن الناس كان يخشى ايضا أن يغلب فرنسيس مقتضيات
المصلحة على شعار المروءة وشرف العرض فيفتز فرصة حصلت بين يديه فم
قد انحط رأى بعض وزراء فرنسا على معاملة الامير بطور مما فى نفسه

مطلب
قلق الامير بطور

(سنة ١٥٤٠)

فعمزوا على عقابه في نظير ما وقع منه غير مرة من الغدر والخيانة وارادوا القبض عليه حتى يوفى بحقوق مملكة فرنسا الا أنه لم يـمـكـنهم أن يستيـلـوا فرنـيس الى نقض ميثاقه وعهده ويفهموه أن شرلكان بعد ما صدر منه من المواعدة وحسن معاملته بهذه المنايا لا يبعد عليه أن يخون كما خان قبل ذلك ~~أكثر~~ من مرة بل يحبه فرنيس الى مدينة سفت كتين غرورا بوعايدته ووثوقا بعهده واما ولده فانهما كما قالاه على حدود اسبانيا لم يتركاه الا بعد دخوله مملكة البلاد الواطية

ولما وصل الإمبراطور الى دوله جعل يرسل فرنسا بلحون عليه أربى بوعده ويـلـم في دوقية ميلان قـتـل بأنـه الآن مشغول بتسكين القسنة من مدينة غنـدة وطلب منهم مهلة جديدة ولثلا يرتاب منه فرنيس استزيداهنه ويخاطبه بلسان المخادعة كما كان يفعل ذلك معه مدة قاتمته بمملكة فرنسا بل كتب اليه في هذا الشأن كتابا اطلب فيه لكن ايهـم القاطـه وعباراته ليكنه تأويل مشابيه فيما بعد

واما اهل غنـدة فلم يكن لهم رئيس ذو اقتدار على ادارة مصالحهم وقيادة عـاكرهم ~~وكان~~ ملك فرنسا قد تخلى عنهم فلما لم يجدوا في اهل بلادهم من يأخذ بناصرهم رأوا أنه لا يكتمهم مقاومة الإمبراطور وكان اذ ذلك في أشد الخقد والغضب عليهم فصار يأتهم لقتالهم مع طاقه كبيرة من العساكر جمعها من البلاد الواطية وطاقه اخرى جمعها من بلاد المانيا وطاقه نائلة جاءت من بلاد اسبانيا بطريق البحر فلما احتاطت بهم الاحوال والاضطار احسوا بعجزهم وعدم اقتدارهم على المقاومة وداخلهم الرعب والخوف فبعثوا رسلا الى الإمبراطور ليطالبوا منه الصغ والعفو ويعرضوا عليه أنهم يفتقون له ابواب مدينتهم فلم يجيبهم شرلكان الا بقوله اني لا تظهر بين أظهرهم ويدي قضيب الملك والحسام وتوجه اليهم مع عساكره ولم يرش أن يدخل المدينة الا في الرابع والعشرين من شهر شباط وهو يوم ولادته لكن لغضبه لم تأخذه الرأفة والشفقة على تلك المدينة التي كان بها مولده قتل ستة وعشرين

مطلب
كذب الإمبراطور
في ٢٤ من شهر
كانون الثاني

مطلب
فتح اهل غنـدة

مطلب
عقاب الاهالي في ٢٠
من شهر نيسان

(سنة ١٥١٠)

من اعيانها ونفي اكثر من ذلك وجزء المدينة عن جميع مزاياها وخصايصها وضبط على ايرادها الجانب الميرى ونسخ صورة حكومتها القديمة وانا ط تقليد حكمها بالايمراطور وخلفائه ورتب بها طريقا جديدا في الادارة والقوانين ولاجل منع اهلها عن الخروج والعصيان انحط الرأي على أن يبنى بها قلعة وضرب على اهلها مفرما من الاموال يبلغ مائة وخمسين الف فلوران (نوع من النقود) ليصرف في بناء تلك القلعة وضرب عليهم ايضا مفرما سنويا قدره ستة آلاف من الفلوران لاجل مصاريف من يجعله في القلعة من المحافظين وكان تشديد شر لكان على مدينة غندة عبرة لغيرها من مملكة البلاد الواطية فكان انه انتهز تلك الفرصة ليقع في قلوب اهل تلك البلاد الخوف والرعب ويرغم صولته وشدة بطشه فشدد عليهم بقدر ما كانت مزاياهم وخصايصهم التي كان بعضها ثمرة تجارتهم وبعضها سبيبا في ازديادها واتساع دائرتها تحصر شوكة الملوكية في حدود ضيقة وتفسد عليه آماله وما ربه وتغنه عن تضييع اغراضه ومشروعاته

مطلب
استناع شر لكان عن
التونية بوعده في شأن
دوقية ميلان

ولما انتقم الايمراطور من اهل غندة وممكن حكومته في مملكة البلاد الواطية وصار لاجل حاجته بكمكان ما في ضميره واخفاء مقاصده عن الملك فرنسيس جعل يرفع بالتدريج الحجاب الذي كان الى ذلك الوقت يستتر به مقاصده في شأن دوقية ميلان فحاول اولارسل فرنسا وبه حين طلبوا منه الوفاء بوعده ثم عرض أنه يعطى الدوق دورليان قوتية القلعة عوضا عن دوقية ميلان ولكن اشترط امورا غير مقبولة كان مصمما على تقضها وعدم تنفيذها فلما الخ عليه هؤلاء الرسل وسألوه أن يجيبهم بجواب قطعي يخبرون به سيدهم ورأى أنه لم يتبق له حيلة يحايلهم بها أبى أن يحرم نفسه من تلك الدوقية المهمة بمحض الحلم والسكرم ورأى أنه لاجل حاجته به يحمل ضعف قوته ويقوى شوكة عدوه فانكر أنه صدر منه وعده بهذا الامر القسير المرضى الذي يضره وبمصلحه

ولاشك أن هذا الفعل هو اقبح شيء فعله الايمراطور عما يلام به عليه او يرمى

بفخاره ويدنس عرضه فانه وان كان لا يصدق في الوسائل التي توصله الى مقصده ولا يعتنى بمراعاة دعائم الشرف والصدق الا أنه كان الى ذلك الوقت لم يتظاهر بهتاك اصول التساهل التي يتخذها الملوك قاعدة في سلوكهم ويرون مراعاتها من الامور المحمّنة عليهم ولم يبلغ في ذلك هذا المبلغ ولكنه قصد في هذه المرة غش ملك حلّيم سليم الباطن حسن الطوية وسلوك في التحيل معه مسلكتا جميعا لينجح في ذلك ولم يلتفت الى ما يبداه له من الهبة وحسن الصنيع والمعاملة بل جازاه بالخيانة والغدر ومثل ذلك لا يليق بعلو شأنه ورفعة مقداره كما لا يليق بعظم مقاصده وسعة آرائه

وكما ان الإمبراطور استحق اللوم على غدره وخيانتته كذلك فرنسيس استحق أن يحتقر بسبب حوله تصديقه ووفقه وذلك أنه بعد ادمانه على التجار بطل مدة حكمه وما شاهد من الإمبراطور من الخداع والخيانة عندما يبداه في هذه الفرصة حماقة وغباوة استحق بهما الاقام من الإمبراطور واخذت بشكى ويتظلم من غدر الإمبراطور حتى كـأن هذه اول مرة حصلت منه وتأثر كما هو العادة من هذه الاساة لما فيهما من احتقاره والاضرار بمصالحه أكثر من غيرها حتى جزم الناس لما رأوه من حقه وشدة غضبه أنه ينتهز اول فرصة تلوح له في الانتقام من الإمبراطور وأنه سيقع في بلاد اوربا حربا شتده ولا يخطر ا من الحرب السابق

وقد اشتهرت هذه السنة بانشاء الطائفة القيسية المسماة بالسوعية وهي جديرة بأن يتكلم التاريخ على قوانينها المحسنة واصول احكامها لما كان لها من المدخلة العظيمة في المصالح القيسية والملكية واذا التفت للانسان الى سرعة ثروتها وتقدمها في الصولة وثقوت الكلمة وحسن ادارتها وشروعها في مقاصد عالية وعزمها على تمييزها حق عليه تعظيم منشئها ومؤسسها واعترافه بالفضل وحسن التدبير ويرى أن انشاءها لا يخطر الا بال من غاص بحر السياسة وتمكن منها كل التمكن ولكن ينبغي أن تقول ان هذه الطائفة هي كغيرها من الطوائف القيسية لم يكن لبقائها سبب الاحية مؤسسها الا حزمه

مطلب
امر البابا بانشاء
الطائفة السوعية

(سنة ١٥٤٠)

وحسن ادارته فان مؤسسها هو ايناس دولوايولة الذي سبق ذكره بمناسبة الكلام على جرحه في محاصرة يملون كان ذاجية جاهلية وافكاره مختلفة هوسية وقواعد في السلوك غير مرضية ومخالفة لاصول الملة النصرانية تتخلل بها ذكره واشتهرت سيرته وامره ولم تكن مقاصده الهوسية وما ربه الجنونية التي الجأته اليها شدة حبيته الجاهلية وجاقته الطبيعية دون ما في سير القديسين الاقدمين من البدع والالوهام الخرافية الا ان هذه ليست مثلها جديرة بالذكر في التاريخ فلشدة حبيته اول تولعه بتحصيل الشوككة والشهرة لان التولع بهما لا تلم منه فمن تعلقت آمالها بصلاح خارج عن حد العادة طمعت نفسه في تأسيس طائفة دينية زعم أنه اوحى اليه في شأنها والهمم ترتيبها وأنه يرتب قوانينها واحكامها على هذا المتوال كما نقل ذلك عنه اوعن بعض اتباعه على لسانه ومع هذه الدعوى التي ادعاها ليسهل عليه بها تنفيذ اغراضه ومقاصده لاق في مبداء امره عوائق كبيرة وموانع كثيرة فكتب البابا اولاً ليرجاء أن يقره على انشاء هذه الطائفة فرد بحضرة جمعية من الكرديسالات كان قد عقدوها لاختار تلك القضية فانحط رأي اربابها على أن هذه الطائفة مع عدم نفعها تخشى عاقبتها لم يرض البابا أن يقره على انشاءها الا أن لوايولة استأله فيما بعد باهر وعده به لوعرض على غيره من البابا لرضي به وجنح اليه وذلك أن لوايولة عرض عليه أن يضيف الى الشروط الثلاثة التي تشترط على طائفة دينية وهي الفقر والعفة والطاعة شرطاً رابعاً وهو أن تلك الطائفة التي يريد انشاءها تكون للبابا وطيعه طاعة خصوصية بحيث يلتزم كل فرد من افرادها أن يذهب في خدمة الدين الى حيث شاء البابا ولا تطلب من الكنيسة شيأ من المصاريف وكانت شوكة البابا حينئذ قد ضعفت بقيام عدة ملل على الكنيسة الرومانية والخروج عن مذهبها فخرج بانشاء هذه الطائفة التي يمكنه أن يقاوم بها اعداءه فصدر منه فرمان بانشاءها واتم على رجالها بمزايا وخصائص واسعة وجعل لوايولة رئيساً عليها وقد شهد له ما حصل فيما بعد بالاصابة والحزم في اقرار انشاء الطائفة المذمومة ودل ذلك على أنه ادرك أنها ستفزع

مطلب
حجة لوايولة الذي اسس
هذه الطائفة وافراط
غيره على الدين

مطلب
الاسباب التي دعت
البابا الى اقرار انشاء
تلك الطائفة

في ٢٧ من شهر ايلول

(سنة ١٥٤٠)

الكنيسة الرومانية كل التفع فلم يرض نصف قرن الا وقد صار لهذه الطائفة نزل
واما كن في جميع البلدان المتسكة بالدين القنوليقي وازدادت شوكتها وثروتها
على وجه عجيب وتكاثر رجالها وامتازوا بالمعارف والفضائل ولهبت بمدحها
أسنة اجباب الكنيسة الرومانية وصارت مهابة عند اعدائها ومعدودة من
امهر الطوائف الدينية واكثرها شجاعة وجسارة

واما قوانينها واصول احكامها فكان تنميتها على يد كل من الرئيس لينيز
والرئيس اكيويوة وكانا قد تقلدا الرياسة على تلك الطائفة بعد موت
لوايولة وكانا امهر منه في المعارف والادارة والحكم وان كان استاذهما
وامامهما فهما اللذان رتبا ما امتازت به تلك الطائفة من طرق الدساتر
والسياسة الا انه ينبغي نسبة الحمية الجاهلية المشوبة بهاتواينها واحكامها
الى مؤسسها اعني لوايولة وقد حصلت عدة حوارث صار بها للطائفة
السوعية طباع واخلاق مخصوصة بها وصار لها مدخل في مصالح ذلك العصر
اكثر من غيرها من الطوائف القيسية وكان لها ايضا صولة في ادارة هذه المصالح
لم تكن لغيرها من الطوائف المذكورة

وكار الغرض الاصلي من اغلب الطوائف الدينية هو عزلة رجالها عن الناس
بحيث لا يكون لهم دخل في الامور الدنيوية كما أن الراهب او العابد اذا دخل
الخلوة واعتزل الناس لا يشتغل الا بما فيه نجاة روحه وحفظ نفسه من التفتش
والزهد في زهرة الحياة الدنيا فكانه قدماء وهو على قيد الحياة لكونه اعرض
عنها وصار لا يتبع الناس الا بصلاته ودعائه ويكونه اسوة لهم في الزهد والرغبة
عن الدنيا واما الطائفة السوعية فكانت بخلاف ذلك حيث كان رجالها
يعتدون انفسهم أنهم معدون لاديعيشوا معيشة دنيوية لا يعرفون فيها التفتش
والخمول فلم يكونوا الاعسا كمنتعين دخلوا في هذه الطائفة لمحض الجهاد
والغيرة على الدين وخدمة البابا الذي هو خليفة الله في ارضه فكان جل
غرضهم تعليم الجاهل وقمع الخارج عن طاعة الكنيسة الرومانية وكانوا لاجل
هذا الغرض معافين من شعائر العبادة والتقوى كالتفتش والزهد ونحو ذلك

مطلب

كون قوانينها
واحكامها جديدة
بالالتفات اليها

مطلب

بيان الغرض من
الطائفة السوعية
المتنص بها

(سنة ١٥٤٠)

مما هو صفة غيرهم من الاتقياء والعباد فهم وإن كانوا لا يحضرون الزفاف
والمحافل العامة ومواسم اللعب واللهو إلا أنهم كانوا لا يلتزمون تعذيب أنفسهم
بالانقطاع في التقشف والزهد ولا يضيعون غالب أوقاتهم في تسلوطة ادية
وصلوات فوجب السامة والضجر بل كانت وتليقهم الالتفات الى ما يحصل
في الدنيا وانتهاز كل فرصة لاحت لهم فيها ينحس الدين والبحث عن طباع الدول
واخلاق اهلهما والسعي فيما يستجلبهم اليهم ويحببهم فيهم ويؤخذ مما ذكرناه
أن الغرض من هذه الطاقة وكذلك قواتها واحكامها كان يلقى في اذهان
اربابها طرق الدسائس والتولع بالقتال لاجل الدين ويرهبهم في الحول
ويرغبهم في التظاهر بالبطش والصولة

وحيث كان غرض هذه الطاقة مباداة الغرض ما عداها من الطوائف
القسيمية كل المبانية كانت ايضا مغايرة لغيرها من تلك الطوائف في كيفية
حكومتها وادارتها وذلك أن الطوائف الاخرى كانت اشبه بجمعيات اختيارية
اي مجموعة بمحض اختيارها وادارتها وكان كل ما يخص مجموع الطاقة يعمل
بمقتضى رأى جميع اربابها وكانت قوة النفوذ من خصائص رؤساء الادبار
والطوائف واما قوة تقنين القوانين فكانت منوطة باهل الجمعية عموما وكانت
ادارة المصالح المهمة المتعلقة بالادبار الخصوصية مختصة بجمعيات القسوس
الموجودة بتلك الادبار بمعنى أن كل جمعية قسيمية وجدت بدير تكون منوطة
بادارة مصالحه بخلاف المصالح المتعلقة بعموم الادبار فان ادارتها كانت منوطة
بالجمعيات القسيمية كلها * واما لوائولة فكانت لخدمته في العسكرية
ومكثه فيها مدة قد تقود على طاعة الرؤس للرئيس واتقياد التابع للمتبع
فاراد أن يجعل حكومة طاقته مؤرخية محضة بمعنى أنه يكون عليها كلال
مطلق التصرف فيها ولما كانت رياسته على هذه الطاقة بانتخاب رسل العمال
وتولى هذا المنصب على أنه لا ينزع منه مدة حياته كان له الحكم المطلق على سائر
اربابها في جميع الاحوال فكان يولى بنفسه جميع من يلزم لحكم اقاليم الطاقة
من القسوس وجميع ضباطها ويسوغ له أن يعزلهم كما ولاهم وكان مختصا

مطلب
مقايير اصولها
لغيرها لاسيافيا
يخص شوكه الرئيس

(سنة ١٤٤٠)

بادارة ايراد الطائفة واموالها يتصرف في ذلك كيف يشاء وكان ايضا مطلق
التصرف في ارباب طائفته بامرهم بما يشاء ويوجههم حيث يشاء وكان يجب
على ارباب تلك الطائفة أن لا تكون طاعتهم له في الظاهر قط بل كان يلزمهم
ايضا أن يرضوا عليه ما يحضر ببالهم وتتعلق به اراذلهم وأن يذعنوا لاحكامه
ويقبلوها كائنا صادرة عن عيسى عليه السلام فكانوا بالنظر لحكمه كآلة
يصدافع او كالطين يصدافع الفخار او كاجسام ميتة لا حراك فيها وقد انطبعت
هذه السياسة العجيبة في قلوب جميع ارباب تلك الطائفة حتى صار لهم قوة
خاصة بهم في سائر مشروعاتهم ولم يشاهد في التواريخ البشرية مثل هذا
التصرف المطلق لاي رهبان عاكفين في الاديار على صوامعهم ويجمعهم
ولا بين رجال منتشرين كالخرديين الملل
وكما كانت قوانين هذه الطائفة تجعل لرئيسها التصرف المطلق في اربابها كانت
تعيه على معرفة طباعهم وصفاتهم حق المعرفة وذلك أن كل انسان
اراد الدخول في هذه الطائفة كان يجب عليه أن يوضح عما في ضميره لرئيسها
او لخص آخر من طرفه وهو كناية عن اعترافه بخطايا وذنوبه وما تميل اليه
نفسه ولم يكن لاولية يكتب بذلك في معرفة مخفيات القلوب والاطلاع
على البواطن بل كان من قوانينه أن كل انسان من اعضاء طائفته يجب عليه
أن يلاحظ من دخل في خرقته في اقواله وافعاله فبذلك كان القديم جاسوسا
على الجديد يلتفت الى حركاته واطواره في سلوكه ويخبر الرئيس لاولية بكل
امر مهم اطلع عليه ولاجل أن يكون هذا الامتحان على غاية من الدقة
والتشديد كان يلزم من دخل في الطائفة أن يمكث في صبدأ امره مدة مستطيلة
وهو يخمد بالتدريج في سائر خدام الطائفة فاذا بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين
سنة قبلت منه المباشرة وعد من اعضاء الطائفة بهذه الطريقة كان الرؤساء
الاصاغر يعلمون حقيقة جماعاتهم ويعرفون استعدادهم ودرجتهم في المعارف
وبذلك كان لاولية في الطائفة كالروح في البدن يحركها كيف شاء ويعرف
بواطنهم ونظواهرهم فسهل عليه ادارتهم وكان يجب على رؤساء اقاليم طائفته

مطلب

الاسباب التي كانت
تعين لاولية حتى
الاعانة على اجراء
ذلك التصرف
المطلق

ورؤساء اديارها أن يرسلوا اليه في اوقات معلومة اعلامات وجرائد تتعلق بين
تحت رياستهم يمينون فيها تفصيلا كيفية سلوك كل انسان واخلاقه الذاتية
او المكتسبة واختياره بالامور والمصالح والخدعة التي تلاعبه ويلاعبها وكانت
هذه الجرائد كلها تحرر وتكتب بالترتيب وتقيد في دفاتر وتعرض على لواءه
فبذلك كان يمكنه في مدة يسيرة أن يطلع على امور الطائفة السوعية بتمامها
ويعرف صفات كل شخص من اعضائها واخلاقه ودرجته في المعارف
فيختبئ منهم من شاء ويقلده بالوظيفة التي يرى أنها اوفق بطبعه

وحيث كان غرض هذه الطائفة السعي في انتقاد المذبح وسلامة الارواح
على معتقدتهم كان لاربابها وظائف كثيرة في الامور الدينية * فجميع
انشاء طائفتهم عدوا تربية الاطفال وتعليمهم من اعظم وظائفهم ونسابقوا
الى حيازة مراتب النظار والمعلمين فكانوا لا يغفلون ابدا عن تعليم العامة وبعضوا
رسلا الى الجهات البعيدة لتنصير من لم يكن على دين المسيح واهذه الاسباب
تجذب الناس من تلك الطائفة وصار لها احزاب كثيرة تدافع عنها وتحميها وكان
رؤساؤها ينتهزون كل فرصة تعود عليهم وعلى طائفتهم بالنفع فعما قليل تكاثرت
اعضاء تلك الطائفة وصار لها شوكة قوية جدا وكلمة نافذة فتوذا خارجا
عن حد العادة وقبل انقضاء القرن السادس عشر كانوا معلمين للاطفال وقائمين
بتربيتهم في سائر الاقطار القساولية من بلاد الافرنج وكانوا قد صاروا معلمين
اعتراف عند اغلب الملوك وهي وظيفة مهمة جدا في كل دولة وفي كل زمان
حتى انها حقوق ووظيفة الوزير اذا كان الملك ضعيف الشوكة وكانوا انظارا على
اغلب الذوات والاعيان المعترين لعظم مقامهم ولقوة شوكتهم وشدة بأسهم
وكانت كلمتهم نافذة عند البابا وكان يأتمهم ويشق بهم كل الوفوق ويعتقد انهم اصدق
احزابه وامهرهم وانهم انصار دولته وكان لمهارة هذه الطائفة وسعيها وحيتها
تأني اليها القوائد بدون مشقة فكانوا يستميلون قلوب الناس بتعليم اطفالهم
وكان لهم في قلوب هؤلاء الاطفال موقع عظيم حتى يصيروا شيوخا وكان بايديهم
في عدة ازمان ادارة اعظم دواوين الممالك الافرنجية وكان لهم دخل في جميع

(سنة ۱۵۴۰)

مطلب
از زیادت ثروة الطائفة
اليسوعية

المصالح والدعائس والفتن وحيث كان رئيسهم يقف على حقيقة الواقع
والحوادث كان في وسعه أن يدير امور طائفته على وجه بديع محكم وكان يمكنه
بماله من اطلاق التصرف أن يتجز ما شاء من المشروعات
وكانت ثروة تلك الطائفة تزداد بازدياد شوكتها واما الفقر المشروط في الطوائف
الدينية فحاولت فيه وسعت في اهلاكه مستندة في ذلك لعدة وجوه فصار لها
اراض واسعة واملاك كبيرة في الممالك القانونية حتى صارت تضاهي غيرها
من الجمعيات ذات الثروة في العمارات العامة المتبعة والاملاك والامتعة
من منقولات وعقارات * وكان لها زيادة على الارباد الذي نشره فيه
غيرها من الطوائف القسسية ايراد يخصها وذلك انها العلة كرهها تريد نجاح
ارسالياتها بسهولة معيشة دعائها طلبت من ديوان رومة أن يأذن لها
في التجارة مع الملل التي تنصدي لتبصرها فاذن لهم في ذلك ولم تكن تلك المنزلة
لغيرها من الطوائف فصار لها في شرق بلاد الهند وغربها تجارة رابحة واسعة
وانشأت في جميع الممالك الاخرنجية مخازن ملائمتها بانواع البضائع وصارت
تبنيها مع الرواج والربح الزائد ولم تقصر على ذلك بل تأست بغيرها من الجمعيات
التجارية وجعلت تجدد بحال مستمرة لتجاراتها فقازت بهيابة اقليم واسع
خصب في جنوب امريكة على الاوض القارة ودار لها به رعايا كثيرة تتخذ
فيهم حكاما طلقا

مطلب
النتائج الشنيعة
التي ترتبت على هذه
الطائفة للبشرى

ولكن حصل للناس مضار كبيرة وحلت بهم مصائب كثيرة بسبب ما كان لهذه
الطائفة من قوة الشوكة والصلوة التي حازتها بالاسباب المذكورة وذلك
أن ما جرت عليه من الضبط في تربية اعضائها واصول قوانينها واحكامها
كان يوجب على كل فرد من افرادها أن يعد مصلحة اوجاق اليسوعية
من اهم المصالح والاغراض التي تؤثر على غيرها وترجع على ما عداها حتى انهم
كانوا يمتازون عن غيرهم بحجم لمصلحة طائفتهم وهذا يدل على مناهجهم
السياسية ويشعر بفراغ اصول قوانينهم وسلوكهم
وكما أن تلك الطائفة كانت تبحث عما يكون لها به نفوذ كلة عند الاعيان

(سنة ١٥٤٠)

المنازين بهلوا المقام اوجوة الشوكه رغبة في تشريفها ومصطفها كانت لرغبتها في استماله القلوب اليها والوفوق بها تلك مع الناس مسلک الملاطفة والمراعاة حتى نستوجب مودتهم ومحبتهم فيغضوا عن منالها ويتجاوزوا عما يصدر عنها من الامور الصعبة

ولما كان اقبال تلك الطاقة متنوعة فكل التوقف على شوكه البابات كانت لمراعاة مصطفها تدافع كل المدافعة عما يترتب عليه ازدياد شوكه البابات وامناء الديانات وفوقاتها على ما بقي من آثار الشوكه المدنية فجعلت لديران رومة في الحكم والقضاء تصرّفا مطلقا لم يسبق بمثله في اعصر الجاهلات السابقة على عهد البابات اولى العتق والكبر وايدت أن لا يكون نخرة القسوس دخل في الحكومة المدنية والتزمت أن تقاوم كل ملك او امير يخرج عن الدين القانوليقي ونشرت قانونا يبيع الكبار والفواحش ويؤدى الى قص كل ميثاق وعهد يجمع بين ملك ورجيته

ولما كانت شهرة هذه الطاقة وشوكتها ناشتتين عن قوة عزمها وعلو همها في المدافعة عن الكنيسة الرومانية وسمايتها من بدع المعتزلة وضلائلهم استولى الكبر على قلوبها حتى افضى بها الى أن التزمت أن تنسخ مذاهب المعتزلة وتعمو اثرها فلم تدع حيلة ولا وسيلة الا واستعملتها في تحصيل هذا الغرض وكانت لا ترى ما يراه ديوان رومة من ملوك طرق اللين والملاطفة مع المعتزلة بل كانت دائما تحترض القسوس والامراء على أن يسلكوا معهم مسلک التشديد والتثديد لا مسلک اللين والرفق

وقد تبعهم الرهبان ونسجوا على منوالهم في هذه الاصول والادهام المضرة بسعادة البشر وحسن نظام العالم لكنهم لاسباب غير خفية احترسوا في نشر هذه الاصول اكثر من اليسوعية فلم يتجسوا فيها مثلهم * ومن تأمل ما وقع في اوروبا منذ قرن من الوقائع والحوادث رأى أن طاقة اليسوعية هي السبب في اغلب المصائب والاهوال الناشئة عن فساد الاخلاق وضلائل القسوس وبدعهم التي اودت بشهرة الكنيسة الرومانية وافضت بها في ذلك

(سنة ١٥٤٠)

العصر الى الضياع وترتب عليها من المصائب والازايا ما اضرت بالجنس البشرى
وافسد نظامه

مطلب
القوات الداخلية التي
ترتبت على حدوث
هذه الطاقة

ولكن مع ما نشأ عن هذه الطاقة من المضار ينبغي الاعتراف بأنه قد عُد منها
على الجنس البشرى منافع كثيرة وذلك أنها كانت تعدّ تربية الاطفال
من الاغراض المهمة ولما شرعت في انشاء مدارس للتعليم عارضتها في ذلك
الجامع العلمية من عدة محالّك من بلاد الاخرى فرأت أنه يجب عليها بذل جهدها
حتى تحوز نصب السبق في ميدان العلوم والمعارف وتتفوق اخصائها الذين
عارضوها وتستميل قلوب العالم اليها فشرعت عن ساعد الجهد والاجتهاد في عمارة
العلوم الادبية القديمة واخترعت عدة طرق في تسهيل التعليم على الاطفال
ونجحت في سعيها حتى كان لها مدخلية عظيمة في اتساع دائرة الفنون المستخرقة
فالفضل لها على الناس في هذا المعنى ولم يكن نجاحها مقصورا على تعليم اصول
العلوم الادبية بل خرج منها اساتذة ماهرون وعلماء ناجبون في عدة علوم
مختلفة ولا مانع أن يقال انه قد خرج من هذه الطاقة من كبار المؤلفين البارعين
اكثر من خرج من غيرها من سائر الطوائف الدينية

مطلب
نفع اليسوعية
خصوصا في اقليم
براغة

وقد ظهر اليسوعية ببلاد امریقة مظهر اغريب في العلوم والمعارف وسلکوا
احسن المسالك في فتح الجنس البشرى وذلك أن الذين تغلبوا على هذه البلاد
وفتحوها لم تكن آمالهم متعلقة الا بسلب اهلها ونهب سكانها واسرهم
وتدميرهم واماطة اليسوعية فانها استوطنت بها قصد فتح اهلها وذلك
انه في اوائل القرن الاخير اذن لها بالدخول في اقليم براغة الممتد في جنوب
امریقة في الارض القارية من داخل جبال پوتوزی الى السزلات
الاسبانيولية والبورغالية التي على شواطئ نهر بلاطة فلما دخلت هذا
الاقليم وجدت اهلها على اصل القطرة التي يكون عليها الناس قبل الاخذ
في التأسس والانضمام الي بعضهم فلم يكونوا يعرفون شيأ من العلوم والفنون
بل كانوا يقتلون من صيد البر والبحر ولا يكادون يعرفون مبادئ الضبط والربط
وما يكون به نظام الجماعات فالعزم اليسوعية بتعليم هؤلاء المتوحشين

(سنة ١٥٤٠)

وتأنيبهم فعلوهم زراعة الارض وتربية الحيوانات الاهلية واتخاذ
المساكن

والزموهم بالانضمام الى بعضهم والاجتماع في القرى والبلدان وعلوهم الحرف
والصنائع وطبعوا في قلوبهم لذة الاتئناس والاجتماع واذاقوهم طعم الراحة
التي تنشأ عن الامن وحسن النظام فصار هؤلاء الناس رعية لمن احسنوا اليهم
واخرجوهم من حيز التبرير الى حيز التمدن وكان اليسوعية يحكمونهم
مع الشفقة والرأفة ويعاملونهم معاملة الوالد لولده ولما كانوا محترمين اعزاء
محبوبين كانت شردمة قليلة منهم تحكم على آلاف من هنود امريقة وكان
الناس عندهم في تلك الجمعية الكبيرة على حد سواء فكان يجب على كل واحد
من الطائفة أن لا يشتغل بنفع انسان مخصوص بل يشتغل بنفع اهل الجمعية
عموما وكانت محمولات الغيطان وفوائد الصنائع توضع في مخازن عامة
ويعطى منها لكل انسان ما يلزم له ولما كانت قوانين حكومتهم واصولها بهذه
المثابة كانت منزهة عن الاغراض التي تضر براحة الجمعيات ويسوؤها
حال العباد وكان هنالك احكام ينتخبهم الهنود وينيطونهم بحفظ الامن وبقاء
الطمأنينة بين الناس وبالعامل بمقتضى القوانين المقررة ولم يكونوا يعرفون
العقاب بالقتل وان كان كثير اشاعا في سائر الملل وانما كان العقاب عندهم كتابة
عن توبيخ او تعزير يوجهه احد اليسوعية الى من ارتكب جسيمة فوجب له ذلك
او يفضح الجاني فضيحة خفيفة فان كان الذنب جسيما ضرب بعض سياط فكان
ذلك كافيا في تربية هؤلاء الناس وانتظامهم وحفظ الضبط والربط بينهم

ولكن مع ما بذلته طائفة اليسوعية من الجهد في قمع الجنس البشري نقول انك
اذا التفت الى كيفية سعيهم رأيت من اول وهلة أن هذه الطائفة لها في ذلك
ما رتب سياسية لا تخفى على النبيه فانها كانت تسعى في أن تجعل اقليم
براغ حكمة مستقلة لا تخرج عنها وتكون جيدة القوانين والاصول
بحيث يترتب عليها اتساع دائرة حكمها واتسار احكامها في جميع البلدان
التي يجنوب امريقة وانضم الى هذا الغرض غرض آخر وهي انها كانت

مطلب
ما رتبها السياسية
المبنية على الطمع

(سنة ١٥٤٠)

تريد منع القبائل الاسبانيولية والبورقالية التي كانت نازلة بتلك الجهة عن أن يكون لها ادى مصلة على اهل البلاد التي كانت تحت حكم اليسوعية فلهذا الغرض جعلت تفرس في قلوب الهنود بغضة الاسبانول والبورقغال ومنعت أن يكون بين اهل براغة وهاتين القبيلتين مخالطة وتجارة فنعث أن يدخل هذا الاقليم احد من التجار الاسبانيولية والبورقالية وكان اذا اتى اليارسول من الممالك الاجنبية لغرض من الاعراض وادخلته في بلادها لا تأذن له بالكلام مع الهنود وكانت ايضا لا تأذن لاحد من الهنود بالدخول في البيت الذي به الاجانب الا بحضور انسان من اليسوعية وكانت لهذا الغرض ايضا تحاذرهما مكن أن تعلم الهنود اللغة الاسبانيولية او غيرها من اللغات الافريقية وانما كان دأبها أنها اذا مدت طاقة اوقبيلة ادخلت عندها فرعا من اللغة الالهية وكانت تبذل جهدها في نشر هذا الفرع في جميع البلاد الداخلة تحت حكمها

ولما كان مثل هذه الاحتراسات لا يكتفي بمجرده في تأييد دولتها وبقاء حكومتها بل لابد لذلك ايضا من قوى عسكرية علت رعاياها فن الحرب على حسب الاصول الافريقية وجددت الايات من الفرسان والمشاة وسلحتها بالسلحة جيدة واحكمت سياستها وضبطها وربطها واعتدت عندها مقدارا جسيما من الاسلحة والمهمات الحربية وانشأت لها ترسختات ومخازن فيها الوجه رتب جيشا يعتمله كبيرا مهولا بالنظر لتلك البلاد حيث كانت بها قوى عساكر الاسبانول والبورقغال العسكرية عبارة عن بعض اورط خالية عن الضبط والربط ولا معرفة لها بشئ العسكرية كما ينبغي

نعم ان الطاقة اليسوعية لم يحصل لها تقدم على عهد الإمبراطور شريكان ولم تتم شوكتها فمما اظهره اوزلك أنه لنباهته وقظنته ادرك مقاصدها وما يترتب عليها فغناها من أن تسع دائرتها وضيق عليها كل التضيق ولكن لما كان انشاؤها في العصر الذي هو موضوع تاريخنا وكان اهل العصر المتصورون بتأليف هذا التاريخ قد شاهدوا اضمحلال هذه الطاقة وزوالها لمر بأسا

مطلب

الاسباب التي دعت

المؤلف الى بسط

الكلام على حكومة

الطاقة اليسوعية

وعلى تقدمها

(سنة ١٥٤٠)

بإيراد قوانينها وأصولها وأحكامها ولا يبعد ذلك من باب الاقتضاب المحض المؤدى لاسامة الواقع على هذا الكتاب لاسيما وهناك سبب آخر خصوصي دعا إلى التكلم على هذه الطاقة بغاية التدقيق وهو أن الأفرنج وإن كانوا قد تمكنوا قرنين وهم يلاحظون شوكة هذه الطاقة وشدة طمعها ولحقهم منها مضار عديدة لم يمكنهم أن يتفخوا على حقيقة أساليبها ولم يكن لهم معرفة بالقوانين القرية التي كانت تمتاز بها سياسة هذه الطاقة وأصول أحكامها مع أن هذه القوانين كانت أصلا ملل أهلها إلى الطمع والدسائس التي اختصت بها تلك الطاقة ونشأ عنها ازدياد شوكتها وذلك أنه كان من جملة أصول اليسوعية أنه لا ينبغي إشاعة قوانين طاقتهم فكانت محجوبة عن الناس كأنها سر مكنون وكانت لا تطلع الأجانب عليها أصلا بل كان عامة الطاقة لا يعرفون سرها ولما طلبت منها المحاكم الإطلاع على هذه الأصول امتنعت من إجابتها لذلك فانظر هذا الخطا القريب الواقع من الملوك وأهل السياسة في ذلك العصر حيث رخصوا هذه الطاقة أن تستوطن في عدة بلاد مع تصميمها على إخفاء أحكامها وقوانينها مع أن ذلك يكتفي مستقدا في طردها من تلك البلاد وإبلاغها عنها ولما طردت من بلاد البورثغال وبلاد فرنسا أظهرت كتبها فتنبأ على أسرار أحكامها وقوانينها فبذلك علمت أصول حكومتها وعرف أصل شوكتها على ما ينبغي بعد أن كان يستحيل الوقوف عليه

وحيث ينما ترتب على قوانين الطاقة اليسوعية وأصول أحكامها من المضار وسلكنا في ذلك من طرق القرية وعدم التعامل ما يليق بالمؤرخين وجب علينا بمقتضى الصدق والانصاف الذي هو شرط في مؤرخ أن نتبه على أنه لم يحصل في الكنيسة الرومانية أن طائفة من الطوائف القيسية امتازت بدمائه الأخلاق وتهذيبها أكثر من هذه الطاقة فأنها وإن كانت أصولها وأحكامها مبنية على ما رُب سياسية منشأها الطمع والنشره فلا مانع من أنها كانت تؤثر في عقول حكامها بل وتفسد قلوب بعض أفراد منهم وتفضو بهم إلى سلوك ما لا يستحسن إلا أن معظمهم كان ما بين مشغول بالأدب

(سنة ١٥٤٠)

ومقلد بالوظائف الدينية فيتبع من الاصول والاحكام ما يمتنع للانسان عادة من ارتكاب القواحيش والآثام ويحمله على سلوك طرق الفضائل والاهمال الصالحة ولا شيء آخرى بالصفات العاروف المتولع بمعرفة وقائع النوع الانساني وحوادثه من الاسباب التي ترتب عليها انقراض هذه الطائفة الشديدة البأس ولا من العوائب التي ترتبت على انقراضها ببلاد اوروبا غير أنه لا حاجة الى ذكر هذه الحوادث لانها وقعت في عصر متقدم بكثير على العصر الذي هو موضوع تاريخنا

مطلب —

مصالح المانيا

ولما اصبح الامبراطور حال مملكة البلاد الواطية وسكن قتها لزمه أن يلتفت عقب ذلك الى مصالح بلاد المانيا وذلك أن المعتزلة كانوا يلحون عليه أن يأمر بعقد المذاكرة التي كان قد وقع الاتفاق على أن يعقدها بعض افراد من علماء اللاهوت ينخبهم الفريقان بأن يكون بعضهم من طرف المعتزلة وبعضهم من طرف الكنيسة وكان هذا الامر من جملة الشروط المقررة في المشاورة المنعقدة بمدينة فرنكفورت ولما كان الغرض من هذه المذاكرة اتمام البحث والمناظرة في المسائل الخلافية والحكم في شأنها بما يستنسب وكان البابا يدعي أنه الحق في أن يكون هو الحكم المتصرف في هذه المادة رأى أن احالتها على غيره من باب الانتباه وعدم الانصاف لاسيما وكان يجزم بأن المذاكرة ان لم تحكم في هذا المعنى بشئ فلا فائدة فيها والا كانت خطرة عليه ومضرة به فلم يأل جهدا في تعطيلها ومنع انعقادها ولكن كان الامبراطور اذذاك يرى أن مصلحة في استمالة قلوب اهل المانيا اليه اعظم منها في مراعاة خاطر البابا فلم يلتفت الى قوله بل صمم على عقدها فانهقدت مشورة الديينة بمدينة هاغونو وجمع اربابها المواد التي تكون موضوع المفاوضة والمذاكرة ثم انعقدت بعد ذلك بمدينة ورمس ووقعت فيها المذاكرتين علماء الفريقين وكان المتصدرون علماء المعتزلة ميلنختون ومن علماء القاوليكية ايكبوس فانهقدت بينهما المناظرة وجالا في ميدان الحساسة كثيرا الا أنهم لم يحكموا في تلك المادة بشئ فصدرا من الامبراطور بابطال هذه المذاكرة لانه اراد أن تعقد

مطلب —

المذاكرة التي حصلت

بين علماء اللاهوت

القاوليكية وعلماء

المعتزلة

ثانياً بحضوره فجمع لذلك مشورة الديانة بمدينة رانسبونة ووقعت
المذاكرة ثانياً في مجلس حافل حتى حزم الناس بأن هذه المذاكرة يقع فيها نزاع
شديد وجدال كبير ويصل فيما كل اشكال ويظهر الحق ويتضح الحمال وقوض
كل من الفريقين للإمبراطور أن ينتخب ارباب المذاكرة بنفسه فعوضاً
عن أن تكون تلك المذاكرة على صورة منازعة عامة وقع الاتفاق على أن يبحث
بالتي هي احسن في المواد التي كانت سبباً في الخلاف بين الفريقين فعين
الإمبراطور من حزب القانونيين ثلاثة وهم ابيكيوس و غروير و بفلوغ
ومنهم من حزب المعتزلة وهم ميلختون و بوسير و بستيوس وكان
كل من هؤلاء الستة مشهوراً في طاقته وكانوا جميعاً ممتازين بلطف الاخلاق
والميل الى الصلح ماعدا ابيكيوس فلما اقتضوا المذاكرة قدم الإمبراطور
اليهم كتاباً ذكر لهم أنه تأليف رجل من علماء اللاهوت من مملكة البلاد الواطية
وأه وأرقى العبارة حسن التركيب بحيث يمكن بواسطته الاصلاح بين الفريقين
وقد ظن بعض الناس فيما بعد أن هذا الكتاب تأليف غروير احد الستة
الذين انتخبهم الإمبراطور فانه زيادة على فطنته وحذقه كان له اطلاع واسع
وباع طويل في العلوم والمعارف وكان الكتاب المذكور مشتملاً على اثنتين
وعشرين مادة من مواد اللاهوت وكان معظم المسائل الواقعة فيها الخلاف
بين حزب المعتزلة والكنيسة الرومانية متدرجاً في تلك المواد وكان غرض
مؤلفه بتأليفه هو أن يهدي آراءه ويرتبها ترتيباً طبيعياً ويفصح عنها بعبارات
سهلة عذبة لم يخرج فيها عن الفاظ الكتاب المقدس او الفاظ الحوارين
وأن يلطف بعض العقائد ويحسنها ويحذر منها ما كان غير معقول وأن يصلح
بين الفريقين بتسليمه في بعض المسائل لحزب الكنيسة وفي بعضها لحزب المعتزلة
واعتنى حسب الامكان بالمحاولة في اجتناب عبارات المدارس والفاظ الجدال
التي هي علامات تميز احداً من الفريقين من الآخر وكان في الغالب يترتب عليها بين
علماء اللاهوت نزاع وجدال اعظم مما يترتب على نفس العقائد والا آراء بالجله
فكان تأليف هذا الكتاب على وجه مخصوص بحيث يؤمل الواقف عليه أنه

(سنة ١٥٤١)

مطلب
عدم شغل تلك المذاكرة

ينبغي في الإصلاح بين الفريقين وفي قطع المنازعات الدينية من بين الطائفتين ولكن **كان** لاهل ذلك العصر في الجادات اللاهوتية والمهاورات الدينية تشديد مفرط وتدقيق زائد بحيث لا يمكن خداعهم بأي حيلة كانت **وكانت** مدة المذاكرة قد طالت واستدغم الجدل والنزاع فاغتناط كل من الفريقين وتفر وتكبر حتى تعذر الاصلاح بينهما فاما القساووليقية لاسيما قسوسهم الذين كانوا من ارباب مشورة الديانة فحكموا بطلان كتاب غروير المتقدم ذكره متعللين بأنه مؤيد لمذاهب لوتير وزعموا أن مؤلفه ليس الامن الروافض حيث اراد ادخال عقائده الزائفة في عقول الناس بهذه الحيلة الخطرة واما المعتزلة لاسيما لوتير ونصيره الامير منتخب سكس فلشدتهم وصعوبتهم ابدوا أنه يجب بهذا الكتاب ظهور باقاتين انه ذنب به قد جمع بين الحق والباطل واتما وضعه مؤلفه لفش كل خامل ضعيف وكل ذي عقل خفيف ومع ذلك فالعلماء الذين انبطوا بتحقيق ما فيه امتنعوه مع الدقة والتؤدة وكان يهون على كنيسة رومة ولا تقدم من العار أن تسلم في تغيير بعض العقائد النظرية التي **كان** النزاع فيما قل أن يخرج عن مجالس المدارس وعلى فرض خروجه عنها واتساره بين العامة لم يكن فيه شيء مما يوجب لهم الهج أو يؤثر في نفوسهم فلذا لم يتوقف القساووليقية في التسليم فيما يخص هذه المادة بل ورضوا أن يسلموا في مادة أخرى مهمة وهي مسألة برامة الناس ولكن لما وقعت المناوضة في مادة الاحكام والقناوأي التي تضر بمصالح الكنيسة الرومانية وتجر الى ضعف شوكتها اوالى خدش الرسوم الجارية في التعبد والديانة وكان اذا حصل فيما تغيير يتشر بين الانام ويكون معلوما للخاص والعام دقق القساووليقية في هذا المعنى كل التدقيق ولم يتساهلوا في شيء من ذلك اصلا لانهم كانوا يرون أن ابطال هذه الرسوم القديمة يترتب عليه ضياع شرف الكنيسة الرومانية واحترامها ويختص علميا منه فكل ما يخص شوكة البابا وصولة الجمعيات القسيسية وصيغة اداء القدوس والصلاة وما اشبه ذلك كان غير قابل للتغيير والتبديل حتى انه بعد بذل غاية الجهد في الاصلاح بين الفريقين في شأن هذه المواد جزم الإمبراطور

(سنة ١٥٤١)

٢٨ من شهر تاموز

مطلب

اتفاق مشورة الديانة

المنهقدة بمدينة

راتبون على عقد

جمعية قيسية عامة

مطلب

غضب المعتزلة

والتأويلية بما حكمت

به مشورة الديانة

مطلب

سعى الإمبراطور

شريكاً في استالة

قلوب المعتزلة ورضاء

خاطرهم

بأن سعيه لا ثمرة فيه ولا طائل تحته غير أنه لما كان يود انتهاء مشورة الديانة على وجه السرعة بذل وسعه حتى احتال بجهود أعضائها إلى قبول الأمر الآتي وهو أن المواد التي اتفق عليها العلماء في المذاكرة تعتبر كأنها منبثة وصارت على خلاف فيه بحيث لا يجوز لأحد من الفريقين نقضها وأما المسائل التي اختلفوا فيها فتوقف حتى تعقد لها جمعية قيسية عامة فإن منع من انعقادها مانع انعقد لأجلها جمعية ملية ببلاد ألمانيا فإن تعذرت هذه الجمعية أيضاً انعقدت مشورة الديانة الإمبراطورية قبل مضي ثمانية عشر شهراً لتبث أمرها وتنتهي موجبات الشقاق بين المعتزلة والكنيسة الرومانية وإن الإمبراطور يذلل مجهوده في حل البابا على عقد جمعية قيسية أو ملية وأنه قبل انعقادها لا يجوز تغيير شيء ولا تبديله ولا الإقدام على ما يترتب عليه فكثير حزن المعتزلة وأنه لا يسوغ التعدي بأى وجه كان على إيراد الكنيسة ولا على محمولات الأديار والقصور

وكل أعمال هذه المشورة وما حكمت به في هذا المعنى أغضب البابا كل الغضب وذلك أن أهل ألمانيا لما اتخضوا بأنفسهم أفراداً من علمائهم اللاهوتية ليبحثوا المسائل الخلافية ويحكموا في شأنها حكماً بنيائهم للبابا أن ذلك محض اقتيات على حقوقه واغتناظ منهم أيضاً حيث طلبوا أن يانعقد جمعية ملية فرأى أن ذلك خروج عن الطاعة لتقدم طلب ذلك مراراً عديدة وعدم اجابتهم وإقرارهم عليه كما فعله أسلافه من البابا ب ولما انقضى الرأي على عقد مشورة الديانة وأن أربابها يكون معظمهم من الألييك ويكون لها الحق في أن تحكم حكماً قنياً في شأن المواد الدينية غضب التأويلية ورأوا ذلك كفراً أجمع من الالحاد والاعتزال الذي كانوا يذنون جهدهم في نسفه وإزالته وغضب المعتزلة أيضاً حيث حكم عليهم بحكم فيه تضيق على حرياتهم التي كانوا يتمتعون بها إلى ذلك الوقت وتطلوا من هذا الحكم كل التظلم حتى أن الإمبراطور لتقصد إزالة هذا الغضب من قلوبهم ومنع ما يترتب عليه للإمبراطورية من الضرر فزاد لهم فرماً مخصوصاً يتضمن معافاتهم من كل شيء أساءهم أو رآه من باب

(سنة ١٥٤١)

مطلب

مصالح بلاد الجمار

الظلم والاحجاف بهم مما تضمنه فرمان الديتة وانتم عليهم في هذا فرمان
 بتقررهم باستمرار التمتع بللزيا والخصايس التي كانت لهم ومثل هذا الحلم
 من الإمبراطور بعد غريباً إلا أنه كان مجبوراً على ذلك حسبما اقتضته الاحوال
 اذ ذلك وذلك أنه كان يرى أنه مما تليل لابتد من وقوع الحرب بينه وبين مملكة
 فرانساً فبناء على ذلك لا يليق به أن يغضب المعتزلة لانهم رما جصوا الى ملك
 فرانساً وتحالفوا معه واتخذوه عوناً وظهيراً كما وقع منهم مثل ذلك سابقاً
 وهناك سبب اقوى من هذا في مراعاة الإمبراطور للمعتزلة وهو أن جيوش
 الدولة العثمانية كانت في ظفر عظيم ببلاد الجمار وكان قد حصل في هذه
 المملكة فتنة كبيرة وذلك أن حنازا بولس بوس صاحب بلاد الجمار كان
 قد اختار كما تقدم أن تكون مملكته خراجية ولا يحرم من المنصب الملوكي فكان
 يدفع الخراج والجزية للدولة العثمانية وكان السلطان سليمان نصيراه
 فباعانه هذا السلطان الشديد البطش اخذ من الملك فردينند جرأ عظيم
 من بلاد الجمار ولم يترك له فيها الا شيئا واهية ولكن كان حنا المذكور يميل
 بالطبع الى الصلح فحصل له حيرة عظيمة من اغارات فردينند وقتن المفرضين له
 ببلاد الجمار وكان غرض فردينند من هذه الاغارات استرجاع ما اخذ منه
 في تلك البلاد وكان حنا ايضا في غم شديد من كونه يرى نفسه أنه مضطر الى
 الاستعانة بالدولة العثمانية وأنه معدود من اتباعها الا من معاهديه او في الواقع
 كانت تلك الدولة معه بهذه المنابة ولما كان يميل الى الصلح بطبعه كما ذكرنا
 اتفق سرّاً مع خصمه فردينند على أنه يبقى مدة حياته ملكاً في بلاد الجمار
 وأنه يتمتع بما هو تحت يده منها وبعد موته ترجع المملكة تمامها الى الملك فردينند
 المذكور وكان قصد حنا بذلك أن يريح نفسه من تعب الحرب ويتمتع بمطالعة
 القنون ويحظى بالمسرّات المستحسنة المألوفة للنفس وكان يومئذ غير متأهل
 مع كونه قد طعن في السن فترح فردينند بهذه الشروط وقبلها منه ولكن
 بعد ذلك قليل اتفق اشراف تلك المملكة مع بعضهم على منع وقوع مملكتهم
 تحت يد ملك اجنبي وحلوا الملك حنا على التزوج بالاميرة ابراهيم بنت

(سنة ١٥٥٥)

(سنة ١٥٤١)

مطلب
موت ملك الجار

صحبهم ملك بلاد له فبات بعد أن تزوجها بسنة واعتب منها ولدا يرثه في المملكة وجعله ولي عهده ولم يلتفت الى المشاركة المتعقدة بينه وبين الملك فرديند بلزمه بسلطاتها حيث حدث مانع لم يكن موجودا حين عقد هاتوا اتفاقا بكفالة ابنه ونيابة الملكة كلاً من زوجته الملكة ايراييلة والخبر جورجي مارتينوزي اسقف وردين فكانا وصيين عليه وباع اغلب الملة هذا الطفل واقره على الملوكية وسماه اسطفان باسم من اسس هذه المملكة

ومع مالحق فرديند من الورطة والخيبة بسبب هذه الحادثة التي طرأت بغتة ايت نفسه أن يترك تلك المملكة حيث كان له حق فيما يجوبج الاتفاق الواقع بينه وبين حنا فبعث رسلا من طرفه الى الملكة ايراييلة يطلب منها تسليم المملكة وعرض على اقليم ترانسولانيا وهو الارذل لتكثبه هي وابنها وتأهب لتأيد حقوقه بالحرب والقتال ولكن كانت هذه المملكة ذات حزم قوى وكذلك الاسقف جورجي مارتينوزي فكان يجمل عزيمتهما عن التسليم في التاج مع السهولة فكان عندهما من الوسائط ما يلزم لحمايته والمدافعة عنه اتم المدافعة فاما الملكة فكان لها زيادة على الظنة والسياسة اللاذعة بالنساء عزم قوى وطمع شديد مع الثعم وعلو النفس واما جورجي مارتينوزي فكان قدر اتقى بمعارفه من الخسيس الى اوج المعالي بمجازاة من نصب الاسقفية وكان من غول الرجال الذين هم لغزارة معارفهم واتساع دائرة اطلاعهم لهم اقتدار على تمييز كل امرهم وازالة كل خطب ملم في اوقات التعكرات والفتن وكان من حيث وظيفته الدينية يظهر التواضع والتقوى ويراعى شعائر الزهد والتشرف واما في ادارة مصالح الدولة فكانت له دقة بحجية ونشاط وقوة جنائ غريبة فكان في مدة الحرب يخلع ثوب القسوس ويركب جواده ويتسلح بالسكاكيت والقرس يده ويرز في الميدان مع اثبات والمهارة التي لاتعلوها مهارة احد من ابناء وطنه ومع اطواره واحواله المختلفة التي كان يستريحها كان يظهر عليه أنه له رغبة عظيمة في الحكم والامتلاء وكان جوابه لفرديند في هذا المعنى يفهم قبل وصوله بطريق الخدس والتخمين فعما قليل ايقن

مطلب
سعى فرديند في اخذ
تاج ملكة الجار

مطلب
بيان طمع جورجي
مارتينوزي وصولته

(سنة ١٥٤١)

فريدند انه لا يمكنه التغلب على تاج مملكة الجمار الا بالسلاح فجمع طائفة كبيرة من عساكر المانيا وانضم اليها الحزاب مع اتباعهم فصاروا بذلك جيشا واجهه الى البلاد التي خرجت عن طاعته وانضمت الى حرب اسطغان من مملكة الجمار فلما رأى الاسقف مارتنوزى أنه لا قدرة له على مقاومة جيش فريدند في حرب الصف وهو أن تصف عساكر كل من الفريقين أمام عساكر الاخر اقتصر على تحصين المدائن والقلاع لاسيما مدينة بودة وتعرف نيودين فانه اهم تحصينها بجميع ما يلزم وبعث رسلا الى السلطان سليمان يترجاه في اعانة الابن كما كان يعين الاب ويمكنه من كرسى مملكته وبذل فريدند جهده في تعطيل المداولة التي حصلت في هذا الشأن بين الاسقف مارتنوزى والسلطان سليمان بل وعرض على السلطان أن يستلم منه مملكة الجمار ويلتزم بجميع ما كان يؤديه الملك حنا للدولة العثمانية ويدفع الجزية مثله ولكن رأى السلطان أن مصلحته انما هي في اعانة ابن الملك حنا فوعده بالاعانة والامداد ووجه جيشا الى بلاد الجمار ثم اردفه بجيش آخر حصبه بنفسه واماهل المانيا فظنوا أنهم ان اخذوا المدينة التي بها المملكة ايرانية وانها يقضى الحرب وتكون النصر لهم فحاصروا مدينة بودين وكان الاسقف مارتنوزى قد جمع فيها جميع عساكر اشراف الجمار فدافع عنها حتى المدافعة وثبت أمام العدو مع الشجاعة العجيبة والمهارة الغريبة حتى وصلت اليه جنود الاسلام وقامت بنصره وذلك أنه بمجرد وصولها اليه حلت على جيش المانيا وكان قد قوت هتته بمالحقه من التعب والنصب وقتل عدده بمن هرب اومات بالامراض فهزمته الجيوش الاسلامية وأبادته عن آخره

مطلبه
استعانت به بالاسلام

مطلبه
مافعله السلطان
سليمان مما لا يليق
بالمولوك

وعما قيل لحق السلطان سليمان جنوده بالجيش الثاني فوجدها منصورة مؤيدة وكان قد ستم من المدافعة عن بلاد لا تنسب اليه او اعتد بتلك الفرصة التي لاحقت له فجمعهم على اخذ هذه المملكة واستهل ذلك حيث كانت تحت يد طفل وصيه امرأه وقسيس لا اقتدار لهما على مقاومة جنوده الكثيرة فداخله

(سنة ١٥٤١)

الاتحاد والاطمئنان ولم يراع ما يعتد في الدول من شعار المروءة وشرف العرض فسلكت
مسلك الخديعة والتخيل ليخبر هذا الامر الذي مجر دخطوره بالبال يخدش
سياسة عرض الانسان وذلك انه دعا الملكة ارياسيلة الى الحضور بمعسكره
صحبة ابنتها مظهر التثوق الى رؤيته ودعا ايضا اعيان مملكة الحجار واكابر
اشرافها الى الحضور عندهم لوسم يريده فبينما كانت الملكة واكابر دولتها
يلهون ويلعبون مع الامن والطمانية اذ نزلت سرية من جنود السلطان
وتغلبت على احد ابواب مدينة بودين وبعد ان استولى بهذه الحيلة على
تحت المملكة وقبض على الملك وامه واعيان الاشراف ارسل الملكة وابنتها
الى اقليم الاردل وكان قد عينه لهما وولى باشا من طرفه وجعل دار اقامته
مدينة بودين وتركه عنده جيشا عظيما فهذا الوجه انضمت مملكة الحجار
الى الدولة العثمانية ولم يربح لحال المملكة وهي تبكي وتتضرع اليه وكان الاسقف
مارتينوزي ضعيف الشوكه لا يمكنه مخالفة ارادة السلطان ومع ذلك بذل
جهده في تقوية عزمه عليه فلم يجد ذلك نفعا
وقبل أن يصل الخبر الى فرديند بهذا الظلم كان قد بعث الى السلطان سليمان
رسلا يعرضون عليه الالتزام بحقوقه في مملكة الحجار وما كان عرضه عليه
اولا من أن السلطان يعطيه هذه المملكة وهو يدفع له الجزية في كل سنة
فرد السلطان رسله خائبين ولم يقبل منهم صرفا ولا عدلا بل اظهر أنه لا يدع الحرب
الا اذا سلم اليه فرديند حالا جميع المدائن التي كانت تابعة له بتلك المملكة
ورضى بتقرير مقدار معلوم على الاوستريا في نظير المصاريف الجسمية التي
صرقتها الدولة العثمانية في المدافعة عن مملكة الحجار لان السبب في ضياع تلك
المصاريف انما هو اغارة فرديند على تلك المملكة
هكذا كانت حالة المصالح في بلاد الحجار وحيث ان هذه الحوادث المشؤمة
كانت قد حصلت قبل انعقاد مشورة الديتة بمدينة راتسبوتة
وكانت تخشى عواقبها رأى الامبراطور أنه ان فعل مع المعتزلة ما يوجب غضبهم
في ذلك الوقت قد عترض نفسه الى الخطر حيث كان يرى أن مثل هذا السلطان

مطلب —
ما عرضه فرديند
على السلطان

• (المقالة السادسة) •
(تاريخ الاميراطور شرلكان)

١٥١

(سنة ١٥٤١)

الشديد البطش مستعذلتش القارة على الاميراطورية وكان يعلم أنه لا يؤمل من المعتزلة اعانة في استرجاع بلاد البحار من ايدي الاسلام ولا مدافعة عن ضواحي الاوستريا الا اذا ادهنهم واجابهم الى مطلوبهم ولم يبلغ قصده منهم الا بعد الاقطاعات والمزايا التي اتفقهم بها وقد تقدم الكلام على ذلك فتعهد المعتزلة أن يعينوه في حربه مع الدولة العثمانية ككل الاعانة ويمدوه بمدد عظيم من الرجال والاموال فأمن الاميراطور واطمأنت نفسه وصار لا يخشى على بلاد المانيا من حصول حرب بينه وبين اعدائه

مطلب
سفر الاميراطور الى
ابطاليا

وبعبر داقضا مشورة الديانة سافر الاميراطور الى بلاد ايطاليا ولما مر في سيره بمدينة لوكا اجتمع فيها بالبابا ومكثا معا مدة قليلة وهما يتذاكران فيما يصلح من الوسائط لانهاء المنازعات الدينية التي كانت تعكر بلاد المانيا ولكن لم يقع الاتفاق بينهما على شيء حيث كانت آرائهما ومصالحهما في هذا المعنى متباينة كل التباين وقد سعى البابا في قطع اسباب التناقم الذي كان بين شرلكان والملك فرنسيس وبذل جهده في ازالة العداوة والبغضاء من بينهما لانه كان يخشى أن يترتب على ذلك حرب مهول في بلاد اوروبا لكن كان سعيه في ذلك سدى

مطلب
اغارته على بلاد
الجزائر والاسباب
التي دعت به الى ذلك

وكان الاميراطور مشغولا بما كان عزم عليه من شن القارة على بلاد الجزائر فلم يلتفت الى ما عرضه عليه البابا في شأن الصلح مع فرنسيس بل عمل بالرجل ليلحق دونما وجهته

وكانت بلاد الجزائر بالمغرب انذاك لم تزل من عهد بربروس تحت حكم الدولة العثمانية ولما تولى بربروس قبطان باشا على دولتنا الدولة العلية تولى حكم الجزائر حسن اغا الطواشي وكان في الاصل نصرايانا مسلم وخدم في البحرية عند اهل الجزائر في سفنهم التي كانت صالحة في البحر وارتقى الى سائر الرتب بالتدريج صار في فن الحرب بكان من المهارة والتجربة حتى كان يصلح لأن يناط بوظيفة مهمة جسيمة تقتضي العزم والحزم وتستلزم معارف واسعة قصد أن يجعل نفسه جديرا بالانصب الذي تقلده فكان ينظم جميع الدول

التصراية وبغير علمها مع مزيد القوة والنشاط حتى انه لو فرض أن هناك
من يفوق بربروس في الجسارة والقسوة لكان هذا الطواشي قد بلغ
من قسوته وجسارة احزابه أن اتقطعت التجارة في البحر الأبيض حيث كان
يتنصع على سواحل اسبانيا والبلاد المحاذية للبحر ويوقع في اهلها الرعب
والفرع حتى اضطرروا الى بناء رباطات فيها ووضع خنزير يلزم حفظها من اهل
بلاد البر ويحصى الاهل من اغاراتهم وكان الايمبراطور منذ زمن طويل
تصل اليه شكاوى من رعاياه مضجعوها أن مصالحه وشعار المروءة توجب عليه
أن يجمع اهل الجزائر التي صارت منذ فتح تونس ماوى لارباب الصيال
وأن يقطع دابر هؤلاء الظلمة الذين هم اشد اعداء ابناء التصراية فبناء على
تضرع رعاياه اليه او طمع امته في ازدياد غنائه الذى حاز به بانتصاره في المرة
الاولى على بلاد افريقية صدر منه امر قبل سفره من مدينة مدريد
قاصدا مملكة البلاد الواطية لبلاد اسبانيا وايطاليا بتسلح دونه وجميع
جيش قصده هذا الحرب ولم تقهره بمطراً فجاى بعد من التغيرات فلم تنفعه
اغارات الدولة العثمانية ولا الحاح احبابه في المانيا عليه وافهامهم له أن اول
واجب عليه هو اهتمامه بالمدافعة عن الايمبراطورية ولا استهزاء اعدائه به
حيث كانوا يقولون انه لعدم اقتداره على مقاومة السلطان شرع في الذهاب
الى بلاد افريقية متعللاً بما تقدم فكل ذلك لم يؤثر عنده شيئاً ولم يحمله على
تحويل قواه وعساكره الى بلاد الجمار ولا شك أن هجموه على السلطان
ببلاد الجمار كان يكسبه الشرف وعلو المقدار الا انه كان دون السلطان
في الشوكه والقوة وكانت مصالحه اذا ذلك تقتضى خلاف ذلك فلو تعرض للحرب
السلطان للزمه أن يحضر عساكر من بلاد اسبانيا وايطاليا وهي بعيدة
عن دار القتال وللزمه ايضا تجهيزات كبيرة واسعة لنقل المدافع والاسلحة
والذخائر والمهمات الحربية وأن يتم في واقعة واحدة حرباً كبيراً كان يصعب
تجميعه في عدة وقائع وهذا كله كان يستدعى مصاريف جسيمة ومبالغ عظيمة
لا يقدر عليها مع تقلد خزائنه انذاك في المشروعات التي كانت مفتوحة عليه

من كل جهة

وزيادة على ذلك لوجه قواه الى هذه الجهة لخشي من ملك فرنسا على بلاده التي بايطاليا ومملكة البلاد الواطية اذ لا ريب أن فرنسيس لا يعمل في اتهازل تلك القرصة وشن الغارة على الاراضي المذكورة وايضا كانت مواد الاغارة على بلاد افريقية ومهماتا قد تكاملت وكذلك مصاريفها الاما تدرفل يبق عليه المجهود واحد (وهو شن الغارة على تلك البلاد) لا يستغرق الامدة بسيرة بحيث لا يتمكن فرنسيس من اعتنام فرصة غيت فيجمع على دولة التي يلاذ اورپا وهذا زيادة على ما يترب عليه من امن رعاياه واطمئنانهم وسرورهم بحيازة الطفر والتجاح في هذا المشروع

مطلب
تجهيزاته

وكل هذه الاسباب حلت الاميراطور على التصميم على قصده وعدم العدول عنه ولم يلتفت الى نصيح البابا ولا الى نصيح الامير اندره دورية الذي كان يلح عليه بعدم السفر ويهيمه أنه يخشى على الدونغا اذ ادت من سواحل بلاد الجزائر لان رياح فصل الخريف اذ ذاك كانت شديدة جدا فلاتزل في سفن اندره دورية من ميناء پورتو نير يسلاد جنويرة وسار قليلا عرف أن كلام الامير اندره دورية في محله وذلك أنه حصلت فرطونة سهولة فلم يمكن أن يرسو على جزيرة سردينيا التي كانت ملتقى لجمع الدونغات الابق الاقش ولكن لما كان من طبعه أنه اذا صمم على شيء لا يعدل عنه الا اذا خض امره لم يلتفت الى قول البابا ولا الى قول دورية ولم يرتدع من الخطر الذي كان عرضه له ولم ينشأ عن ذلك كله الا زيادة التصميم على هذا الغرض المشؤم ولا يخفى أن العدة التي كان جمعها كانت تكسب النفس امل التجاح ورجاء الطفر ولولم تكن كنفس الاميراطور في الشعم والجسارة فقد كان عند ذلك من المشاة عشرين الفا ومن الخيالة الفين مابين اسبانيولية وايطالية والمائة وكان اغلبهم قد تقدم عهده في العسكرية حتى صار متمكنا من اصولها وفروعها وكان مع الاميراطور ايضا ثلاثة آلاف من ايجي واعظم اشراف اسبانيا وايطاليا مصوبه في هذه

السفرة بمحض اختيارهم وكان يترأى منهم أن لهم من يد رغبة في مقامته فخلع
تلك الفزوة وزيادة على ذلك كان قد أتى اليه من جزيرة مالطة ألف
من العساكر بعثهم اليه أرباب الطائفة الدينية السماء طائفة سنت جان
أي ماري حنا وأرسلوا معهم مائة من أبطال هذه الطائفة

مطلب
خروج الإمبراطور
على سواحل إفريقية

وقد لحقه في سيره من جزيرة مايورقة إلى سواحل إفريقية من التعب والمشقة
بقدر ما لحقه من ذلك قبل وصوله إلى جزيرة سردينيا وذلك أنه لما دنا من البر
اشتدت الرياح وهاجت العواصف حتى لم يمكن للعساكر أن يخرجوا من البحر
وبعد مكابدة المشاق الفادحة اعتدل الهواء مدة يسيرة فجهل الإمبراطور
بأنها تلك القرصة وأخرج عساكره إلى البر بدون عائق ولا مانع وكان خروجهم
قريسا من مدينة الجزر فتوجه إليها بدون مهلة ولا تراخ ولم يكن عند
حسن أغا الطواشي حاكم الجزائر من العساكر إلا ثمانمائة من الأتراك وخمسة
آلاف من المغاربة نصفهم من أهالي بلاد الجزائر والنصف الآخر من غرناطة
ومع ذلك أجاب الإمبراطور حين طلب منه التسليم مع الشعم والكبر ولا يخفى
أنه مع شجاعته وبمكته من فن الحرب وكثرة تجاربه كان قلقة عساكره لا يمكنه
أن يقاوم عساكر الإمبراطور لأنها كانت في هذه المرة أكثر عددا من العساكر
التي هزمت ببربروس في المرة السابقة مع أنه كان مع ببربروس حينئذ
ستون الفاو تغلب الإمبراطور فيها على تونس مع ما بذله ببربروس المذكور
أذال من الجهد واشتباره بالبطش والشجاعة

مطلب
دما رجيشه

ولكن ينبغي كان الإمبراطور يرى أنه لا يخشى شيئا من جهة أعدائه إذ نزلت به
مصيبة من جهة أخرى فوق طاقة البشر بحيث لا يمكن للإنسان أن ينجو منها
يجزئه وعزمه وذلك أنه بعد خروجه مع عساكره من البحر يومين أخذ يطرد
بعض طوائف من العرب كانت تهجم على جيشه مدة سيره فبينما هو كذلك
إذا امتلأ البحر بحباب كثيف واشتد الظلام وعند المساء عصفت الرياح ونزلت
أمطار غزيرة كانت تطردها رياح شديدة تسقط بقوة وشدة وازدادت
الفرطونات وهاجت الرياح مدة الليل وكان عساكر الإمبراطور لم يخرجوا

من السفن الاسلحتهم قطع فضت عليهم تلك الليلة وهم في الكشكف تحت
السما عرصة للعواصف والامطار وعما قليل فاضت المياه على الارض حتى صار
لا يمكن للعساكر أن يأخذوا مضاجعهم منها وكان معسكرهم في اراض مفضضة
فكان السيل يأتي اليها من جميع الجهات حتى عمها وكان الرجل منهم اذا قتل
قدمه غاص في الطين الى نصف ساقه وكانت الريح مع ذلك قاصفة حتى لازمهم
أن يفرسوا رماحهم في الارض ليستندوا اليها وكان حسن اتعا الطواشي
متيقظا كثير المهارة والتشاط لا تفوته مثل هذه الفرصة التي تعينه على
القتل بعدوه وتدميره وذلك انه عند طلوع الفجر خرج مع عساكره من العمران
وهم على شدتهم وقوتهم لم يضع منها شي فبما كلبوه من الامطار والريح كعساكر
الامبراطور فمبجرد ظهورهم هرب العساكر الابطالية الذين كانوا نازلين
بقرب المدينة لاجل الحرس وانخرقوا حسن اغاه بعساكره من هذه المحطة
بدون مشقة فلما وصل الى المحطة الثانية قاومته العساكر الامبراطورية
الا أن الامطار اطفأت قبايلهم وبلت بارودهم فلم تنفعهم قرباناتهم شي وكانت
اسلحتهم قليلة عليهم فلم تحض مدة يسيرة الا وهزمهم حسن اغاه بعساكره
وبدشملهم فتقدم الامبراطور مع الجيش بجماله لدفع العدو وصده قتل
حسن اغاه من جيش الامبراطور مقدار عظيم واودع في قلوب الباقي الرعب
والفرع ثم رجع وعساكره في غاية الانتظام والترتيب
وقد اعجب دمار الجيش بالبردمار الدونما والبحر وذلك أنه في اثناء التهاق قد ملا
المضوء الجوف واتسرف الافاق وكانت العواصف لم تزل مستمرة مع الشدة وكان
البحر يضرب كل الاضطراب وامواجه تلاطم كالجبال فاقتلعت السفن اهلا بها
وتكسرت بتصادمها مع بعضها او مع الصخرات وقذفت الامواج كثيرا منها
الى البر وابتلعت بعضها فني اقل من ساعة عدم من السفن الحربية الكبيرة
خمس عشرة سفينة ومن سفن النقل مائة واربعون وغرق من الرجال ثمانية آلاف
كانوا بها ومن حاول النجاة منهم وعام حتى وصل الى البر ذبحه العرب ولم يروا
لحاله واما الامبراطور فلما دخله من الرعب والفرع كان ينظر الى هذه

مطلبه
دمار الدونما

المصابين بعين الحيرة ولا يتفقه بشئ وكان ايضا يظفر بعين الحسرة الى الامواج
وهي تنبثق مهماته الحربية وذخايره المعدة لتقوية عساكره غابت آماله
وخافت عليه الارض بما رجحت ولم يمكنه أن يصنع شيا سوى كونه ارسل بعض
سريات من عساكره لتطرد العرب الذين كانوا على الشواطئ وتأخذ العساكر
الذين كانوا يعمون ويصلون الى البر ولكن بعد ذلك اخذت الرياح في السكون
والعواصف في الركود فطمع الاميراطور أن يبق له من السفن ما يكفي في نجاة
الجيش من احوال القحط والجوع حتى يعود الى بلاد اوربا ولكن كان ذلك
من قبيل الاماني الباطلة لانه عند المساء امتلأ افق البحر بالضبابات الكثيفة
ولم يمكن للضبابات البحرية الذين نجوا من الهلاك أن يفهموا العساكر البرية
مقصودهم قضت العساكر البرية تلك الليلة في عذاب اليم وفي حيرة وقلق عظيم
فلما لاح التورجاء الى المعسكر قارب من طرف الاميرال (قبودان باشا)
دورية واخبر أن الاميرال المذكور قد نجى من تلك القرطونة التي لم ير مثلها
منذ خمسين سنة وهو مشغول بالملاحاة وركوب البحر وأنه اضطر الى الذهاب
الى رأس ميتافوزة مع سفنه وان كان قد لحقها التلف * وكانت السماء
لم تزل متغيرة من الضباب وعواصف الرياح فبعث دورية مصحبة المرسلين
بالتقارب الى الاميراطور ينصحه ويدعوه الى الاسراع بالذهاب الى رأس
ميتافوزة لانه اوفق محل ينزل منه العساكر الى البحر

ولا يخفى أن مثل هذا الخبر بنجاة جزء من السفن يعد في تلك المصيبة تسلية كبيرة
للاميراطور ولكن ما حصل له من السرور بذلك كان يعكره عليه سوء حال
جيشه وكان رأس ميتافوزة بعيدا عن معسكره بمسافة اربعة ايام وكان
قد قد جمع الزاد الذي اخرجوه من السفن وكان العساكر لتعبهم ونصبهم يصعب
عليهم قطع تلك المسافة ولو في بلادهم لفتور همهم بما كابدوه من المشاق حتى
لو حصل لهم عقب ذلك نصر ونجاح لاحتمل أن صدورهم لا تشرح لذلك
ولا تعود اليهم همهم الاولى فكانوا لا طاقة لهم على مكابدة مشاق جديدة ولكن
كانت حالة الجيش اذذاك لا تسوغ التردد بين الرحلة والاقامة بل كانت تعين

مطلب
اضطرار شركان
الى الارتحال

سنة ١٥٤١

الارتحال فامر الإمبراطور عساكره بالسير ووضع المرضى والجرحى في قلب الجيش والاقوياء في المقدمة والساقة فازدادت بهم الألام في السير وعظمت مصيبتهم فكان يشق على بعضهم حمل سلاحه والبعض الآخر ضعفت قواه من التعب والسير في طرق وعرة غير مطروقة فكان يسقط في الطريق مينا وكثير منهم مات جوعا لان الجيش كان لا يتقوت الا من الاعشاب وجيوب النباتات التي تخرج في الجبال ومن لحوم الخيل التي كان الإمبراطور يذبحها ويوزعها عليهم وبعضهم غرق في السيول وكانت غزيرة لكثرة الامطار حتى كان العساكر عند خوضها تضربهم المياه الى اذقانهم وقتل العدو منهم مقدارا جسيما لانه في مدة سيرهم كان يجم عليهم في كل وقت ويتعض عليهم آباء الليل واطراف النهار وبالجملة فبعد أن كابدوا من المشاق والتعب ما تقصر عنه العبارة وصلوا الى رأس مينافوزه وسكنت الرياح على حين غفلة فحصلت الوصلة بين السفن والجيش وكثرت المأسكات عند العساكر ودخلهم رجاؤهم أنهم قد صاروا امنين لا يخشون تعباً ولا نصيباً

مطلب
كرم نفس الإمبراطور وعزمه

وفي هذه المصائب الكبيرة ابدى الإمبراطور شريكان من جيد الصفات ما لم يكن يترأى منه قبل ذلك ولم يكن يعهد فيه حيث كان اولاً في سعد مستحضر لم تلقه فيه شدة يعرف بها عزمه وتجلده فايدى في هذا الخطب العجب العجيب من العزم وكرم النفس والشجاعة والمروءة فكان كاحد عساكره في تحمل المشاق ومكابدة الاحوال وكان يلقي بنفسه الى اعظم المحال خطبا واشدها خطرا ويقوى قلوب من تفرهمهم وتنقص قواهم ويعود المرضى والجرحى ويشجعهم بالقول والفعل ولما نزل الجيش في السفن تأخر هو مع من تأخر على الشاطئ مع أن العرب كانوا بالقرب منهم ويخشى هجومهم على الساقة فهذا السلوك المستحسن والفعل المحمود ستر مشالب الكبر والعقو التي انضبت به الى التصدي لمثل هذا المشروع الذي اضرت عواقبه برعاياه كل الضرر

مطلب
رجوعه الى اوروبا

ولم يكن ذلك آخر مصائب الإمبراطور وجنوده بل بجمت نزول العساكر في السفن حاجت الرياح وهبت فرطوة كانت دون الاولى في الهول والشدة الا أنها شئت

سنة ١٥٤١
شهر كانون الاول

السن عن بعضها فكانت كل سفينة على حدتها تبحث لها عن جهة ترسو عليها فبعضها ذهب الى اسبانيا وبعضها الى ايطاليا فانتشر بذلك خبر خيبة الایمیراطور وخسارته مع المبالغات التي تترحمها العقول المتكبر منها الفرع والرعب واما الایمیراطور فبعد أن اقتحم اخطارا كبيرة وكابد أهوالا كثيرة اضطر الى أن رسا بمينا بوجية بلاد افريقية وعاقه فيها اختلاف الرياح حتى مكث بها عدة اسابيع ثم سافر الى اسبانيا ودخل على حالة تغاير الحالة التي قدم عليها في رجوعه اول مرة منصورا من بلاد افريقية

انتهت المقالة السادسة

(المقالة السابعة)

(من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الایمیراطور شرلکان)

وقد تلقى الایمیراطور في هذا المشروع خسارة كبيرة لم تخل عن المبالغات من لفظ العامة وكل بلدة كانت ابعد من غيرها عن محل الواقعة كانت المبالغات فيها اكثر فالتحقها الملك فرنسيس فرصة في بدء الحرب مع الایمیراطور ولكن لم يرم الصواب أن يتعلل في ذلك بما سبق له من تطلب دوقية ميلان ولا يجتدع الایمیراطور له في هذا الشأن حيث وعده بها غير مرة ولم يف بوعده وذلك أن العلة الاولى انما كان يسوغ له التعلل به الواسع من عقد المهادنة بمدينة نيسه بخلاف التعلل به في تقض هذه المهادنة بعد انعقادها فلا يكتفى ولا يقوم بحجة في ذلك واما العلة الثانية فكانت نفسه تأبى التعلل به لانه يترتب على اظهارها استهزاء الناس به حيث وثق بوعده الایمیراطور بعد ما لاقاه منه من الغدر والخيانة * وكان قد وقع من بعض جنرالات الایمیراطور اساءة وتعدت في حق فرنسيس فالتحق ذلك علة في طلب الحرب مع الایمیراطور لان هذه الاساءة كانت قاحشة شنيعة فاغضبت فرنسيس كل الغضب واشتد بها حقه وبالبته كان يجب الصلح بقدر رغبته في الحرب بعد تلك الاساءة * وذلك أنه كان قد فهم أنه باقراره له مدنة نيسه قبل استشارة السلطان سليمان بغضب هذا السلطان الذي كان يرى أن معاهدة الدولة العثمانية بما يتشرف

مطلب
تجديد الملك
فرنسيس للعرب

(سنة ١٥٤١)

به ملوك النصارى • وكان فرنسيس ايضا قد اجتمع مع الامبراطور في اقليم برونسة كما سبق واكرمه فرنسيس غاية الاحرام وظهر البعضهما من المودة والمحبة مالا ما يزيد عليه حتى ظن السلطان أنهم انسيبا عداوتهما القديمة وتظاهرا على الدولة العثمانية لان هذا الغرض كان قد اريد تنفيذه غير مرة ولم يتم وجب على النصارى كانوا يودون تنفيذه واجراءه • وكان الامبراطور مع حيله ومخادعته يحاول أن يمكن هذا الظن من نفس السلطان ويوصي رسله الذين يديوان القسطنطينية وغيره من الدواوين التي كان لها مداورات مع السلطان أن يشيعوا أنه قد اصطلم مع فرنسيس وصار معه على غاية من الالتئام وأن مقاصدهما واغراضهما صارت واحدة فشق على فرنسيس ازالة هذا الوهم من نفس السلطان سليمان فبعث الى الدولة العثمانية رسولا نجيبا حاذقا وهو الشهير رانكون فبا انضمام حذق هذا الرسول الى المصالح العظيمة التي كانت تظهر للدولة العثمانية من الاتفاق مع فرنسا على قتال عائلة الاوسترياسيا (عائلة الامبراطور شرلكان) مال السلطان سليمان وصمم على أن يعقد مع ملك فرنسا معاهدة اكدية فرجع رانكون الى سيده فرنسيس ومعه مكاتبات من طرف السلطان مضمونها أنه يحاول ادخال اهل البنادقة معهم في التصرب على الامبراطور وكان السلطان قد عقد مع جمهورية البنادقة صلحا واعانه على ذلك فرنسيس ورسوله وانكون حق الاعانة فظن أنه يمكنه استمالة ارباب مشورة السنت تلك الجمهورية اذا هو عرض عليهم ما فيه نفعهم ومصلحتهم لاسيا وكانوا يرون أن ملك فرنسا قد سبب قهرهم الى ذلك فلا يتوقعون فيه بل يؤثرون نفعهم على ماعداه فعند ذلك فرح فرنسيس وارسل رانكون ثانيا الى القسطنطينية وامره أن يمر بالبنادقة مع رجل من جنويرة يسمى فريغوز كان متفيا من وطنه وقوض لهما أن يسعيا في تقيم الامر الذي كان السلطان قد بعث بصدده رسولا من طرفه الى مشورة السنت وكان هذا الرسول قد افتتح المذاكرة فيما هو مبعوث بصدده • وكان الملتزم دوغواست اذ ذلك كما كاعلى دوقية ميلان

مطلب

• تكون قتل رسل

فرنسيس هو السبب

في الحرب

وكان من مهرة الضباط وانجهم الا أنه كان من الجبارة العتاة فبلغه ما الى
بصده هذان الرسولان وكان يعلم أن سيده يود الوقوف على مقاصد ملك
فرانسا وأن تأخير اجراء هذه المقاصد من اعظم المهمات فبناء على ذلك اعد
را تكون وصاحبه فريوز كينا من محافظي ياويا فاقضوا عليهما
عند نزولهما في البحر في مينا يوه وقتلوهما مع عدة اشخاص من اتباعهما
وقبضوا على الاوراق التي كانت معهما فلما وصل الخبر الى فرنسيس غضب
غضباً شديداً وكانت المهادنة لم تنض مدتها لاسيما والرسول محترمون
ابغوا وجها ولولين الملل المتبررة الخشنة قتلهم فيه هناك لحرمة الحقوق بين
الملل ومخالفة رسوم الدول واستولى على فرنسيس الاسف والحزن
لان الرسولين المقتولين كانا صديقين في خدمته فحصر من هذا الامر الذي افسد
عليه مقاصده وانضم الى ذلك جميع ما سبق له من موجبات التعكير والاعاظة
فقوى غضبه واشتد حقه من هذا الامر المتكرر الذي يزرى به ويملكه فاتهم
المتقزم ودوغواست بأنه هو الذي ارتكب هذه الكبيرة فاخذ المتقزم المذكور
يبرئ نفسه من هذه الخطيئة التي اورثه الخزي والمعزة ولم يجد ذلك نقما
لان الرسولين المقتولين كانا قد تركا وراءهما الاوراق والمكاتبات المهمة * فارسل
ملك فرانسا الى الاميراطور يطلب منه تخليص حقه وأن ينتصف له بمن فعل
هذه الفعلة السيئة التي لا يتحملها ادنى الملوك واكثرهم جبنا واقلمهم مروءة
وكان الاميراطور اذ ذاك مشغولا بتجهيز العساكر المعدة للفرمعه الى بلاد
افريقية فاخذ يحاوله ويحييه باجوبة مبهمه فتظلم منه فرنسيس وبث
شكواه الى سائر دواوين الملوك الافريقية واطلعهم على قبح هذه الاساءة
وشناعتها وبرهن على استقامته وحسن سلوكه ونظم الاميراطور وتعديه حيث
احقره ولم يلتفت الى شكواه

ومع ما لبده المتقزم ودوغواست في البرهنة على براءة نفسه كان جانب الملك
فرنسيس مرجحا على ايمانه ودلائله وكان الحاكم على اقليم يميون يومئذ
انما هو من طرف فرانسا وهو الامير دويلى فلم يزل يبحث ويجتهد حتى

واقف على حقيقة الامر وواقفه عليه عدة شهود فم وان كان هؤلاء الشهود
يهمون على شهادتهم لا يمكن ان يقيم من الشبهة الا ان شهادتهم بانفعاله
الى ما وقف عليه الامير دويلى تعضدت وصارت شهادة صحيحة يعمل بها
شرعا خصوصا وقد ايد لفظ العامة ما وقف عليه هذا الامير قطهر ان شكوى
فرنسيس في عملها لم يتهمه احد حين اخذ يجهز لوازم الحرب بأن الحامل له
على ذلك طمعه او حقه بل هو مجرد قصد الانتقام في نظراتهاله حرمة
ملكته

ومع أن الحق كان مع الملك فرنسيس وكان متعاهدا مع السلطان على الاخذ
بناصرة كان لم يزل يخشى صولة الامبراطور وبطشه فاخذ يبحث عن حلفاء
آخري يستعين بهم عليه لتعادل قوى الفريقين ولكنه لم ينجح نجاحا تاما
فباو قع بينه وبين غيره من ملوك الافرنج من الماوضات والمدالات في هذا
المعنى فاما ملك انكلترا فكانت مطامعه وآماله في شأن ملكة ايقوسيا
لم تزل باقية وكان يرى أن ذلك من موجبات الشقاق بينه وبين ملكة فرنسا
فكان يرغب في الانضمام الى حزب الامبراطور لاف اعانة الملك فرنسيس
على مشروعاته واما البابا فكان معهما على عدم التعرض لاعانة احدهما
على الآخر وتأني به في ذلك اهل البنادقة مع الحاح السلطان سليمان
عليهم في هذا الشأن واما اهل المانيا المعترلة فكان الامبراطور يحرص لهم
في دياتهم وعقائدهم فالواجب عليهم حينئذ مراعاة لاغضابه فلم يوافق
فرنسيس على الانضمام الى حزبه الا ملك داتيرقة وملك اسوج حيث
فرح بأن يكون لهما دخل في حرب اعظم ملوك جنوب اوروبا واقواهم
شوكا وانضم الى حزبه ايضا دوق كليوس (وهي دوقية بيلاد المانيا)
وكان بينه وبين الامبراطور نزاع في شأن اقليم غويلدرة غير أن دول
ملكي داتيرقة واسوج كانت بعيدة جدا عن ميدان الحرب وكانت شوكا
هذا الدوق ضعيفة فلم يحصل ملك فرنسا كبير فائدة من معاهدته مع
هؤلاء الثلاثة

• (القالة السابعة) •
(اتحاف ملوك الزمان)

٦٦٢

(سنة ١٥٤١)

مطلب

مهارة فرنسيس
في تجهيزاته للحرب

ولكن مهارة الملك فرنسيس سدت مستذلك كله الا أنه مرض في هذا الوقت بسبب انهماكه على اللذات والشهوات فعاقه المرض عن الحرب ومكث مدة وهو سدى في تدبير المصالح عزما وحزما اكثر من الاول فكان هذا المرض باعثاله على ترك اللعب والهوبل اورثه شدة وصعوبة مع وزرائه وجلسائه فكان دائما عابسا غاضبا وكلما تذكر مخادعة الايبراطورة وما فعله في حقها من الاساءة ازداد غمّه وغضبه حتى انه عزل بعض من كان يأتممهم ويشق بهم وجردهم عن مناصبهم بل عزل الامير مونتورانسى مع أنه كان منذ زمن طويل مشغولا بادارة المصالح الملكية والجهادية ويتصرف فيما تصرف الوزير المحبوب المحترم عند ملكه ولم يال فرنسيس جهدا في الاستعداد والتجهيز بل صرف مجهوده ليظهر في هذا الغرض بمظهر مبتهج حتى يرى ان حزمه في ادارة مصالح الدولة لا يتقص ولا يعثر به خلل بغيبة مونتورانسى واضرا به من اولى الشوكة والصولة

(سنة ١٥٤٢)

مطلب

تجهيزه خمسة جيوش

فجهز خمسة جيوش احدها على اقليم لوكسمبرغ وكان رئيسه ابنه الدوق دورليان وبمعيته الدوق دولورينه وكان مأمورا بارشاده في فن الحرب وثانها كان رئيسه ابنه الدوقين اى ولى العهد وامره بالتوجه الى ضواحي اسبانيا وثالثها توجه الى اقليم برابطة وكان رئيسه مارشال غويلدرة المسى واتروسان وكان معظمه من عساكر اقليم كليوس ورابعها كان رئيسه الدوق دوواندوم وامره بالتوجه الى اقليم فلندرة وخامسها جمعه من العساكر التي كانت مقيمة باقليم بيون وكان رئيسه الاميرال آتوبوت (اى قبودان باشا) وبهذا الترتيب كان يترأى أن الدوقين واخاه قد قفحت لهما ابواب الفتوحات والغفر وكان جيش الدوقين يبلغ اربعين الفا وجيش اخيه الدوق دورليان يبلغ ثلاثين الفا ومن العجيب أن الملك فرنسيس مع هذه الجيوش العديدة لم يهجم على دوقية ميلان مع أنها كانت غرضه من مشروعاته وحروبه منذ مدة طويلة ولكنه كان لم يزل متذكرا لما حل به فيما من مصائب حروبه السابقة ونكباتها وكان ايضا يرى انه يصعب

(سنة ١٥٤٢)

عليه الحرب فيها بعد هاجن بلاده ففترت همته عن التصدي إليها ورأى أنه يشق عليه النزول في بلاد إيطاليا وأنه يجب عليه تحويل قواه إلى جهة أخرى يمكنه الفتك بها ولما كان لا يوجد في ضواحي إسبانيا من المدائن التي تقدر على المدافعة والمقاومة إلا القليل وكان لا يوجد في تلك الجهة جيش يصده ويرده طمع في الظفر بحرامه قبل أن يلحقه الإمبراطور بعساكره وأنه يستولى على قوتية روسيلون التي كان قد تغلب عليها شرلكان منذ قليل ونزعها من مملكة فرنسا وأما حربه في مملكة البلاد الواطية فكانت له أسباب أيضا منها أنه كان يجب عليه إعانة حليفه دوق كليوس ومنها أنه كان يؤمل تلك الوساطة أن ينضم إلى حربه مقدار جسيم من العساكر الألمانية

وقد بدأ الدوفين وأخوه الدوق دورليان الحرب في آن واحد تقريرا ما الأول فوضع الحصار أمام مدينة بريبيان قاعدة إقليم روسيلون والشا في دخل إقليم لوكسمبرغ ونجح فيه كل الصباح فكان كلما سلمت له مدينة تسلم له الأخرى حتى أنه بعد مدة قليلة لم يبق للإمبراطور بهذا الإقليم الكبير إلا مدينة واحدة وهي مدينة نيونويل ولوانا والدوق المذكور على الأقاليم التي يجاور إقليم لوكسمبرغ لما أمكنها المقاومة بل كان يتفكر بها كما طفر بالأقليم المذكور لأنه شاع على ألسنة الناس أن الإمبراطور قد استعد لطرده الدوفين عن مدينة بريبيان قرك الدوق دورليان حالا جميع فتوحاته وبادر بالتوجه إلى إقليم روسيلون ليقتسم غارات النصر مع أخيه ولعل الذي دعاه إلى ذلك هو حجة الشباب الخالية عن الحزم والتبصر وهو غيرته من أخيه الدوفين وبغضه له فلم تطلق نفسه أن يتركه يختص بنفسه بالحرب مع الإمبراطور

وبعد سفره تشتت بعض العساكر وهرب البعض وفترت همته الباقي فلم يمكنه المقاومة وبهذا السلوك الدال على ضعف عقل هذا الدوق أوعى ضعف جناته أو علمهم معا خابت آماله بعد أن فرح بالنصرة في أول غزواته وأمكن لعدوه

شهر حزيران
حرب الجيوش
المتقدمة

(سنة ١٥١٦)

أن يترجى قبل اخضاع فصل الصيف ما كان اخذ منه وكان الامير اطور
صديق الراى سال كاسك الحزم لا يرضى أن يخاطر نفسه في الحرب على ضواحي
اسبانيا لانه ربما انهزم وصارت تلك المملكة عرضة للاخطار فلما حصل
الهجوم على مدينة برينيان وكانت غير حصينة قاومت مع ذلك حتى
اتقاومة وكان الاميرال دورية قد ملاها بالازاد والمهمات الحربية وكان بها
الدوق دالبه وكان يابس الطبع عنده له اقتدار على المقاومة في الحصار
ولو بلغت الشدة متنهاها فدافع عن هذه المدينة مع العزم التام حتى قترت همه
القرنساوية وتناقصوا بالامراض التي حلت بهم وادركهم التعب من هجوم
الاعداء عليهم المرة بعد المرة مع شدة العزم وقوة البأس ودخلهم اليأس
والقنوط فرفعوا الحصار بعد أن مكثوا ثلاثة اشهر وهم يكابدون من المشاق
ما تقصر عنه العبارة ثم توجهوا الى مملكتهم ومع هذه العساكر الكثيرة
والتجهيزات الكبيرة التي استعديها الملك فرنسيس لم يحصل له ما كان يؤمله
من القوائد الجلييلة ولا ما كان اهل اوروا يترقبون حصوله ولا يدري
هل سبب عدم ظفوه بمقصوده هو عدم حسن سلوكه او كونه دون الاميراطور
في الشوكة والحزم فكان ما حصله في هذا الحرب منحصرا في بعض مدائن
تقلب عليها من اقليم بيون وقد اخذها الامير دوييلي فيما بعد بالجليلة
والتدبير بالقوة والحرب

(سنة ١٥١٣)

تجهيزات الحرب جديد

ومع أن كلا من الاميراطور وملك فرنسا كان قد دمر قوى الاسخر في تلك
الحروب التي لا طائل تحتها كانت البغضاء والعداوة بينهما لم تزل باقية على شدتها
الاصلية قد بذل كل منهما جهده بعد ذلك في اقتناذ حلفاء يستعين بهم على عدوه
في حرب جديد كانا قد صمما عليه فاما الاميراطور شريك كان فكان قد تمكن
من قلوب رعاياه الفزع والرعب لما شاهده من اغارة القرنساوية بغتة على
بلادهم فاتهنز تلك الفرصة وطلب المدد والاعانة من مشورة القورطس
فأمدته بممدادات اكثر من العادة واقترض ايضا مبلغا جسيما من حنا ملك
البورتغال ورهن عنده في تنطير هذا المبلغ جزائر مولوكة جهة الهند

(سنة ١٥٤٣)

شهر ايار

وترك له تجارة البهارات النفيسة التي كانت تخرج من هذه الجزائر ولم يقتصر على هذا الاحتراس بل روج ابنه فيليس ولم يكن له غيره وكان عمره ست عشرة سنة بالاميرة مارية بنت الملك حنا المذكور فجهازها بجهاز عظيم وكان اعني ملوك الافرنج اذ ذلك ثم التمس شريكان بعد ذلك من مشورة التورطس بمملكة اراغون ومملكة والنسة أن تزواجه فيليس على أن يكون ولي عهده في هاتين المملكتين واخذ من التورطس ماجرت العادة يذله في مثل هذه الصورة فامكنه تلك الامدادات أن يزيد في جيوش اسبانيا ويكثرها حتى اخذ منها طاقة كبيرة بعثها الى بلاد المملكة الواطية وكان في الباقي كناية لتسيام بالدفاعه عن بلاد اسبانيا وبعد أن رتب في اسبانيا ما يكون به امنها واطمئنتانها جعل زمام الحكم بيد ابنه فيليس وتوجه الى المانيا من طريق ايطاليا ولم يتحده حيل البابا ولا ما لاداء اليه من اغراضه مع أنه كان يسعى في تحصيل مبالغ جسيمة لتعينه على الحرب الكبير الذي عزم عليه وذلك أن البابا لما كان يعلم حاجته وكان يترقب كل فرصة تعينه على ترقية عائلته طلب منه أن يعطى حكم دوقية ميلان الى حفيده او كذوة الذي هو صهر الامبراطور كما تقدم واراد أن يرغبه في ذلك يذل مبلغ جسيم يكفيه في مصاريف الحرب فابى الامبراطور أن يبيع هذه الدوقية اللطيفة لاسبانيا وكان حاقدا على البابا حيث ابى عدة مرات أن ينضم الى حزبه لقتال ملك فرنسا فلم يجبه الى ما طلب ولم يمكنه من الدوقية المذكورة بل اراد معارضته في غرض آخر وهو أن البابا كان يريد فضل اقليم برمه واقليم بيلرنسة من اراضي الكنيسة ويعطى احدهما لابنه والاخر لحفيده على سبيل كونهما التراما تابع للكنيسة فلما لم تنجح للامبراطور بعد ذلك وسيلة يحصل بها اموالا من بلاد ايطاليا امر باخراج المحافظين الذين كانوا باقلعة فلورنسة وقلعة ليونرنة (ليغرنه) فعند ذلك اهدى اليه الامير كومدوميديس هدية جليلة حيث صار بعد خروج المحافظين من القلعتين المذكورتين مستقلا بنفسه ومستبدا بالحكم عليهما وكاشا تسميان مقاليد اقليم طوسكانة ولاشت أنهما

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

مداولة الاميراطور
مع هنري الثامن ملك
انكلترة

جديرتان بهذه السمية

ولكن كانت مقاصد شركان آخذة في الازدياد والاتساع لاسباب
أن تعاهد مع الملك هنري الثامن ملك انكلترة على أنهما يهجمان معاً على
بلاد فرنسا وكانت هذه المعاهدة بالنسبة اليه اعظم فائدة وانفع من جميع
ما جهزه واستعده للعرب وكان ملك انكلترة قد سئم من معاهدة فرنسيس
لشازعات صغيرة وقعت بينهما وقد تقدم ذكرها فلما طرأت عوارض جديدة
انفصل هنري بالكلية عن ملك فرنسا وذلك أن هنري المذكور
كما كان يبذل جهده في نشر الدين الجديد يلاذ انكلترة كانت له رغبة تامة
في أن يجعل له اتباعاً يتسكون بأرائه وعقائده فصمم على حث ياكس ملك
ايقوسيا وكان من أقارب على الخروج عن طاعة البابا واتباع المذاهب الجديدة
التي ادخلها في مملكة انكلترة وكان ياكس المذكور لا اعتناؤه بشأن
الدين فرض عليه هنري امور مفيدة جداً بحيث كان يجزم بأنه يرضاها
ولا يردّها فاتفقا هاهنا بالقبول لكن لما كان قسوس ايقوسيا يعلمون
أن التنازل ملكهم مع ملك انكلترة بضرب دين الكنيسة الرومانية ضرراً عظيماً
وخشوا أيضاً احباب فرنسا واحزابها أن يضع تأثير هذه المملكة في مصالح
ايقوسيا وتقطع مدخلها فيها فانضم هؤلاء الاحزاب الى حزب القسوس
وسلكوا مسلك الخيلة والدسائس حتى افسدوا على ملك انكلترة ما كان دبره
وكان يمكن من الشدة والعداوة فلم تطق نفسه مثل هذا الامر ونسبه الى خداع
فرنسيس وطيش ياكس وخفته وهم بحمل السلاح لينزع من ياكس
ملكته لكونه لا يحفظ عهداً ولا يرضى ميثاقاً وحله القبط من ملك فرنسا
على أن يأخذ في المناوضة مع الاميراطور فعاقليل عقد معه معاهدة الا أنه قبل
بها وانها تم الي في اثناء محاربة ملك انكلترة لمملكة ايقوسيا مات ملكها
ياكس الخامس ولم يعقب الا بنتاً صغيرة لم تبلغ سن الرشد وهي الاميرة مارية
فاتصل اليماناك المملكة بطريق الوراثة عن ايها وبهذه الحادثة تغيرت
مقاصد هنري في شأن تلك المملكة وعدل عن قصد الاستيلاء عليها بطريق

مطلب

خصام هنري مع
مملكة فرنسا ومملكة
ايقوسيا

(سنة ١٥٤٣)

القهر والغلبة لكونه رأى أن الأصوب والأسهل أن يضمها إلى مملكته بتزويج تلك الأميرة لابنه أيدوارد ولم يكن له سواء ولكن كان يخشى أن لا يسلمه في ذلك حرب فرنساوية الذي كان بمملكة ايقوسيا لان هذا الحزب كان قد اخذ موقع من الدساتر والفتن ما يفسد عليه اماله ويطل اغراضه فكان يرى أنه يلزمه تدمير هذا الحزب ومنع فرنسيس من اعاقته وامداده فلم ير ذلك وسيلة الانتص العهود التي كانت بينه وبين فرنسيس وتقديد معاهدة مع الإمبراطور فساد إلى بت المعاهدة التي كان قد بدأ المداولة في شأنها مع الإمبراطور وصار الاثنان من وقتئذ على قلب رجل واحد

١١ من شهر شباط

مطلب

المعاهدة المنعقدة
بين الإمبراطور
شرلكان وهنرى
ملك انكلترا

وكان أول شرط من شروط هذه المعاهدة التي هي أولى بأن تسمى عصبة يتعلق بإقناع الاتحاد والالتزام بين الإمبراطور والملك هنرى وبعضهما وبعضهما وبعد هذا الشرط ذكر فيها ما ينبغي لكل واحد منهما أن يطله من فرانس وما ينبغي له ما فعله إذا ألبى فرنسيس ارضاء خاطرهما واجابتهما بالمطالبة وبالجملة فاحفظ الرأى بينهما على أن يلزماء بنقض معاهدته مع الدولة العثمانية لما ترتب عليهما من الضرر للبلل النصرانية ويدفع أشياء لاصلاح ما فسدته هذه المعاهدة التي تأبأها القوانين النصرانية وجبر ما ترتب عليهما من الخلل وأن يرذ دوقية برغونيا إلى الإمبراطور ويقطع عن الحرب حالا حتى يتمكن الإمبراطور من توجيه قواه وعساكره إلى اعداء ابناء النصرانية وأن يدفع عاجلا المبالغ التي كانت في ذمته الملك انكلترا أو يعطيه بعض مدن تبقى معه رهنا على هذا الدين حتى يؤديه إليه فان لم يوف بهذه الشروط في ظرف اربعين يوما وجب على كل من الإمبراطور وملك انكلترا أن يشن الغارة على مملكة فرانس مع عشرين الفا من المشاة وخمسة آلاف من الخيالة وتعاهدا معا على أن لا يرجعا عن الحرب الا اذا اخذ الإمبراطور دوقية برغونيا ومدائن نهر السوم واخذ ملك انكلترا بلاد نورمنديا وبلاد غيانة بل ومملكة فرانس بتمامها وبعثا رسلا إلى مملكة فرانس لتبليغ تلك الامور فلم يؤذن لهم بالدخول في هذه المملكة ومع ذلك ظن

(سنة ١٥٤٣)

بينهما

مطلب

بداولة الملك فرنسيس
مع السلطان سليمان

الامير اطور والملك هنرى أن لهما الحق في اجراء ما وقع عليه الاتفاق
واما الملك فرنسيس فلم يكن دونهما في الاجتهاد والسعى في التجهيزات
اللازمة لهذا الحرب وكان قد ادرك قبل ذلك بمدة طويلة أن الملك هنرى
في حقد شديد منه فبذل جهده في استمالته وارضاء خاطره فلم يجد ذلك نفعاً
فايقن بموجب ما كان يعهده في طبعه أن سكوته سيعقبه عداوة كبيرة فعدل
عنه وقصد السلطان سليمان ليتمه بامداد كاف بحيث يمكنه مقاومة
الامير اطور والملك هنرى • فاقضى الحال تعويض الرسولين اللذين قتلهما
الامير دوغواست فانتخب فرنسيس عوضاً عنهما ضابطاً من يوزباشية
القراية يقال له بولان وارسله ليذهب الى مدينة البنادقة ومنها الى مدينة
القسطنطينية واثم اعينه فرنسيس لهذه لوطيفة المهمة ورأه صالحاً لها
بناء على ما ذكره له الامير دويلى في شأنه من أنه اختبر معارفه وبنايته
في عدة مداورات ومذاكرات فلم يخيب بولان ظن الناس فيه ولم تقع اخطار
الطريق ومشاقها بل مازال سائراً حتى وصل الى القسطنطينية وبجهد
وصوله اليها لم يطلب ما هو مبعوث بصدده وعرف أن ينتهز كل ملاح له من
الفرص المساعدة له حتى ازال جميع الموانع التي كان يتعلل بها السلطان بل انغم
جميع الباشات الذين كانوا يناقضون في صحة معاهدة الدولة العثمانية مع الدولة
الفرنساوية اما لان رأيهم كان كذلك في الواقع ونفس الامر ولان رسل
الامير اطور كانوا قد استولوا على عقولهم وحثوهم على عدم الرضا بتلك
المعاهدة • فصدر امر من السلطان الى بربروس أن يجهز دونهما كبيرة ويفعل
كما يفعل الملك فرنسيس ولكن لم ينجح فرنسيس في ذلك ايضا مع بعض
امراء الاميراطورية الالمانية وذلك انه لقصد اظهار الغيرة على الدين القاتوليقي
حتى يزيل ما انطبع في عقول الناس من الاوهام والظنون بسبب معاهدته مع
المسلمين الذين هم اعداء دين النصرانية رأى انه يلزم معاقبة جميع من عدل من
رعاياءه عن دين الكنيسة وتمسك بالدين الجديد اشد العقاب فلم يترتب على ذلك

(سنة ١٥٤٣)

الابغضه عند امراء المانيا الذين كانوا يميلون بالطبع الى اعائته بل وكانت مصطلتهم تلتزمهم بذلك هذا وكان له منزلة عظيمة اختص به ادون الايمبراطور وهي اتصال دولة ببعضها وكانت دائرة شوكتها بفرانسا واسعة فكفاه ذلك عروض التعطيل والعوائق التي لا بد من وجودها بين اناس كرايا الايمبراطور يدفعون مصاريف الحرب بامدادات وقية واعانات حالية تجمع بموجب اقرار دواوين ومشاور وتكون غالب القليلة واهية فلذا كان فرنسيس في الاستعداد والتجهيز اسرع من الايمبراطور فان تجهيزاته كانت بطيئة متراخية مالم تحصل له اعانة اجنبية او قطر له امور غير المعتادة فتتقدمه من الحيرة والخطر

مطلب —
بدء الحرب في مملكة
البلاد الواطية

ثم ان فرنسيس وجه سائر قواه الى مملكة البلاد الواطية ونصب بها ميدان الحرب قبل أن يصل اليها الايمبراطور فتغلب على مدينة لنديسي واعتنى بكل الاعناء بتحصينها لانها كانت متناحية اقليم هينوت ثم ارتحل منها واخذ في السير بمنجعة حتى دخل دوقية لوكسمبرغ فوجد ها غير محصنة كما كانت في السنة الماضية ولكن كان الايمبراطور قد جمع من ممالكه جيشا واتقضى به على اراضى دوق كليوس وكان قد اقسم أنه ينتقم من هذا الدوق حتى يكون عبرة لغيره فلحق الدوق المذكور بالحق الامير روبرت دولا مرل في الحرب الذي وقع قبل ذلك بين الايمبراطور والملك فرنسيس وذلك أنه لم يكن عنده من العساكر من يكفي لتقاومة عساكر الايمبراطور الذين كان يبلغ عددهم اربعة واربعين الفا فهم بالقرار عند قرب جنود الايمبراطور من بلادهم فبادرت العساكر الايمبراطورية الى حصار مدينة دوران فابدى من بها من المحققين العجب العجيب في المدافعة عنها ومع ذلك اخذت عنوة وقتل جميع اهلها وهدمت منازلها وصار عليها ساقطها ففرغ من هذه القسوة جميع ما حوله من المدائن وداخلها الرعب والخوف فارسلت مفتاحيها الى الايمبراطور بل اضطر دوق كليوس الى ارتكاب ما يري به ويدنس عرضه وذلك انه لما لم يسعفه ملك فرانسا بمدد يستعين به ذهب الى الايمبراطور واستأذن في الدخول عنده فلما مثل بين يديه خترجا يساعلي ركبنه هو وثمانية من اعيان جماعته وطلبوا منه الصفيح والعفو

مطلب —
تغلب الايمبراطور
على دوقية كليوس

فتركه الايمبراطور على هذه الحالة ذليلا حقيرا ونظر اليه بعين التكبر والشمع
والعنفوان واحال امره على وزرائه فاشتروا عليه شروطا لم تكن في الصعوبة
بقدر ما كان يتوقعه لما رآه من حقد الايمبراطور حين وقف بين يديه موقف الذل
والهوان وذلك أنه الزم بترك دعواه في شأن دوقية غويلدره وبتقص
معاهدته مع ملك فرانسوا وملك داتيرقة وأن يتعاهد مع الايمبراطور
ومع ملك الرومانيين وردت اليه جميع دوله الوراثية على هذه الشروط الامديتين
ابقاها شر لكان وهنا عنده حتى تقضى مدة الحرب ثم ردت اليه فيما بعد
جميع مزاياه النابتة له بوصف كونه من امراء الايمبراطورية الالمانية
وبعد ذلك بمدة قليلة تزوج الايمبراطور احدى بنات اخيه فرديند ملك
الرومانيين لاجل تأكيد الصلح معه

وبعد معاينة دوق كليوس على هذا الوجه الذي ترتب عليه حرمان
فرنسيس من احد حلفائه واستيلاء الايمبراطور على اقليم عظيم متصل بملكه
البلاد الواطية جال شر لكان في اقليم هينوت ووضع الحصار امام مدينة
لتدريسي واتاه هناك طائفة من عساكر الاتكليز فيماسة آلاف رجل
وكان رئيسها الامير حنا والوب وكان ذلك اول ثمرة حصلت له من معاهدته
مع ملك انكلترة ولعل كان يحافظون تلك المدينة كلهم رجالا قد شبوا
في العسكرية وشابوا وتقدم عهدهم في ذلك وكان رئيسهم الماهر لالتدة
والشجاع دبسة وكان كل منهما بمكان من الشهرة والمهارة قضاومت تلك
المدينة حتى المقاومة حتى اسعفها فرنسيس بالاعانة وحضر بها مع جميع
عساكره وكان الايمبراطور لم يزل محاصرا لها وكان كل من الايمبراطور والملك
فرنسيس مصمما على المخاطرة بنفسه في هذه الواقعة كما كانت بلاد اوروبا
تظن أن هذه الواقعة تكون آخر مشاجراتهما معا وكانت منشوقة الى معرفة
عاقبتها حيث انها بين جيشين كبيرين محكومين بملكين خطيرين الآن ما كان
بين المعسكرين من المسافة كان يقضى بالوبال على من بدأ منهما بالهجوم فلم يرد
كل منهما أن يلقي بنفسه الى التهلكة وانما في اثناء الحركات التي كان يفعلها

(سنة ١٥٤٣)

كل منها يوقع عدوه في الشرل أو يسلم منه سلك فرنيس سلك الحزم
والأصابع حتى أمكنه أن يدخل في المدينة عساكر جديدة مع مقدار جسيم
من الذخائر والازاد فغض ذلك شمس الايبراطور من الصباح وعطل الحركة ولزم
منازل الشتاء لبقى عساكره من مضار هذا الفصل فانه ربما كان يترتب على
بقائه في الحصار دمار جيشه وهلاكه عن آخره

ولما كان السلطان سليمان محققا على ما انعقدت عليه المعاهدة بينه وبين
ملك فرنسا دخل بلاد الجمار بجيش جرار وكان امراء الايبراطورية
الالمانية يرون أن شرلكان يميل في حفظ تلك البلاد ولا يلتفت الا الى الحرب
مع الملك فرنيس فلم يذولوا همهم في المدافعة عنها فلذا لم يجدها السلطان
من يقاومه ويصده فحاصر بالعاقب مدينة فغكرشين المسماة بالتركية
بشكليس (اي الكائنات الخمس) ومدينة ألبه ومدينة غران وكانت
هذه المدائن الثلاثة اعظم بلاد الجمار وكانت للملك فردينند فاما الاولى
فأخذت عنوة واما الاثنتان الاخيرتان فكان اخذهما بالزنى والتسليم وفتحت
جنود الاسلام سائر بلاد الجمار وفي نحو هذا الزمان جهز بربروس دونغا
تبلغ مائة وعشرين السفن المسماة بالغربان وسار بها محاذيا سواحل كلابرة
حتى نزل في مدينة ريكيو فقتل أهلها وحرقة ما ثم تقدم جهة مصب نهر التبر
ووقف هناك ليتزود من الماء وكان أهل رومة يجهلون القصد من هذه الدونغا
فدخلهم الفزع والرعب وبادروا بالفرار ولولا بولان رسول فرنسا قوى
قلوبهم بما كان معهم من المكاتب المتضمنة أن كل دولة أو بلدة متعاهدة
مع ملك فرنسا لا تختشى اساءة ولا ظلم من طرف الدولة العثمانية تركوا وطنهم
وخلت المدينة عن السكان ثم ترك بربروس مدينة اومنيا واقطع الى
مدينة هر سيليا ولحقته هنالك الدونغا الفرنسية وفيها طائفة من العساكر
رئيسها القوتس دانغيان وكان شابا شجاعا من العشيرة البوربونية
ثم توجهت سفن الفرنسية وسفن السلطان معاً الى مدينة نيسة وكان دوق
سابوة ملتجئاً بها حيث لم يبق له سواها من بلاد ودوله فكان مما يري بمرودة

مطلب

دخول السلطان سليمان
في مملكة الجمار

مطلب

نزول بربروس على
بلاد إيطاليا

١٠ من شهر اب

سنة ١٥٤٣

الملل النصرانية ما حصل في هذه الواقعة حيث شوهدت بندية الفرنساوية منفععة الى الراية الاسلامية لحصار مدينة سككات عليها صورة الصليب في بندية دوق ساووة ومع ذلك دافعت المدينة عن نفسها هذين الجيوشين بهمة الشهير موتفورت احد امراء دوقية ساووة حيث ثبت هذا الامير في الهجوم العام الذي وقع من الاعداء على المدينة من سائر جهاتها وقتل منهم عددا عظيما قبل أن يلجئ الى القلعة ثم تحصن في تلك القلعة وكانت على حفرة فلم يمكن للعدو خدشها بالدفاع ولا بالتم ومكث موتفورت بها زمنا طويلا حتى دامنه الامير دورية بسفنه الحربية وانه الملتزم دوغواست من دوقية ميلان بطائفة من العساكر فبمجرد ما بلغ الفرنساوية والاتراك قدوم هذا المدد رفعوا الحصار ولم يستفد ملك فرنسا شيئا الا الخزي والمعزة بمعاهدته مع دولة الاسلام

٨ من شهر ايلول

مطلب
تجهيزات حرب جديد

واذا التفت الى قلة تفجح كل من الفريقين في هذه الواقعة رأيت أن الحرب لا بد أن تطول مدته بين الامبراطور والملك فرنسيس لان قواهما كان فيها نوع من التعادل والتكافؤ وكانا بعمارفهما ومهارتهما مقتدرين على اقتراح وسائل ووسائل لا تنفذ ولا تقضى فكان من الجائز أن كلا منهما يجترب دوله وعماله قبل أن يفتح بلاد خصمه ولولم يلتفتا الا الى مصلحتهما والى حسن الادارة والياسة لتتبا الصلح وتسا بقا اليه الا أن حقد هما لبعضهما كان شديدا ممكنا من قلوبهما فكان يغلب على غيره وكان كل منهما يبحث عن اضرار الاخر اكثر من مجته عن نفع نفسه فبمجرد أن الجأهما فصل الشتاء وشدة البرد الى تعليق الحرب اخذا بجهزان امور الحرب الا في مع الحمية وبذل الجهد وكان يزداد ذلك بازدياد الحقد والبغضاء ولم يلتفتا الى تضرع البابا وحشهما على البقاء على عهد الصلح اما الامبراطور شريكان فسمى أولا في استمالة امراء الامبراطورية الالمانية وفي تغيير اهلها من الملك فرنسيس ولكن لاجل معرفة ما دبره في هذا الشأن يلزم أن نذكر تاريخ المانيا منذ انعقاد مشورة الديتة بمدينة رانسبون سنة ١٥٤١

مطلب
مصالح المانيا

(القائمة السابعة)

(تاريخ الاميراطور شرلكان)

١٧٣

فتقول

انه في نحو زمن اغلال مشورة الديتية من تلك المدينة خلف الامير
موريس اباه هنري في حكومة جزء من بلاد سكس كان ينسب
الى الفرع الالبريطي من عائلة الامراء منتخبى سكس وكان هذا الامير شابا
لم يبلغ من العمر الا عشرين سنة ومع ذلك كان يظهر من اتساع دائرته في المعارف
انه سيكون له دخل كبير في مصالح المانيا فبجبره داخله بزمام الحكومة
استنكف أن يسلك الطرق المعتادة وبدأ في سلوك طرق تدل على عظم مقاصده
وكان بموجب تربيته واصول تعليمه يميل كل الميل الى دين المعتزلة ومع ذلك
ابى أن يدخل في عصبة سمالكالد فكان يقول انما اريد تأييد صفوة الدين
وخالص الملة ولا تعترض الى المشاجرات السياسية ولا الى الفن والتعصبات
التي تنشأ عن الدين وذلك أنه كان قد ادرك ما سيحصل من التناقض والشقاق بين
الاميراطور والامراء المعتزلة المتعاهدين وادرك أن الغلبة تكون للايميراطور
عليهم فلم يظهر ما يوجب استخوان الاميراطور له وعدم الوثوق به ككسائر
المعتزلة بل اظهر الوثوق به والكون اليه فكان يداهنه ولا يغفل عن المداولة معه
فقد ابى المعتزلة في سنة ١٥٤٢ أن يعطوا الملك فردينند ما يلزم له
من المدد والاعانة في المدافعة عن بلاد الجار أو أنهم امتدوه بشئ قليل مع
غاية الصعوبة والتوقف الكلي واما الامير موريس فانضم الى حربه واستاز
فيه بالهمة والشجاعة وفي اول مرة من حرب الاميراطور اتي اليه هذا الامير
بطائفة من عساكره وكان جميل الصورة حسن المنظر ذات نشاط عجيب وخفة
غريية في الحركات العسكرية وكان صاحب جرأة وجسارة يتقن الاخطار
ولا يكثر بالاهوال وكان يحسن مداهنة الاميراطور فأحبه حبا جادا وبما كان
يأخذ به جميع لب الاميراطور بهذا السلوك الذي كان يستغربه المعتزلة
ويتعجبون منه كان يظهر عليه الغيرة من عمه الامير منتخب سكس
وقد اضرت تلك الغيرة فيما بعد بعمه المذكور واوجبت الشقاق بينهما وذلك
انه بجبره داخل الامير موريس بزمام الحكم وقع النزاع بينه وبين عمه لعل

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

حكم الامير موريس

دوق سكس بعد

موت ابيه

مطلب

مقاصد هذا الامير

وسلوكة

(سنة ١٥٤٣)

واهية وهي أن كلا منهما كان يدعى أن له الحق في حكم مدينة صغيرة على شواطئ
نهر بفسدان فهما بالمقاتلة ولم يمنعهما عن ذلك الا توسط حاكم هيسه
وسعى لوتير بينهما

مطلب

عرض البابا والتماسه
عقد مشورة قسيسية
عامة في مدينة ترنته

هذا وكان البابا في حق شديد من اعانة الايبراطور للمعتزلة ومما رخصه لهم
في مشورة الديتة التي انعقدت بمدينة راتسبوتة ومع ذلك الخ عليه بعقد
مشورة قسيسية اربابها من احزاب دين الكنيسة او من اناس يستخونهم
الايبراطور ولا يثق بهم الحاشد يد احدى رأى أنه لا يسوغ له تأخير تلك المشورة
وبقدر ما حصل من التوقف في عقدها كان الناس منتوفين الى معرفة
ما يحكم به اربابها فلما رأى البابا انه لا بد من انعقادها اخذ يدبر امره حتى يكون
رئيسها وتكون كلمته هي النافذة بها فكان اول ما تعلقت به آماله هو أن يجعل
محل انعقادها بمدينة من مدائن ايطاليا حسبا كان مصمما عليه أولا
لأن انعقاد المشورة باحدى مدائن ايطاليا التي هي مملكته يترتب عليه
أن اربابها من القسوس يكونون في قبضته فيمكنه استمالتهم الى رأيه وتحقق
عليه المؤونة اكثر مما اذا انعقدت بمدينة اجنبية فبناء على ذلك امر وكيله
الذي كان بمشورة الديتة في مدينة سبيره سنة ١٥٤٢ أن يعرض
أن يكون انعقاد المشورة القسيسية بمدينة من بلاد ايطاليا فان ابى ذلك اهل
المانيا كإفعلا واسبقا كان انعقادها في مدينة ترنته باقليم تيrol وكانت
هذه المدينة في حكم ملك الرومانيين وهي على اطراف ايطاليا والمانيا
• وبعد أن عرض الامراء القساولقيون على مشورة الديتة أن مدينة
راتسبوتة او مدينة كولونيا او غيرها من المدائن الكبيرة في الايبراطورية
هي الاولى بعقد المشورة القسيسية فيها واكثر فائدة للفرقتين انخط رأيهن على
أن يكون انعقادها بمدينة ترنته حسبا طلبه البابا واما المعتزلة
فلم يرضوا بهذا الرأي وابدوا أنهم لا يقررون هذه المشورة اذا هي انعقدت خارج
ارض الايبراطورية بأمر البابا وكان هو الرئيس عليها

ولكن لم يبال البابا بولس بمخالفة المعتزلة بل صدر منه فرمان بعقد المشورة

٢٢ من شهر ايار

سنة ١٥٤٢

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

طلب البابا انعقاد

مشورة قسيسية

وصدور فرمان

منه في هذا الشأن

مطلب

اضطرار البابا الى

تأخير المشورة

مطلب

اجتهاد الامبراطور

في استعمال حزب

المعتزلة

وعين ثلاثة من الكهنة ثلاث بحضورين بها على ميل النيابة عنه واهرم
أن يذهبوا الى المدينة ترسة قبل مهتل شهر تشرين الثاني الذي عين
اول يوم منه لافتتاح المشورة المذكورة ولكنه لو كان يريد عقد المشورة
بخلوص نية وطيب سريرة كما كان يزعم لما طلب عقدها في وقت غير صالح لها
فان عقول الناس اذ ذاك كانت مختلفة واراؤهم مضطربة ولم يكن بينهم من
الاتلاف والهدم ما يلزم في قبول ما يحكم به في المذاكرت وزيادة على ذلك كان
بين الامبراطور وملك فرنسا حرب مهول فلم يسغ لقسوس معظم بلاد
الافرنج حضور المشورة بمدينة ترسة فكث وكلاء البابا بهذه المدينة عدة
اشهر ولم يحضر اليهم احد سوى بعض قسوس من دول البابا فعند ذلك دعا
وكلاءه الى الحضور لديه وأخر عقد المشورة القسيسية لوقت آخر خوفا من
استهزاء اعداء الكنيسته وبخزيتهم منه ولسوء خطر ديوان رومة
حصل انه بينما كان المعتزلة يفتنون كل فرصة تعينهم على التثك بشوكة رأى
الامبراطور وملك الرومانيين أن مصالحتهم تقتضى أن لا ينظما حزب المعتزلة
بل تستدعى البحث عن استمالتهم بامور جديدة ترشى خاطرهم حتى ان فردينند
ملك الرومانيين لما خالف المعتزلة بمشورة الديينة في مدينة سبيره فيما
طلبه البابا من عقد المشورة القسيسية بمدينة ترسة اعانهم على ذلك وأيد
قولهم لاحياجه اليهم في اعانه على المدافعة عن بلاد المجر فاذن أن تكتب
صورة مخالفتهم في دفاتر مشورة الديينة المذكورة وايدهم ايضا في المزايا التي
اتحفوا بها في مشورة الديينة التي انعقدت بمدينة راتسبونيه وازاف
اليها هرايا اخرى جديدة حتى صار المعتزلة آمنين لا يخشون بأسا ولا يخافون بطشا
فكان مما اتفقهم به أنه علق اجراء فرمان كان صدر من الديوان الامبراطوري
يتضمن الاشرار بمدينة غوسلاره في نظيره كونها انضمت الى عصبة
المعتزلة المشهورة بحال كالد وقبضت على ايراد القسوس في اراضيها
والتمزاتها ولم تصرفه اليهم فصدر الى الامير هنري دوق برونسويك امر بعدم
اجراء هذا فرمان ولكن كان هذا الامر صاحب بدع واوهام وكان من احزاب

(سنة ١٥٤٣)

الكنيسة القاثوليكية وكان عنيداً يستنكف العدول عما يحرم عليه وشرع فيه فلم يعبأ بالامر الذي صدر له بعدم العمل بمقتضى فرمان ولم يرز بشن الغارة على اراضي مدينة غوسلاره فلم يستطع الامير منتخب سكس ولا حاكم هيسه أن تحصل مثل هذه الاساءة لاعضاء عصابة المعتزلة فجمعوا قواهما وعساكرهما وادعوا الامير هنرى المذكور الى القتال فجزداه في ظرف بعض اسابيع عن دوله واراضيه حتى اضطر الى الالتجاء عند حاكم باويرة فترتب على هذه الحادثة الناشئة عن الجبر والقسوة التي كان الغرض منها الانتقام أن ارتعدت فرائص اهل المانيا وظهر أن ارباب عصابة سمالكالد لهم

مطلب
حادثة صعبة حصلت
من عصابة سمالكالد

اقتدار على حماية من تعاهد معهم وانضم الى حزبهم فلما قويت قلوب ارباب عصابة سمالكالد بمثل هذه المزايا الكبيرة وباتساع دائرة دينهم وتجدد شوكتهم الدينية بتجدد الايام تطلو امن الديوان الايمراطوري وابوا أن يقرروا احكامه واوامره متعللين بأن هذا الديوان لم يرتب على صورة مستحسنة حسب الامر الصادر من مشورة الديانة المتعقدة في رانسونة وبأن له اغراضاً فاحشة في جميع احكامه وعما قليل فعلوا ما هو اعظم من ذلك حيث تجاسروا على مخالفة امر الديانة التي انعقدت بمدينة نورمبرغ لاجل المذاكرة في شأن المدافعة عن بلاد المنجار وابوا أن يدفعوا ما خصهم لهذا الغرض فاثبتن انهم لا يعطون مدداً الا بعد ابطال الديوان الايمراطوري واعطاءهم الامن الكلي في جميع ما يتعلق بالدين

في ٢٣ من شهر نيسان
(سنة ١٥٤٣)

فهكذا كانت حالة المعتزلة في الشوكة والاحتراس حين رجع الايمراطور من مملكة البلاد الواطية واراد عقد الديانة التي كان طلب انعقادها بمدينة سيعة ولهيبة الايمراطور واهمية المصالح التي كان المراد بها وانهاها كثر ارباب تلك المشورة كثرة بالغة حيث حضر جميع المنتخبين وكثير من وجوه التسوس وغيرهم وجميع رسل المدن والعمالات ورأى الايمراطور أنه لا ينبغي له في مثل ذلك الوقت أن يغضب المعتزلة بتأييده لادين الكنيسة او بجفدش شيء من المزايا التي كانوا يتمتعون بها بل أنه يجب عليه مداومتهم لينال منهم بعض

مطلب
انعقاد الديانة بمدينة
سيعة سنة ١٥٤٤

(سنة ١٥٤٣)

مطلب
طلب الامبراطور
الاعانة على ملك
فرانسا

امدادات يستعين بها وأن يرخص في شأن الدين أكثر من الاول فن تمسنى
في استمالة قلب كل من الامير منتخب سكس والامير حاكم هيسه وكانا
رئيسى حرب المعتزلة فلم لهما في بعض امور ووعدهما بأن يرضى خاطرهما
في الامور التي لم يسلم لهما فيها بهذا الوجه سلم من معارضتهما في الامدادات
التي كان يريد طلبها ولما احترس بتلك الوسطة رأى أنه صار يمكنه أن يفصح
في المشورة عما في ضميره ولا يخشى بأسافد أبجد حتمه وسعيه في غرضين هما
اهم اغراض الملل النصرانية احدهما هو أنه كان يريد عقد مشورة قيسية
عامة لازالة المشاجرات والمنازعات الدينية التي كان يترتب عليها اذذاك
تعكير بلاد المانيا واضطرابها وثانيهما هو الاحتراس من شوك الدولة
العثمانية وشدة بطشها وابدى أن اغراضه وان كانت صحيحة تعود بالنفع على
الملل النصرانية الا أن طمع فرنسيس افسدها عليه حيث اتى الهدنة التي
انقضت بمدينة نيسه وانضم نيران الحرب في بلاد اوروپا بدون سبب
ولامقضى ومنع القسوس وامناء دين النصرانية عن الحضور بالمشورة
القيسية ومن حضر منهم لم يمكنه المذاكرة مع الامن والاطمئنان في المسائل
الخلافية وأنه هو نفسه قد اضطر بتلك الاسباب الى تجهيز قواه وعساكره
للذب عن بلاده من ملك فرانسا ولولا طمع هذا الملك لأعدّها لقتال المسلمين
تسريفاً للنصرانية وشفاء لغليله من المسلمين الذين هم اعداء دين النصارى
ولا يؤدون الادماره ومحقه بالكلية واطاف الى ذلك قوله ان الملك فرنسيس
لم يكتف بافساد مقاصده عليه بل جاء شيئاً أكثر حيث جلب الاترا الى داخل
الدول القاتوليكية وضم جيوشه الى جيوشهم وهجم على دوق ساوية الذي
هو احد اعضاء الامبراطورية الالمانية وان دونما برروس العثمانية موجودة
الى الآن في احدى مينات فرانسا تنتظر فصل الربيع لتهمج فيه على بلاد
النصارى وان من الجنون الشروع في الهجوم على بلاد الدولة العثمانية
أو في طرد جنودها من بلاد المجر حيث ان فرنسيس متعاهدا معها ببلاد
عند الضرورة لمجأها فالاصوب حيث قد البدء باذلال مملكة فرانسا ليحرم

(سنة ١٥٤٤)

السلطان سليمان من القوائد التي يحصلها من معاهدته مع الملك فرنسيس الذي هو مع هذه الضلالات والمتكررات يلقب نفسه بقلب ترك تبيان اي عريق في النصرانية وبالجملة فالخرب مع ملك فرنسا هو عين الحرب مع السلطان حيث ان اضعاف شوكة الاول يترتب عليه اضرار الثاني وانحطاط دولته وتعم الايمراطور كلامه بطلبه من ارباب المشورة مددا يستعين به على فرنسيس حيث كان يهجم على الجمعية الجرمانية ورؤسها وكان متعاهدا مع المسلمين فهو للتصاري عديمين

ثم قام اخوه فرديند الملقب ملك الرومانين مؤيدا لقول الايمراطور فحكي صورة فتح السلطان سليمان لبلاد الجمار قائلا ان سبب ذلك هو حرب ملك فرنسا مع الايمراطور اذ لولا ذلك لآعان بلاد الجمار واتخذها من بطش الاسلام ثم قام رسل دوق ساووة واطنبو في شرح ما فعله ببروس بخطة نيسة وما وقع منه من التخريب والتظلم في تلك الجهة وانضم الى هذه الشكاوى ككون اهل اورپوا كانوا في حنق شديد من الملك فرنسيس لمعاهدته مع المسلمين فأثر ذلك تأثيرا قويا في قلوب ارباب الديانة ومال اغلبيهم الى اعانة الايمراطور بامدادات جسيمة وكان الملك فرنسيس قد بعث رسلا الى الديانة المذكورة ليعتذروا عنه ويفصوا عن الاسباب التي حلت به الى سلوك هذه المسالك ولكن لم يؤذن لهم بالدخول في ارض الايمراطورية فاشاعوا ما كانوا يريدون به براة سيدهم وحاولوا أن يبرهنوا على حسن سلوكه ومعاهدته مع السلطان سليمان بذكر امثلة مستنبطة من الانجيل ومناقب ملوك النصرانية ولكن لم ينجحوا في ذلك ولم يشدهم اجتهدهم شيئا حيث كانت عقول الناس اذذاك مشحونة بما يفضيهم من افعال هذا الملك فلم تكن مستعدة لقبول شيء من تلك البراهين التي كان الغرض منها براءته والاعتذار عنه

فلما رأى الايمراطور ذلك من اهل المانيا علم أنه صار لا ينجعه عن تخير مقاصده سوى استخفاف المعتزلة وخوفهم منه فعزم على ازالة ذلك من قلوبهم فاعطاهم

مطلب
اعطاء الايمراطور
عز ايا عطية المعتزلة
ليستلهم اليه

(سنة ١٥٤٤)

جميع ما كانوا يتنونه للأمن على أنفسهم فصدر منه أمر بتعليق الأوامر التي كانت صدرت في شأنهم وعدم إجرائها ووقع الاتفاق على عقد مشورة قيسية عامة أو مشورة ملية بقصد اصلاح حال الكنيسة وازالة المجدلات الدينية وعلى أن الإمبراطور يسعى في عقد تلك المشورة في اقرب مدة وانه قبل انعقادها لا ينبغي التضييق على المعتزلة بوجه من الوجوه في ديانتهم وعبادتهم وان الديوان الإمبراطوري لا يجوز له اضرارهم في اى شئ كان وأن ارباب هذا الديوان بعد اقتضاء مذهبهم يعرضون بأناس صالحين لقيام في هذا المقام ولا يلتفت الى كونهم معتزلة أو قائلين بهذه الاسباب مال المعتزلة الى الإمبراطور والتزموا له بالانضمام الى بقية ارباب الديانة لاجل محاربة الملك فرنسيس باسم الإمبراطورية وامتدوه باربعة وعشرين الفامن المشاة واربعة آلاف من الفرسان وانحط الرأى على أن مصاريف هؤلاء العساكر تكون على طرف عصبة شمال الكالد مدة ستة اشهر وضرب ارباب الديانة ايضا مغراما على الرؤس بدون تمييز بين الناس لقصد اعانة الإمبراطور في حربه مع الدولة العثمانية

وبينما كان شرلكان يدير امراضه المشككة في مشورة الديانة ويحاول استمالة اربابها اليه ليعينوه على مشروعاته ومقاصده كان من جهة اخرى يسعى في الصلح مع ملك دانيمرة فانه وان كان مع معاهدته لفرنسيس لم يعنه بشئ كان الإمبراطور يخشى اعاقته ملك فرنسا وكان ايضا يلح على ملك انكلترة بالتضييق على فرنسيس حيث كان عدوا مينا لهم وكانت مقتضيات الاحوال حينئذ تعين الإمبراطور على نيل مرامه وذلك أن ما حصل بين ملك انكلترة وملك ايقوسيا كان يقوى بغضه فرنسيس في قلب الملك هنرى فان هذا الملك لما عقد مشاركة مع مجلس البرلمان بمملكة ايقوسيا في شأن تزويج ابنته الملكة ماريا ظن أن مرامه قد تم بانضمام ايقوسيا الى انكلترة وهو غرض كان يتناه اسلافه وجتدوا في طلبه ولم ينجحوا • ولكن حصل أن الملكة ماريا ادعته ام الملكة ماريا

مطلب

الامداد التي امدت
الإمبراطورية مشورة
الديانة

مطلب

مدولة شرلكان مع
كل من ملك دانيمرة
وملك انكلترة

والصكر ديتال باتون وغيرهما من احزاب فرنسا بذلوا غاية جهدهم حتى فسخوا عقد هذا النكاح بل وقعوا العداوة والبغضاء بين اهل ايقوسيا والملة الانكليزية وجددوا عهد المحبة الصديقة بين ايقوسيا وملكة فرنسا ومع ذلك لم يزل هنري يسعى في هذا الغرض المهم وازدادت بغضته لفرنيس ورأى أن اذلاله هو احسن واسطة في إعادة اهل ايقوسيا الى اقرار هذا النكاح وعدم فسخه وكان مهتما بهذا الغرض كل الاهتمام حتى ان الامبراطور بمجرّد أن عرض عليه ما ربه رآه مستعدا لاعتاقه في جميع مشروعاته مع ملك فرنسا وكان يترقب على ما دبراه مع بعضهما في هذا الشأن ضياح مملكة فرنسا بلارب واتساع دول الامبراطور وازدياد شوكة وغورها بحيث يخشى منها على جميع بلاد اوربا حيث اتفقا معا على أن يدخل كل منهما في فرنسا مع جيش يبلغ عدده خمسة وعشرين الفا ويأدير بحاضرة مدائن الراسين والوضاح ثم يجولان في المملكة ويفحصان جنودهما الى بعضها بقرب مدينة باريس

مطلب
اقتتاح فرنسا وفيه
في الحرب باقليم بيمون

وكان الملك فرنيس باقيا يدون نصير ولاظهر يعينه على هؤلاء الاعداء الكثيرين الذين كان شر لكان يحترضهم عليه ولكن كان السلطان سليمان لم يزل متعاهدا معه الا أن هذه المعاهدة كانت قد اوقعت بغضه فرنيس عند سائر الملل النصرانية حتى كان يود أن يفسخها ويترك فوائدها حتى لا يكون مبغوضا عند جميع النصاري فبناء على ذلك صرف بربروس بسفنه بمجرّد دخول فصل الشتاء فخرّب وهو راجع الى القسطنطينية سواحل طوسكانه ونابلي وحيث كانت قوى فرنيس لاتعادل قوى الامبراطور اراد أن تكون سرعته ومبادرته سادة مسدّضف قواه فبادر بالاقتاح في الحرب فحاصر بمجرّد مجي فصل الربيع جنزاه القوتة دانغيان مدينة كارينان وهي إحدى مدائن اقليم بيمون وكان الملتزم دوغواست بعد أن تغلب عليها في السنة الاولى من الحرب رآها مهمة جدا فحصرها كل التحصين فبذل القوتة دانغيان جهده في حصارها حتى خشي عليها الملتزم

(سنة ١٥٤٤)

مطلب

توجه عسكر
الإمبراطور إلى هذه
المدينة لأعاتها

دوغواست وكان قد لحقه في فتحها ما لا مزيد عليه من المشاق فخرج
من ميلان قاصداً التوجه إليها وكان هذا لا يجني على أحد فمعاقليل وصل
الخبر إلى معسكر الفرنسيين وكان القوت دافعيان شابا ذعنقوان وجية
فكان يود وقوع حرب معه ليجتبرطامح خطه وسعده وكان عساكره ايضا يودون
القتال منه الا أن الملك فرنسيس كانت صالحه اذ ذاك لاتسوغ له الحرب
بل كان في وجل بتذكار المصائب التي حصلت له سابقا في حروبه مع الإمبراطور
فنهى القوت دافعيان عن أن يجارب عساكر الإمبراطور ولكن أت نفسه
أن يترك مدينة كارنيان التي كانت مشرفة على التسليم وهو كان يود أن يمتاز
في واقعة مهمة يحوز بها الافتخار والشهرة فارسل من طرفه الضابط مونلوق
إلى ديوان فرنسا ليفهم الملك ما يترتب على الحرب من الفوائد الجلييلة
ويوقفه على الطرق التي يرجوها النصر على الأعداء فأحال الملك فرنسيس
هذا الأمر على المشورة فانحط رأي الوزراء جميعا على عدم الحرب وعضدوا
آراءهم ببراهين قوية وادلة مسلجة وكان مونلوق حائرا في المذاكرة
فظهر عليه آثار الغم مما كان يسمعه من أفواه الوزراء ونظهر منه أنه يريد التكلم
فتعجب الملك فرنسيس من حركاته وأطواره فدعاه وسأله عما عنده من الأدلة
ليرد به كلام الوزراء المعضد بالأدلة الصحيحة المبنية على الحزم والأصابة وكان
مونلوق مع شجاعته صافي النية خالص الطوية لا يجني ما يضره فينبه له حسن
حالة العساكر الفرنسيين ورغبتهم في قتال العدو ونوقها بضابطها وما يلحقها
من الخزي والمعزة اذا هي أت القتال وبرهن له على ذلك بعسارة جانب فيما
التكلف وسلك فيما سلك الفصاحة العسكرية الموزنة بالحكمة والحجبة
فأخذ يعقل الملك بل واستمال عدة من أرباب مشورته وادركه فرنسيس من
الحكمة ما كان مستوليا على عساكره وارتعدت فرائضه ثم رفع يديه إلى السماء
قائلا للحيب مونلوق بادربالرجوع إلى بيوت وقائلوا باسم الله فجعرد
سماع هذا الجواب من الملك ازدادت حجة الأشراف والأمرء وتسابقوا
إلى حيازة نفخ الحرب وسودده حتى خلا الديوان الملكي عن أربابه فكل

مطلب

واقعة مدينة سيرزوله

من كان له اقتدار على الحرب وكان يريد الامتياز سعى بطوعه واختياره الى اقليم
يهون ليقسم فغار النصره فلما وصلوا الى القوتة دانغيان وكانوا عددا
كثيرا قوى قلبه ودعا الملتزم دوغواست الى الحرب فأجابه بدون تردد
وكان عدد الفرسان مستويا في الفريقين واما المشاة فكانوا في فريق الاعمير اطور
يزيدون على مشاة فرنسيس بعشرة آلاف او اكثر ووقع الاصطدام بقرب مدينة
سيريزولة في سهل متسع خال عن الموانع والعوائق بحيث لم يكن وضع احد
الفريقين احسن من وضع الاخر فاصطف الجيشان بهامع غاية السهولة وكانت
الصدمة الاولى مع العزم والقوة اللذين يؤمل مناهما من رجال شهبوا وشابوا
في العسكرية وكانت قلوبهم مشحونة بالشجاعة فحملت خيالة
الفرنساوية على العدو ومع عزمها المعتاد ومرت كل من اتي في طريقها او تعرضت
لها الا ان المشاة الاسبانيولية اخرت الطائفة التي تصدرت امامها ووردتها بنشامتها
وحسن ضبطها وربطها فبقى امر النصره مجهولا بين الفريقين حتى تكون
لمن يحسن الادارة ويسلك مسلك الحزم من الفريقين وكان الجنرال دوغواست
بين العساكر التي انحلت نظامها فحشى أن يقع في ايدي الفرنسيين فينتقموا
منه في نظير قتل وانكون ورفريغوزة فغاب عقله ونسى أن يقدم طائفة
الاحتياطية واما الجنرال دانغيان فابدى من الحزم العجب العجيب وتقدم
مع طائفة من الخيالة وشد عضد العساكر الذين كانوا قد اخذوا في الرجوع
التقهقري وكان معه طائفة من عساكر السويصة الذين كانوا لا ينزلون
ميدان الحرب الا ويظفرون بالعدو فأمرهم بالاغارة على المشاة الاسبانيولية
فترتب على هذا الامر انتهاء الحرب وظهر الغالب من المغلوب وكانت مقتله
عظيمة جرح فيها دوغواست في فخذه ولم ينج الا بسرعة جواده وثبت الطفر
للفرنساوية وقتل من عساكر الاعمير اطور عشرة آلاف وأسر منهم مقدار جسيم
واخذت خيامهم وامتعهم واسلحتهم وفرح القالبون بهذه النصره فرحاعطيا
لم تشبه شائبة غم ولا كد ولم يهلك منهم الا اناس قلائل لم يكن فيهم احد
من الضباط الممتازين

(سنة ١٥٤٤)

مطلب

نتيجة هذه النصر

وهذه الواقعة البعيدة اكتسبت الفرنساوية الفخار والسود واقتدته من خطر عظيم وذلك أن دوغواست كان يريد الاغارة مع جيشه على جميع البلدان التي بين نهري الرون والسون ولم يكن فيها مدائن حصينة ولا قلاع ولا جيوش منتظمة تقاومه وتصدّه ولكن لم يكن للفرنساوية اقتدار على اجتناء جميع ثمار هذه النصره نعم ان دوقية ميلان كان لا يوجد بها من يدافع عنها وكان اهلها منذ زمن طويل يشكون من حكام الإمبراطور الذين كانوا بها ويتطلون من جبرهم وصعوبتهم ويودون فرصة تعينهم على انتقاد انفسهم من حكم الإمبراطور وكان القوت دانتيان قد تقوى قلبه بهذه النصره فالح على فرنسيس أن ينتهز تلك الفرصة العظيمة ويتغلب على هذه الدوقية التي هي مطمح نظره وكانت السبب الاقوى في حروبه مع الإمبراطور ولكن كان البحث عن أمن المملكة مقدما على الفتوحات فلذا اضطر فرنسيس الى طلب اثني عشر الفا من اعظم الجنود التي كانت مع دانتيان لحماية مملكة فرنسا حيث ان الإمبراطور وملاك انكلترة كان قد شرع كل منهما في الهجوم عليهما من جهة بحيش كبير فضرت همه الملك فرنسيس ولم يكتسب من نصرته الكبيرة التي ثبتت له في واقعة سيريزوله الامدينة كارتيان وبعض مدن اخرى من اقليم بيغون

وكان الإمبراطور على حسب عادته هو الاخير في البروز الى ميدان الحرب قطهر في اوائل شهر حزيران مع جيش جزار لم يسبق له مثله في الحرب مع مملكة فرنسا حيث كان يبلغ خسين الفا وكان بعضه قد تغلب على اقليم لوكسمبرغ وبعض مدائن من مملكة السلاد الواطية قبل أن يصل اليه الإمبراطور ثم جمع جيشه الى بعضه وتوجه به الى ضواحي اقليم شمباينا بفرنسا وكان يجب عليه بمقتضى الاتفاق مع ملك انكلترة أن يتوجه من اول وهله الى مدينة باريس تحت المملكة الفرنساوية وكان الدوفين قائدا للعساكر الذين كان يعتمد عليهم الملك فرنسيس في نجاة مملكته ولكن لم يكن للدوفين اقتدار على مقاومة الإمبراطور غير أن شجاع الفرنساوية في المدافعة عن اقليم برونسة

مطلب

اقتتاح الحرب

في مملكة البلاد

الواطية

(شهر حزيران)

(سنة ١٥٤٤)

سنة ١٥٣٦ من الميلاد عليهم كيفية مشاغلة العدو الذي يشن الغارة عليهم ففعلوا في هذه الواقعة كما فعلوا في واقعة برونه حين اغار عليه الايمراطور في السنة المذكورة ولا يخفى ان محصول اقليم شبنانيا في التنبذ اكثر من محصوله في القمح وغيره من الحبوب فكان لا يكتفي في مؤنة هذا الجيش الكبير الذي كان مع الايمراطور وزيادة على ذلك امر الملك فرنسيس قبل حضور الايمراطور بحيث أن يخرجوا من هذا الاقليم ما كان يوجد به من مواد القوت والمؤنة ورأى الايمراطور أن اول وسيلة يجب عليه اتخاذها في ذلك هي أن يغلب على بعض قلاع ومدائن حصينة ليأمن على قوت عساكره ومؤنتهم حتى لا يقع في الشدة والضلك كواقعة برونه وكانت مدائن الضواحي غير محصنة فخرج بالغلب عليها سرعاً بدون كبير مشقة فهجم أولا على مدينة ليني ثم على مدينة كومرسى ولم يقاوما الا قليلا ثم حاصر مدينة سندريير ولم يكن فيها شيء مما يلزم لتحمل مشاق المحاصرة وان كانت من الثغور المهمة على نهر مارن الا أن القوتة دونسبير والامير دولالندة القيا باضهما في هذه المدينة مصحبين على حفظها السيدها الملك فرنسيس والمدافعة عنها بقدر ما في وسعهما وكان الايمراطور يعلم اقتدارهما فنس من اخذ هذه المدينة من اول وهلة فصمم على حصارها محاصرة متينة وحيث كان من طبعه انه لا يعدل عما يشرف فيه سلك في هذا المشروع سلك العناد والعنفوان لا الخزم والتدبير

مطلب
محاصرة الايمراطور
لمدينة سندريير
في ٨ من شهر تاموز

مطلب
حصار هنري الثامن
لمدينة بولونيا

وكانت تجهيزات ملك انكلترة للحرب قد تمت قبل تجهيزات الايمراطور لكنه لما كان لا يمكنه أن يهجم وحده على جميع قوى مملكة فرنسا وكان يشق عليه أن تبقى عساكره بدون شغل صمم على الاتقام من مملكة ايقوسيا فارسل اليها الدونغا الانكليزية مع طائفة كبيرة من العساكر المشاة كان قائدها القوتة هرتفورد فاجرى هذا القوتة او امر سيده مع المهارة والتشاط ونهب وحرق كلا من مدينة ايدنبورغ ومدينة لينث وافسد حال البلاد ورجع سرعاً حتى لحق الملك بالدونغا عقب دخوله مملكة فرنسا وكان

١٤ من شهر تاموز

(سنة ١٥٤٤)

الإمبراطور لم يزل مشغولاً بحصار مدينة سنديزير فبعث رسولا إلى هنري
يخبره على وصوله بالسلامة ويحرضه على أن يتوجه من أول وهلة للاغارة
إلى مدينة باريس حسبا هو منطوق المشارة المنقذة بينهما ولكن لما رأى
هنري أن الإمبراطور مشغول بفتح مدن لنفسه بحيث لا يترتب على ذلك فعهما
معانأسي به في ذلك واخذ يغلب على مدن لمصلحة نفسه غير ملتفت إلى الحاح
الإمبراطور فوضع الحصار على مدينة بولونيا وأمر دوق نورفولك
أن يبذل جهده في تقيم محاصرة مدينة مونتروى وكان قد حاصرها
قبل حضور هنري طائفة من التلنكيين وأخرى من عساكر الانكليز ولما كان
كل من الإمبراطور وملاك انكترمة مشغلا بمصلحة نفسه الخاصة عاد ذلك
بالضرر على مصلحتهما العامة فعوضا عن أن يتعدا مع بعضهما ويعول كل
منهما على صاحبه لتجيز يتقاصدهما الجسيمة داخلتهما غير شديدة من بعضهما
وترتب على ذلك وقوع الريبة والوسواس في قلب كل منهما من الآخر حتى آل
الأمر إلى وقوع التناقض بينهما

واما الملك فرنسيس فقد بذل وسعه حتى جمع جيشا جرارا من صناديد
الابطال وغول الرجال يمكنه به مقاومة العدو وكان الدوفين لحزمه ومهارته
يحاول عدم الحرب خشية الهزيمة حيث كان يرى أنه بالقتال تكون مملكة
فرانسا عرصة للاخطار وانما كان يهجم على جيش الإمبراطور بطائفة
من العساكر قصد الاتعابه وعدم إراحته ويقطع الطرق حتى لا تصل إليه الذخائر
واذا ويحترق ما حوله من البلاد ومع ورطة الإمبراطور بهذه الاغارات لم يزل
مستترا على محاصرة سنديزير ولم يزل حنسير يدافع عنها مع العزم التام
ويبدى الحبب العجيب في حمايتها والذب عنها فقد ثبت في عدة اغارات ودفع
جيش الإمبراطور عدة مرات وهو يهجم على المدينة مع العزم والشدة وقتل
من جاعته الأمير لالندة حيث أصابته كلة مدفع فاهلكته ومع ذلك
لم تفقره شتمه ولم تنكس قواه ومكث خمسة أسابيع وهو على هذه الحالة وكان في وسعه
أن يستتر على المدافعة مدة الآن الكردينال دوغراويل تحيل عليه حتى

مطلب
ما وقع من مدينة
سنديزير من المدافعة
العظيمة

حمله على التسليم وذلك أن الكردي نال المدد وكان يمكن من السياسة والتداع
فغزى على العلامات والاشارات المصطلح عليها في المخاطبة بين دوق غيرة
وسنير فكتب مكتوبا على لسان دوق غيرة يأمر فيه سنير أن يسلم
المدينة لان الملك فرنسيس وان كان مسرورا منه ومن حسن سلوكه
لا يستصوب أن يحاطر بنفسه لاجل اعاقته فوصل هذا المكتوب الى المدينة
على وجه بحيث لا تظهر منه صورة غدر ولا خيانة فاعتز سنير بهذه الحيلة
ووقع في اشرار المكيدة الا أنه سلم بشروط تلامي شجاعته وشرف نفسه فكان
من جعلها أنه عقد هدنة باطلال الحرب مدة ثمانية ايام والتمزم أنه يفتح ابواب
المدينة للعدو وان مضت تلك المدة ولم يهجم الملك فرنسيس على جيش
الايبراطور ولم يدخل في المدينة جنودا من عساكره فثبتت سنير وحسن
مقاومته اوقف الايبراطور مدة مستطيلة أمام المدينة مع انها لم تكن جيدة
التحصين وفي ظرف هذه المدة امكن للملك فرنسيس أن يستعد ويجمع قواه
وثبت الامير سنير الخبر بكون نجاة وطنه كانت على يديه وقل أن يحوز
مثل هذا الفخار حكمدار صغير الرتبة غير مطلق التصرف

١٧ من شهر اب

مطلب

دخول الايبراطور
في وسط فرنسا

وبعجز تسليم مدينة سنديزير جال الايبراطور في وسط اقليم شبانيا
ولكن لما لحقه من المشقة في محاصرة هذه المدينة داخله اليأس من الوصول
الى باريس حيث كان أمامه مدائن اقوى من تلك المدينة واكثر منها
في الزاد والذخائر والمهمات الحربية وزيادة على ذلك كان مامعه من الزاد يتناقص
ويقل كلما بعد عن ضواحي دوله وكان قد هلك من عساكره عدد عظيم في حصار
مدينة سنديزير وكان جيشه يتناقص كل يوم باغارات العدو عليه من غير
أن يشعر او يات امرا وكان الفصل قد ذهب معظمه ولم يستول على اراض
او قلاع كبيرة من بلاد العدو فقيم بها عساكره مدة فصل الشتاء وكان عليه
لعساكره ما هيأت عدة اشهر فاخذوا في التشكى والتظلم ولم يكن عنده اموال
حتى يصرف لهم استحقاقهم فجميع هذه الاسباب ازمته بأن يخرج الى الصلح
الذي كانت تدعوه اليه اخته ملكة فرنسا وارسلت اليه بصدده سر اربع اثنين

(سنة ١٥٤١)

من قسوس طائفة الدومينيكان كانا واعظينه ولاخته المذكورة فبتاه على ذلك تعين لهذا الغرض اناس من الطرفين ووقعت المفاوضة فيه بقرية شوسة التي هي بقرب مدينة شالون ولاكن ارسل شرلكان الجيا من طرفه الى الملك هنري يطلب منه التوجه الى باريس حسب الاتفاق ولايدري هل كان قصد الاميراطور بذلك أن يئذل جهده في التغلب على مملكة فرانس او يجعل ذلك وسيلة يتعل بها في التخلي عن حليفه هنري ثم يعقد الصلح مع الفرنسيين فينما كان ينتظر جواب ملك انكلترا وكانت المذاكرة لم تزل في قرية شوسة كان لم يزل يتوغل ويجول في المملكة مع قلة زاده وذخائره فلو فور خطه او نشاطه او خيانه بعض الفرنسيين بهم بقتة على مدينة ايريني ثم على مدينة شاتوييري وكان بهما مخازن عظيمة منخونة بالمهمات والذخائر فلما شاع الخبر باخذهما في المدينتين وكانت النائية قرية من باريس بحيث لم يكن بينهما الامر حلتان فقط عم الحزن والفرح سكان هذا التخت حيث لم يكونوا مستعدين للمقاومة والمدافعة ودخلهم اليأس والقنوط وصاروا يفترقون من سائر الجهات حتى كان الاميراطور على ابواب مدينتهم وبعث كثير منهم نساءه واولاده على نهر السين الى مدينة روان وبعضهم ارسل عائلته الى اورليان وبعضهم الى المداين التي على نهر لوار وحصل الملك فرنسيس نفسه من هذه الحادثة فزع لم يلحقه مثله مدة حكمه ودخله رعب شديد من نصرة عمدوه عليه ووصوله الى تحت مملكته ومن الاخطار التي صارت مملكته حينئذ عرضة لها فلم يمكنه أن يضبط نفسه حين طرق هذا الخبر آذانه بل صاح قائلاً يا رباه ما اعظم ما عددته لي من المشاق والمصائب في نظير هذا التاج وقد كنت اظن انك انعمت به علي تنعمة لا رجوع فيها لكنه ندم بعد ذلك على هذه المقالة الناشئة عن الالم والنحير وتاب واقطع قائلاً ما معناه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ثم اطمانت نفسه وسكن روعه وامر بما يلزم لصدة العدو ورده ووجه الدوفين الى باريس ثمانية آلاف من العساكر فاطمانت بهم قلوب اهلها وادخل كثيرا من المحاقطين في مدينة موكس واسرع

(سنة ١٥٤٤)

في السير حتى وصل الى مدينة لافرنه وكانت بين جيش الایمراطور
والثقت
وكان القبط والمجاوعة قد اخذوا ثانيا في الظهور بين عساكر الایمراطور فلما رأى
ان الدوفين يتجنب الحرب معه وكان لا يحسب كنه الهجوم عليه في معسكره مع
عساكره حيث كانوا في تعب ونصب وكانت مقاديرهم قد تناقصت جدا عدل
سريعا واخذ في السير منة فاصدا مدينة سواسون ووصل اليه في ذلك
الوقت جواب من طرف ملك انكلترة يذكر فيه انه لا يترك حصار بولونيا
ولا حصار موتروى لانه قد اشرف على التغلب عليهما فحسد ذلك رأى
الایمراطور انه لا يجب عليه العمل بمقتضى المشاركة المتعقدة بينهما وأنه يجوز له
أن يفعل ما يكون فيه مصلحة لنفسه فبناء على ذلك اخذ يجتهد المذاكرة في شأن
الصلح وكانت قد بطلت بتغلبه بغتة على مدينة ايبرفى ولم يكن يصعب انعقاد
الصلح بينهما وبين فرنسيس حيث كان احدهما يرغب فيه رغبة تامة والآخر
محتاج اليه كل الاحتياج فتمت مشاركة الصلح بمدينة كريسبي وهي مدينة
قرية من مدينة موکس وكان اعوامها في الثامن عشر من شهر ايلول
وكانت بنودها الاصلية هي أن كلامن فرنسيس والایمراطور يرد الى خصمه
ما انتزعه منه من تاريخ مهادنة نيسة وأن الایمراطور يزوجه بنته البكرية
للأمير الدوق دورليان بن فرنسيس او يزوجه بنت اخيه فردينند
الثانية فان زوجه بنته اعطاه في الجهاز مملكة البلاد الواطية يتصرف
فيها كيف يشاء وتنتقل من بعده الى اولاده الذكور من هذه الاميرة
وان يزوجه بنت اخيه فردينند اعطاه دوقية ميلان وما يتبعها
وأن الایمراطور يخير مدة اربعة اشهر فين يزوجه بها من هاتين الاميرتين
وأن الوفاء بشرط الزواج باحدهما يكون اجله سنة من تاريخ المشاركة وأنه
بمجرد استيلاء الدوق دورليان على مملكة البلاد الواطية او دوقية ميلان
يرد الملك فرنسيس الى دوق ساووة جميع ما كان سلبه منه ما عدا مدينة
ينرول ومدينة مونخيليان وأن الملك فرنسيس يترك دعواه في شأن

مطلب
اضطرار الایمراطور
الى الرجوع

مطلب
الصلح المتعقد بمدينة
كريسبي

(سنة ١٥٤٤)

مملكة نابلي واقلية النمسا واطليم اربوازة وأن الإمبراطور تيرل
ايضا دعواهم في شأن دوقية برغونيا وقوتية كاروليس وأن فرنسيس
لا تحصل منه اعانة الملك نوار وأن الإمبراطور ومك فرنسا يستعان قواهما
الى بعضها لقتال الدولة العثمانية ولهذا انفرنس يجب على الملك فرنسيس
أن يرسل من عنده بموجب طلب الإمبراطور اوديو ان الإمبراطورية ستة
آلاف من الفرسان وعشرة آلاف من المشاة

وكان من جهة الاسباب التي حلت الإمبراطور على عقد الصلح مالحق جيشه
من الضنك والضييق بفقد الزاد والذخائر وما أدركه من المشقة في اياه وفراجه
من بلاد عدوه وعدم امكان اقامته بعاكره مدة الشتاء في مملكة فرنسا
ومنها ايضا اسباب اخرى قوية وان لم تكن ظاهرة وهي أن البابا كان مقتظا
منه على ما اعطاه للمعتزلة في مشورة الديتة المنعقدة اخيرا ولانه كان
قد وعدهم بأن يجتهد في عقد مشورة قسيسية عامة وكان قد رخص ييلاد المانيا
في الجادلات والمناقشات فيما كان واقعا بين القساو ليلية والمعتزلة من المسائل
الخلافية فهذا ان الامران الاخيران اعنى وعدا ياهم بعقد المشورة القسيسية
وترخيصه في الجادلات والمناقشات رآهما البابا من باب الاقيبات والتعدي
على حقوق الكنيسة فبعث الى الإمبراطور كتابا يتضمن التوبيخ والتعنيف
ويؤذن بالتعظيم والتعاطف وعباراته مؤذيه موزة ثقيلة والفاظه جارحة مؤلمة
حتى انه ربما كان يؤخذ منه أن قصد البابا به انما هو المشاجرة مع الإمبراطور
لا استعطافه واستمالته وقد ازداد غضب البابا من الإمبراطور حين رآه قد تعاهد
مع الملك هنري لان هذا الملك كان من المعتزلة الذين طردتهم الكنيسة عن
بابها وحكمت عليهم بالحرمان قطهر له أن معاهدة الإمبراطور معه ليست
الامن قبيل الكفر والاحاد فهي كعاهدة الملك فرنسيس مع السلطان سليمان
* ومن جهة اخرى كان كل من ابن البابا وحفيده يشك ويتظلم من الإمبراطور
حيث كان يناقض في اعطائهما اقليم برمة واقلية بليزنسة فكان
بغضهما للإمبراطور يريد في حقد البابا عليه ويضاف لذلك ما كان يصدر

مطلب
الاسباب التي دعت
الإمبراطور الى عقد
الصلح

(سنة ١٥٤٤)

من فرنسيس من المواعيد المزخرفة والمداينة لاجل استقالة البابا اليه ثم انه كان الى ذلك الوقت لم يزل معهما على عدم التعرض لكل من الفريقين حيث كظم غيظه وحاول عائلته التي كانت تعيل في هذا المعنى وحاول ايضا ملك فرنسا حيث كان يلج عليه بالانضمام الى حزبه الا انه كان لا يرحى منه أن يستمر على قائه خليا عن الاغراض مع بغضه للايمبراطور وحسه احبائه واصحابه على ما يخالف ذلك وظهور مصلحته في الانضمام الى حزب فرنسيس وكان الايمبراطور يعلم أن اتحاد البابا مع ملك فرنسا يحضى منه على دولة التي ييلا ايطاليا حيث ان البابا كان قدوة لاهل ايطاليا في السياسة والتدبير فان انضم الى حزب فرنسيس فلا بد أن يتبعه اهل البنادقة وكان الايمبراطور قد تعب من معاناة الحرب والقتال فرأى أنه ان تعصت عليه محسبة انضمت بقواه الى الدمار وكان عساكر الدولة العثمانية في ذلك الوقت لم يجدوا من قاومهم ييلا الدمار فاخذوا جميع مدائنهم وتوغلوا بالسرعة حتى وصلوا الى بلاد الاوسترسيا لاسيما وكان ثم امر آخريدهو الايمبراطور الى التيقظ وبذل الهمة وهو تقدم مذهب المعتزلة واتساع دائرة دينهم وازداد شوكة عصبيتهم فكان نحو نصف ألمانيا قد اعتزل عن دين الكنيسة واتبع الدين الجديد وباقى اهلها كان يتردد بين دين الكنيسة ودين المعتزلة وكان اعيان الاوسترسيا قد طلبوا من الملك فرديناند أن يرخص ييلا دهم في اتباع دين المعتزلة وكان اهل بوهيمية (مملكة تجمه) لم يزل عندهم آثار دين حنا هوس فكانوا ييذلون وسعهم في مساعدة مذهب لوتير وكان مطران كولونيا ذاجية شديدة يندر مثلها في القسوس فاخذ ينشر الدين الجديد في ابرشيته فلم تكن تعلم عاقبة هذه الحوادث ان لم يحصل الاهتمام بمنعها وكان الايمبراطور قد عاين بنفسه في مشورة الديانة المتقدمة اخيرا اعتنق المعتزلة وتكبرهم ورأى انهم لا يعتمدون على كثرة احزابهم والتسامح مع بعضهم لا يراعون في مخاطبتهم طرق الادب كما كانوا اتوا لاحتى ادبهم جساتهم الى احتقار البابا وعدم الاعتراف بهل كانوا لا يمتحنون بأس الايمبراطور فرأى أنه لاجل تأييد

(سنة ١٥١١)

الدين القديم وتقصيد شوكة نفسه حتى يقوى بطشه ولا تكون نجته برئيس
الاميراطورية يجزء اسم بدون معنى لابتدله من بذل الجهد والهمة في هذا
المعنى وذلك متعذر عليه مادام مشغولا بالحرب في البلاد الاجنبية مع عدو قوى
الشوكة والصولة

مطلب
استمرار الحرب بين
انكلترة وملكة فرنسا

فهذه هي الاسباب التي حلت الاميراطور على عقد الصلح الآتية لحذقه ونباهته
دبر امر مشاركة كريسي على حسب اغراضه ومقاصده فان الشروط التي
عقد هاجع الملك فرنسيس ترتب عليها حرمان الياپانم الفوائد التي حلت على
ترجيح المعاهدة مع ملك فرنسا وابتارها على معاهدة الاميراطور وفي البند
الذي يتضمن الحرب مع الدولة العثمانية لم يكتف الاميراطور بنزع الملك
فرنسيس من حزب السلطان سليمان بل الزمه بالحرب معه وهناك شرطا
آخر خصص لم يكتب في المشاركة خشية ايقاع الفرع والرعب في اوروبا
وانما وقع الاتفاق عليه بين الملك فرنسيس والاميراطور وهو ان كلا منهما
يسذل جهده في عقد مشورة قيسية عامة لتصد تأيد شوكتهم ومحق دين
المعتزلة من محالكم كما بهذا الشرط خاب امل عصبة جمالكالا في الملك
فرنسيس ولكن خشي الاميراطور ان يلج ارباب تلك العصبة على فرنسيس
او تستدبه القسرة فينسى ما التزم به فلذا تركه مشغولا بالحرب مع الانكليز
حتى لا يمكنه التداخل في مصالح بلاد ألمانيا

١٤ من شهر ايلول

وكان الملك هنري على غاية من الكبر حتى كان يقوم بنفسه ان شوكة لاشوكة
فوقها فاعتناط من الاميراطور كل القبط حيث لم يعتبره اذ عقد الصلح من غبه
ان يستشير لكانه بسبب ظفرو لم يأت من ذلك كل التاثر ثم ان العساكر
التي ملكية قد انفصلت عنه بموجب امر الاميراطور فاضطر الى احضار دوق
فورفولك من حصار مدينة موتروى الا أن مدينة بولونيا كانت
قد سلمت له قبل انتهاء مشاركة الصلح المتعقدة في كريسي ويخاف ان هنري
مقترا باقعه من البلدان وكذا في حثوشه يد من الاميراطور اذ اتاهه رسل ملكه
فرنسا تعرض عليه الصلح ولم يكن اذ ذاك مستعدا لقبوله مع شروط معاهدة

مقبولة فطلب طلب الغالبين الفاتحين شروطا ثقيلة صعبة حاصلها أن ملك
فرانسا يقض معاهدته مع مملكة ايقوسيا ويدفع اليه ما كان باقيا في ذمته
من الديون القديمة وجميع ما صرف في الحرب وكان الملك فرنسيس يريد
الصلح عن طيب نفس وخلص طوية ويهون عليه أن يذل فيه مالا جسيما
الأنه لما رأى حصول الصلح بينه وبين الامبراطور رفض تلك الشروط
الموجبة للمذلة وسافر هنرى الى انكلترة وترك نيران الحرب مضطربة
بين اللتين الانكليز والفرنساوية

مطلب

غشم الدوفين من
المشاركة المنعقدة
في كريسي

ثم ان المشاركة التي انعقدت في كريسي وان كانت فائدتها جليلة بالنسبة
للفرنساوية لكونها هي التي اتخذتهم من عدو شديد البطش كان قد جال في داخل
مملكهم الآن الدوفين تشكى منها واستدل بها على محبة ابيه الملك فرنسيس
لابنه الثاني الدوق دورليان فتظلم من كون ابيه قد ترك في هذه المشاركة
حقوق تاج المملكة الفرنسية لمجرد مراعاة ابنه الدوق دورليان حيث
كان يخصه بالمحبة وبوتره بالمودة الا أنه لم يردا غضاب ابيه باستناعه عن
اقرار المشاركة المذكورة مع تصحيحه على أن يتأقضى ذات يوم فيما يضربه من
تلك المشاركة فجمع بعض احزابه واخبرهم سرا بأنه لا يقبل هذه المشاركة
وأن ما جبر على اقراره منها لا يعمل به واقصدى به في ذلك مجلس برلمان
مدينة فولوزة والظاهر أن ذلك كان ناشئا عن الحاح احزاب الدوفين على
ارباب هذا المجلس واما الملك فرنسيس فانه وضع القرار على تلك المشاركة
مع غاية الفرح والسرور وذلك انه لما فرح باقتداء رعاياه من الاغارة الشنيعة
وغزوهم بجائيل مملكة لابنه الثاني اى الدوق دورليان ظن أنه غير مغبون
في اشتراء تلك الفوائد الجليلة بتركه امورا غير مأذون فيها شرعا والقبال بما ترتب
عليها الى ذلك الوقت الاخسر ان ملته ودمارها وحقوقا لم تكن في يده
فكانا معدومة ثم ان الامبراطور في الاجل الذي ضرب لتخيره في شأن
الزواج اظهر أنه يريد تزويج بنت اخيه فرديندد للامير دوق دورليان
وبعطها دوقية ميلان وكان يظهر من مقتضيات الاحوال ان ذلك أن الصلح

(سنة ١٥٤٤)

بينهما يستمر ولا يتقطع فان الإمبراطور كان دائما يتألم من داء القرمس المعروف بداء الملوك فكان لا يظهر أنه ذواق قدر على الحرب لان ذلك يستلزم قوة البدن والعقل وكان يجد ذلك من نفسه ويتخى أن يقف عليه الناس وحين كان في تعب شديد من هذا الداء حضر رسول من مملكة فرنسا الى مدينة بروكسيلة (بروسيلة) ليحضر اقرار مشاركة الصلح فوضع الإمبراطور امضاءه عليها مع غاية المشقة ويده ترتعش قائلا انه لا ينبغي الخوف من نقص هذه المشاركة لان اليد التي لا تقدر اهلها على امساك القلم لا يمكنها القبض على ربح اوسنان

مطلبـــــــــــــــــ
مقاصد الإمبراطور
في شأن بلاد ألمانيا

وقد منعه المرض والجأء الى المكث بمدينة بروكسيلة عدة اشهر وكان ذلك سببا ظاهريا في تأخره عن تنفيذ اغراضه في شأن اذلال حزب المعتزلة ببلاد ألمانيا وفي الحقيقة كان ذلك اسباب اخرى وذلك أنه وان كانت البواعث التي دعت الى هذا المشروع قوية الا أن مصالحه اذ ذلك وقوة شوكة عصبية المعتزلة كانت تلزمه أن يتبصر ويمعن النظر فيما هو شارع فيه وأن لا يبيد دفعة واحدة الجلب الذي كان يستربه مقاصده واغراضه وكان يرى من المعتزلة مع اعتمادهم على قواهم وتعويلهم على شوكتهم أنهم دائماً متحذرون في امرهم خائفون من صولته وبطشه لكنهم استعدوا للدفاع عن انفسهم وتحاسروا على ذلك وان كانوا يعلمون انهم يجاسرهم قد عرضوا انفسهم الى الخطر وكان الإمبراطور ايضا متحذرا في امره بسبب حربه مع الدولة العثمانية فاذا أراد أن يتخلص من هذا الحرب فعزم على أن يبعث اليها سفيرا من طريقه ليتضرع اليها في طلب الصلح والصلح كان كانت تلك الدولة لا تبقى على احد ولا يعرف كنه اغراضها ولا حقيقة ما ربهما فكان ما صدر من الإمبراطور من انصرام نيران الحروب المدنية في داخل دوله وبمالكه قبل أن يقف على حقيقة مقاصد تلك الدولة بعزل عن الحزم والتدبير

مطلبـــــــــــــــــ
طلب البابا انعقاد
مشورة قيسية عامة
بمدينة ترنته
١٩ من شهر تشرين
الثاني

وفي اثناء تلك الاحوال صدر من البابا بعد صلح كريسبي بقليل فرمان يتضمن الامر بمقدم مشورة قيسية عامة بمدينة ترنته في اوائل فصل الربيع

(سنة ١٩٤٤)

وحرض فيه جميع ملوك النصارى وسائر الامراء على انتهاز فرصة الاطمئنان والامن الذى كان وقتئذ يلاذ اوروبا وحشم على أنهم يستعينون بهذه الفرصة على محق دين المعتزلة الذى كان يخشى منه على اسرار دين النصرانية فاطهر الاميراطور اتولا الفهم من اسراع الالباب وعلته بهذا الامر وأنه يلومه على ذلك خداعا منه ومكرًا فانه عما قليل اقترع عقد تلك المشورة القيسية لانهار بما كانت تعينه على تخصيص مقاصده وتنفيذ اغراضه فعين من طرفه رسلا يحضرونها وامر جميع قسوس دوله وممالكه بالذهاب اليها في الوقت المعين في القرمات

هكذا كانت مقاصد الاميراطور حين اخضعت ديتة الاميراطورية بمدينة ورمس بعد تأخيرها عدة مرات وكان المعتزلة مرخصا لهم في دينهم وعقائدهم ولكن كان هذا الترخيص معلقا مؤجلا وسندهم فيه واهيا وهو الامر الصادر من مشورة الديتة الاخيرة وكان للعمل بهذا الامر مدة معلومة مغبية بانقضاء المشورة القيسية فلذا كان المعتزلة يودون أن يرخص لهم ترخيصا مطلقا غير مؤجل باجل حتى يأمنوا على بقاء انفسهم ودينهم ولكن لم تعرض احد في المشورة لما يـكون به امنهم وطما ينتهم بل عرض الملك فرديند على اربابها امرين احدهما استمرار الحرب مع الدولة العثمانية والثاني يخص امر الدين فاثلا ان الامر الاول مقصم لابتدئه لان السلطان سليمان بعد أن فتح معظم بلاد الجمار اخذ يستعد لشن الغارة على بلاد الاوستروسيا وان الاميراطور الذى هو من مبدء حكمه يحاطر بنفسه في مدافعة هذا السلطان الشديد البأس القوى الصولة لم يزل مصمما على دفعه عن ابناء النصرانية وحمايتهم منه حتى انه عدل بمحض اختياره عن الحرب مع فرنسا مع انه الغالب الظاهر فاصدا معاهدة الملك فرنسيس ليتحزبا جميعا على هذا السلطان الذى هو اشد اعداء النصارى فبناء على ذلك يجب على جميع اهل الاميراطورية الالمانية أن يعينوا رئيسهم ويساعدوه على سعيه في تأييد دين النصرانية وحمايته من عصبة الاسلام بأن يتدوه بما هو محتاج اليه

(سنة ١٥٤٥)

مطلب
انقضاء مشورة
الديتة بمدينة
ورمس في ٢٤
من شهر اذار

(سنة ١٥٤٠)

مطلبه

الحاج فرديند على
اهل المانيا باقرار
المشورة القيسية
والرضاء باحكامها

في تلك السنة واما المجاذلات الدينية فقد اتسعت دائرتها حتى صار لا يرحى
انهاؤها عاجلا وحيث ان الاميراطور قد بذل وسعه وألح على البلايا حتى الزمه
بالرضاء بعقد مشورة قيسية عامة وكان المعتزلة وغيرهم يجذون في طلب
عقد هامند زمن طويل وقد حان الوقت المعين لانعقادها وجب على الفريقين
قائوليقة ومعتزلة أن يرضوا باحكامها ويذعنوا لما يستقر عليه رأيها
فاستحسن من كان في المشورة من القائوليقة كلام فرديند واجابوا بانهم
يرضون بكل ما يطلبه واما المعتزلة فلقطهم من ذلك غم شديد لما أنه مخالف
لما حكم به في شأنهم بمشورة الديتة السابقة فتدقوا في أن المجاذلات الدينية
ينبغي أن يبدء بها في المذاكرة لتكونها من اهم الاغراض واجلها وأب بلاد المانيا
وان كانت في فزع وورع من تقدم العساكر الاسلامية وظفرهم الآن امر الدين
يخص طاقتهم فلا يرضون أن يحاربوا مله اجنبية ويدعوا نيران الفتن تضطرم
في داخل بلادهم وانهم ان حصل لهم ترخيص في العمل بمذاهبهم كيف شاؤوا
وامنوا على انفسهم من جهة دياتهم بذلوا غاية جهدهم كسائر اهل المانيا
في قتال اعداء دينهم ودفعهم عن بلاد النصارى واما اذا كان الخوف على
النصارى من الدولة العثمانية شديدا بحيث لا يسوغ الالتفات الى غرض آخر
في هذا الوقت فيلزم التجهيل بعقد مشورة الديتة لتبت امر المناقشات
الدينية وتنهيها على سبيل الابرار ويلزم ايضا توضيح الامر الصادر في هذا الشأن
من مشورة الديتة الاولى وذلك أنه لما حصل الاتفاق في مشورة الديتة
المعتدة بمدينة سبيرة على أن المعتزلة يتعدون بديتهم كيف شاؤوا حتى
تتقدم مشورة قيسية عامة على حسب الاصول العيصية الشرعية وامر البابا
بعقد مشورة قيسية اخرى وايدى الملك فرديند بالزامه لهم بالاذعان
والطاعة داخلهم الوسواس والريسة وفهموا أن اخصامهم كانوا يحاولونهم
في بعض الفاظ جهمة منسوبة من امر الديتة حيث قالوا ان الترخيص لهم
في دياتهم مؤجل باجل معلوم وهو اقتراح المشورة القيسية فلاجل اجتناب
هذا التأويل ناقضوا في صحة كل مشورة قيسية تتقدم خارج بلاد الاميراطورية

الامانية بمحض او امر البلاء ويجعل لنفسه الحق في الرياسة عليها واطهر وانهم لا يقرون تلك المشورة وانهم الى الان يعتبرون الامر الصادر من مشورة الديانة الساجدة مطلقا محملا لا يجري العمل بالاجتهاد وانهم لا يعدلون عنه ابدا وكان الايمبراطور الى ذلك الوقت يرى أن مصلحته تقتضي مراعاة المعتزلة وانه يفعل معهم ما يستعمل به قلوبهم فكان يجيبهم الى ما يطلبونه وان كان في الظاهر غير معقول ولا مقبول ولكن لما تغيرت مقاصده الزم اخاه الملك فرديند بأن لا يتحول عما عرضه أولا وأن لا يتساهل في شيء يضرب بشروط المشورة القيسية او يمنع اقتصادها وكان المعتزلة ايضا يشتدون في دعواهم كل التشديد فحصل التوقف الكلي من الفريقين ومكنا زمانا طويلا على العناد والشقاق حتى شوه هذا الصلح بينهما صار من قبيل المستحيل ولما برى الايمبراطور من مرضه ذهب بنفسه الى مدينة ورمس ومع ذلك لم يكن لحضوره تأثير في نفوس المعتزلة ولم يتساهلوا في شيء مما طلبوه لانهم كانوا اجازمين بأنهم على الدين الحق فالتهم مولاهم وناصرهم فكان الايمبراطور كلما اراد أن يستميل حزمهم بالتحصيل والمداهنة او يزجرهم بالتخويف والتهديد لا يزيدهم ذلك الاغضبوا وجسارة مظهرين على رؤس الاشهاد أنهم لا يعنون بترك انفسهم وتأيد دعواهم في مشورة متعصبة متحاملة حتى كانوا لم تنفصل للبحث عن المذاهب الدينية لتعرف محضها من فاسدها بل انما عقدت لجزء جزيرتهم ومعاقتهم وانهم لا يقولون الا بطلان تلك المشورة القيسية لكونها معتقدة بامر البلاء وهو لا يجوز أن يكون حكما فيها لأنه حكم عليهم من مبداء الامر بأنهم رافضة خارجون عن دين النصرانية وادعى لنفسه الحق في الرياسة على تلك المشورة ليجمكن من اضرارهم ويعاقبهم بما شاء

وبينما كان المعتزلة يمتنعون من اقرار المشورة القيسية المذكورة ولا يرضون باعانة الايمبراطور في حربه مع الدولة العثمانية اذ ظهر من بينهم مورييس امير سكس وجنح الى الايمبراطور وعضد قوله وذلك انه وان كان في الباطن لا يميل الا الى دين المعتزلة وكان قائما بتعصيده وتأيدته الا أنه رأى أن مصالحه

مطلب

حضور الايمبراطور
في مدينة ورمس

مطلب

سلولمورييس امير
سكس في مشورة
الديانة

(سنة ١٥٤٥)

تقتضى أن يظهر خلاف ما يظن فآخذ يوافق الإمبراطور في أغراضه حتى
استماله إليه بالكلية واستعان بمجبة الإمبراطور على تنفيذ أغراضه ومطامعه
التي كان مصمما عليها ولكن لم يتأس به أحد من المعتزلة ولم يكن قوله تأثير
في قلب أحد منهم حتى فهم الإمبراطور أنه لا يمكنه أن يحصل منهم مدد يستعين به
على الحرب مع الدولة العثمانية ولأنه يزيل ما قام بقلوبهم من الخوف والريبة
منه في شأن دينهم ولكن لما لم يكن دبر مقاصده وأغراضه حتى التدبير ولم تكن
تجهيزاته كافية بحيث يمكنه فتحهم وادخالهم تحت الطاعة أو يعاقبهم على ما بدوه
من المخالفة والعناد آخذ يخادعهم باناسحق لا يقضوا على حقيقة قصده فامر
أن تنقد مشورة الديينة في قول العام القابل بمدينة راتسبون لاجل
المفاوضة في المسائل الخلافية وأن يكون ذلك بين بعض افراد من المعتزلة
وآخرين من حزب الكنيسة القاثوليكية

مطلب
ارتباب المعتزلة من
الإمبراطور

ولكن مع كون الإمبراطور بذل جهده في مخادعة المعتزلة لم تحقق عليهم مقاصده
بل ادركوا أن ذلك منه مداهنة ومخادعة حيث لم يمكنه أن يورى ما بينهم
مواراة تامة وذلك أن القوتة هرمان مطران كولونيا ومنقنها كان
لفضائله وحسن أخلاقه وكبر سنه ذا اعتبار ووقار وإن كانت درجته في العلم
هينة كغيره من الأشراف الذين كانوا حينئذ مقلدين بالمنصب القسيسية
والوظائف الدينية العالية في بلاد ألمانيا فاتفق أنه آثر دين المعتزلة على دين
الكنيسة الرومانية واعانه على ذلك في أوائل سنة ١٥٤٣ كل من ميلختون
وبوسير المتقدم ذكرهما فآخذ ينسج دين الكنيسة من أبرشيته ويدخل بهادين
المعتزلة الآن الرهبان الذين كانوا في دائرته رأوا أن الدين الجديد لا يساعدهم
لأنه يحكم بالتساوي بين الناس قاطبة فهو مضر بمقامهم وثروتهم فئاتوا
مطرانهم كل المناقضة لفرضين جسيمين أحدهما خوف الاضرار بمصالحهم
وثانيهما من يد رغبتهم في المحافظة على الدين القديم وبقاء أصوله لكونها تلايم
أطباعهم ولكن لم ترز مناقضتهم المطران هرمان الاتصهما وعنادا حيث
رأى في مناقضتهم له ما يدل على فساد الدين القديم ويعود عليهم بالعصاة

والمتفعة ولم أرأى هؤلاء الرهبان أن مناقضتهم له لا تجدى فعارضوا شكواهم الى الامبراطور والبيا لان الاول كان حاكمهم السياسي والثاني كان حاكمهم الديني فوصلت شكواهم الى الامبراطور وهو بمدينة ورمس فادخلهم تحت حمايته وامرهم بأن يعاقبوا اشد العقاب كل من مال الى دين المعتزلة وعدل عن دين الكنيسة الرومانية ونهى المطران هرمان عن أن يحدث شيأ في ابرشيته وامره أن يحضر الى مدينة بروكسيلة في ظرف ثلاثين يوما ليحيب فيها ائمتهم به

ولم يكتف شر لكان بهذا الامر الذي استدله المعتزلة على بغضه لهم بل اساء كل من كان يظن فيه أنه على دين لوتير من اهل دوله الوراثية من مملكة البلاد الواطية وبجمر حضوره الى مدينة ورمس نهي خطباء المعتزلة عن الخطابة به ابل وادخل في كنيسه الخاصة به راهبا من رهبان ايطاليا سعد على منبرها وقدح في الدين الجديد وقال في حق الامبراطور ان الله سبحانه وتعالى قد اجتباه واختاره لازالة الكفر ومحو دين المعتزلة الضالين وفي اثناء ذلك بعث الامبراطور الى القسطنطينية سفراء بصدد الصلح كما تقدم ليستد باب الحرب مع الدولة العثمانية ويتفرغ بكتبه الى تأييد الدين ورفع اعلامه المنكسة ولكنه لم يحف على المعتزلة سلوكه ولا ما يترتب عليه من العواقب فكان كلما ازداد فرغهم وخوفهم من الامبراطور ازداد يقطعهم واحتراسهم منه

مطلب
موت اللدوق دورليان
ابن ملك فرنسا

٨ من شهر ايلول

هذا وكان للامبراطور دائما الخط الاوفر على خصمه الملك فرنسيس فقد حصلت حادثة اخرجته من ورطة كبيرة كان لا يمكنه أن يتخلص منها بمحض مهارته ونباهته وذلك أن اللدوق دورليان عرضت له في الزمن المعين زواجه بينت الملك فردينند واخذه دوقية ميلان حتى خيئة افضت به الى الهلاك فكانت هذه الحادثة سببا في تخلص الامبراطور من وجوب اعطاء دوقية ميلان لخصمه او من المعزة والخزى اذا هو امتنع من اعطائها حيث التزم بذلك وصار معلوما للخاص والعام فكان امتناعه عن الوفاء بما التزم به

• الحالة السابعة •

(تاريخ الايمبراطور شرلكان)

١٩٩

(سنة ١٥٤٥)

يؤدى الى وقوع الحرب بينه وبين مملكة فرنسا ومع ذلك انظهر القم والحزن لموت هذا الامير الذى لوى لكان بينهما نسب وصهر لكانه حاول أن لا يتقوه بشئ فى شأن دوقية ميلان ولم يرد تغيير شئ من مشاركة كريسبي مع أن الملك فرنسيس كان يلج عليه أن يعطيه شياً فى تأخير ما ضاع منه من القوائد بموت ولده ولو كانت مملكة فرنسا زاهية زاهرة كحالتها الاولى لاشهر فرنسيس الحرب مع الايمبراطور بمجرد امتناعه عن اجابته فيما طلبه منه لكن كانت محنته قد ضعف كشوكة وثرثرة مملكته وكان مشغولاً بمداخلة الانكليز عن بلاده فاضطر الى اخفاء حقه وصمم على الانتقام من الايمبراطور فى وقت آخر يساعده على ذلك وكان من جملة ما تنضمته مشاركة كريسبي أن دوق ساووة ترد اليه دوله بعد وفاء شروط الزواج المقررة فى تلك المشاركة فلما فات الزواج بموت الدوق دورليان خاب آمال هذا الدوق السيى الحظ ولم يترتب على مناقضة مملكة فرنسا فى هذا المعنى الاتحيد والحرب بين فرنسيس والايمبراطور

وقد سبق الى اذهان اهل عصبة سمالكال أنه سيعقب موت الدوق دورليان منازعات بين الملك فرنسيس والايمبراطور وأنه يترتب على تلك المنازعات الحرب بينهما فيمكنهم مدة اشتغال الايمبراطور عنهم بغيرهم أن يتقوا ويوسعوا دائرة دينهم لكن لم يصادف ظنهم محلاً كما لم يصيبوا ايضاً فى ظنهم مثل ذلك حين حصلت حادثة اخرى ظنوا منها أنه سيعترب عليهم الحرب بين الايمبراطور والبابا وهى أن البابا بولس لما كان دائماً يسى فيما تكون به ثروة عائلته ورفع شأنه قبل أن تضع شوكة الباباوت وينحط مقامهم حسماً كان يظهر له خاطر بنفسه واعطى ابنه بطرس لوز دوقية برمة ودوقية بليزنتة مع جزمه بأن الايمبراطور يفتاظ من ذلك ولا يقتره ابداً ولم يكن بطرس لوز المذكور ولداً للبابا من نكاح شرعى وزيادة على ذلك كان قبيح السلوك منهمكاً على المعاصى والمفاسد حتى كان يستخط عليه جميع من كان صالحاً مستقيم الحال فتعجب الناس من ارتقائه الى هذا المنصب الجليل وجاب ذلك للبابا حفظ

مطلب

اعطاء البابا دوقية
برمة ودوقية بليزنتة
لابنه

العالم لاسيا وسكان معظم أوروبا حيثئذ قدح في قبح اخلاق القسوس
ويشنع عليهم وبصفهم بالمفسد والماتم وتعلم المعتزلة من ذلك وعدوه مما يجب
نسخه وازالته وكان بعض الكرد ثلاث يميل الى الايمراطور قناصوا البابا
في هذا التصرف المنكر الذي يترتب عليه تشتت اراضي الكنيسة وانحلال
نظامها ولم يرض الجي اسبانيا أن يحضر الجمع الحافل الذي عقد لتولية
ابن البابا واما الايمراطور شرلكان فابي اقرار حجة التولية متعللا
بأن برمة وبليرنة داخلتان في ضمن دوقية ميلان ولكن لما كان هو
والبابا ملتفتين كل الالتفات الى مصالح ألمانيا غلبا المصلحة العامة على
مصالحهما الخاصة واخذا الحقد والبغضاء لبعضهما ليلتفتا الى ما هو
اهم والزم

وفي ذلك الوقت اغار الامير هنري دوق برونسويك على بلاد ألمانيا
فكبر هذه ما وراحتها وذلك أن هذا الامير كان قد حرم من بلاده حيث ضبط
عليها الايمراطور حتى يقع الصلح بينه وبين اهل عصبة سمالكالد ومع ذلك
كان لم يرزل معتبرا ما في ألمانيا فوعده الملك فرنسيس أن يجمع له من بلاد
ألمانيا طاقة كبيرة من العساكر ليستعين بها على الحرب مع الانكليز واعطاه
فرنسيس من الاموال المبالغ المتفق عليها بينهما لجمع الامير هنري العساكر
ولكن لم يذهب بها الى فرنسا بل اقتصر بها على بلاده مؤملا استرجاعها قبل
أن يصل اليه جيش يعوقه ويمنعه عنها فتصير اهل عصبة سمالكالد وكان الملك
فرنسيس أكثر منهم تعجبا من هذه الخيلة التي تزيى بالامراء ولا تليق بمقامهم
وجمع امير هبسة مع السرعة العجيبة ما يمكنه جمعه من العساكر لصعد عساكر
هنري واعانه عليه صهره الامير موريس واتاه مدد آخر من طرف الامير
منتخب سكس فأتصر عدة مرات على هنري وكان هنري المذكور
مع ما هو عليه من الجسارة والسرعة لدى المشروعات يهجز ويتردد عند تمييزها
فاضطر الى التسليم مع ابنه البكرى ووضع في سجن ضيق حتى تغيرت الاحوال
وتحلى سبيله

مطلب
اضرام هنري امير
برونسويك نيران
الحرب في بلاد ألمانيا

(سنة ١٥١٥)

مطلب

نشر دين المعتزلة
في اقليم بلاطينة
المسي عند اهل
النمسا فالذ

١٠ من شهر كانون

الثاني

مطلب

انقضاء المشورة
القيسية بمدينة
ترنت

وبنجاح امير هيسة في هذه الواقعة ازدادت شهرة المعتزلة ودخل دينهم في اقليم بلاطينة قويت بذلك شوكتهم وعظمت صولتهم وذلك أن الامير فريدريك الذي حكم على هذا الاقليم بعد اخيه لويز كان الناس يظنون فيه أنه ميل الى دين المعتزلة فلما مات اخوه لويز وتولى حكومة الاقليم المذكور اظهر على رؤس الاشهاد أنه من حزب المعتزلة وأنه لا دين له سوى دينهم ولكن لما كان يؤمل أن مشاور الديانة والمذاكرات الطويلة التي كانت تحصل في شأن الدين ستجر الى ادخال دين المعتزلة في اقاليمه لم يرض أن يخاطر بنفسه ويسعى في نشر الدين الجديد في بلاده الا أنه ستمت نفسه من طول مدة الانتظار ولم يرف في ذلك فائدة فاخذ يعرض دين المعتزلة ويبدل الجهد في تأييده لاسيما وكان رعاياه يلحون عليه بنشره في بلادهم لانهم باختلاطهم مع المعتزلة تمسكت من قلوبهم اصول الدين الجديد وعقائده وكانت حجة المعتزلة المتجاوزة الحد قد خدعت نيرانها وتناقصت عن حالها الاول ومع ذلك فانتشر الدين الجديد باقليم بلاطينة مع النظام التام حتى لم يحصل منه خلل اصلا ونسخت العبادة القديمة وخلفتها الجديدة بدون ظهور محنة ولا تمكير ومع ذلك كله فقد تأسى الامير فريدريك بالامير موريس حيث تباعد عن عصبة سمالكالذ ولم يرض بالدخول في زمريتها وقبل انتشار الدين الجديد في بلاطينة ببعض اسابيع افتتحت المشورة القيسية بمدينة ترنت مع الاحتفال والرونق المعتاد وكانت الدول القانوليقية قد عولت على هذه المشورة وقصرت رجاها عليها حتى انها من مبدء ظهور دين المعتزلة كانت تظن أن هذه المشورة هي اعظم واسطة في تعضيد دين الكنيسة وتأييده ولكن كان هناك اناس كثيرون يخشون أن لا يترتب على تلك المشورة فائدة للكنيسة لان الدواء اذا تأخر عن الدواء صار الداء عضالا ولما عادت عليه العناية بالنفع وكان قدمضي على دين المعتزلة ثمان وعشرون سنة وهو آخذ في الانتشار والازدياد حتى تمكن من قلوب العباد ومع أن البابا ذكر في القرمات الاخير الذي صدر منه بعقد المشورة القيسية أن اول مجلس لتلك المشورة

يكون في شهر اذار كانت مقاصده ميانة لمقاصد الايمبراطور فحقت السنة
بتمامها تقريرا والمذاكرة على حالها لم تنقض وذلك ان الايمبراطور كان يختشى
أن تشديد اوامر المشورة القيسية يتفرق قوس المعتزلة ويحمله على التأهب
للمدافعة عن انفسهم ووربما جعلتهم شدة الخلق والقيظ على ايقاع قننه كبيرة
فبذل غاية جهده في تأخير افتتاح تلك المشورة حتى يجهز ما يلزم من المواد
والمهمات ليأمن من عصبية المعتزلة ان حصل منهم قيام وعصيان ويجبرهم على
قبول الاوامر التي تصدر من تلك المشورة القيسية واما البابا فانه يبادر بيعت
رسله الى مدينة ترنتة لتسكون لهم الرياسة على المشورة نيابة عنه وخوفا
من أن يكون عرضة للازدراء والاحتقار اويسى الناس فيه الظن اذا هولهم يسع
في عقد المشورة القيسية حيث كانت الكنيسة اذذاك عرضة للخطر وذلك
يستدعي منه فرط الهمة ومزيد السعي فبناء على ذلك دقق في أن تنقل المشورة
القيسية الى مدينة من مدائن ايطاليا او توغرالى وقت آحر او تبدأ حالا
في المذاكرة بدون مهلة ولا تراخ فلم يرض الايمبراطور بالاخرين الاولين لانه
يترتب عليهما غضاب اهل ألمانيا من قائلين ببقية ومعتزلة ولما رأى أنه لا يمكنه
المحاولة في الامر الثالث امر بعقدها بشرط أن يبدأ فيها بالمذاكرة فيما يخص
العقائد الدينية وكان ذلك اعظم ما يختصا ديوان رومة حتى كان قصده
من محاولاته في ذلك انما هو منع البص في هذه المواد حيث كانت تخشى عواقبه
• ومع أن البابا پولس كان دون اسلافه من البابايات في التدقيق والشديد
في عقد المشورة القيسية لم يكن اقل منهم غيرة على شوكة وصولته فرأى
أنه ان بدت المشورة بالمذاكرة في هذه المواد تشفى فيه المعتزلة ورأى ايضا أنه
اذا كانت المشورة القيسية تجعل تلك المواد مطمح نظرها ولا تلتفت الى غيرها
وأن قسوس الدرجة الثانية يتصرفون كيف شاؤوا ويرتبون اصولا وقوانين
يعمل بمقتضاها القسوس الذين هم اعلى منهم منصباً واعظم شوكة واقوى صولة
اضر ذلك بالكنيسة كل الاضرار واوقعها هذا الامر في المذلة والصغار فبناء
على ذلك لم يصغ لقول الايمبراطور فاذا فؤادهم انهم يقتضون المشورة فوراً

(سنة ١٥٤٥)

١٨ من شهر كانون

الثاني

مطلب

أعمال المشورة

القيسية

نخض أول مجلس منها في بيان طرق المذاكرة وكيفية انعقاد المشورة وفي المجلس الثاني حصل الاتفاق على أن الأهم والألزم هو تحرير دفتر يشتمل على سائر العقائد التي تأمر الكنيسة باعتمادها والتصديق بها وأن يبعث عن الوسايط التي يترتب عليها تحسين أخلاق القسوس وحملهم على الاستقامة وحسن السلوك فبمجرد أن سمع المعتزلة ذلك من نواب البابا ورأوا أنهم نطقوا به على وجه يشعر بالتكبر والامر لاعلى وجه ابداء الرأي وأن أغلب أرباب المشورة قد اظهروا والاعتقاد والامتنال لقول هؤلاء النواب علوا ما يصدر في حقهم وما سيحكم به عليهم في هذه المشورة وتعجبوا لكل العجب حيث رأوا أرباب قيسا من الأعيان (لأنه لم يعهد مثل هذا القدر في مشورة أخرى) يجعلون انفسهم نوابا عن الكنيسة ويحكمون بطريق النيابة عنها في المشكلات من العقائد الدينية بل لحق المشورة نفسها من الخزي والخلل من تلك الوقاحة وعدم الحشمة ما افضى بها الى البطي والتراخي في المذاكرة حتى مكثت مدة وهي بهذه المناسبة وبمجرد ما بلغ عصبة سمالكالدا اقتراح تلك المشورة نشروا تقرير اجديد يشتمل على تطلهم وتشكيهم من انعقادها وعلى الاسباب الحسنة لهم على عدم اقرارها والرضا باحكامها ومع ذلك كان كل من الإمبراطور والبابا لا يأمر بالاسراع في المذاكرات حتى ظهر أنهم مشغولان بمهمة أهم من ذلك واعظم

مطلب

خوف المعتزلة

ولكن كان المعتزلة لا يمكنهم ان يغفلوا عن حركات الإمبراطور والبابا واطوارهما بل كانوا يرتابون من ذلك وتزايدت بهم الوسواس والاهوام بما كان يبلغهم من سائر الجبهات من اخبار العصب التي كانت تدبر في شأنهم فقد أخبرهم ملك انكثرة بأن الإمبراطور معهم منذ مدة طويلة على محق دينهم وابطال عقائدهم ولا شك أنه في هذا الوقت ينجز ذلك الغرض لان بلاد ألمانيا في صلح وامن بخالية عن الفتن والتهكيرات فليس له فرصة في هذا المعنى اعظم من ذلك وكذا تجارة مدينة اوكسبورغ التي كانت حيثئذ من أعظم المدائن التجارية أخبرهم مراسلوهم الذين كانوا يلاذ ايطاليا وكانوا يميلون باطنا

مطلب
مذاكرة المعتزلة

الى دين المعتزلة بأن الاميراطور واليا قد تعصبوا على المعتزلة عصبية
خطرة وبلغهم ايضا من مملكة البلاد الواطية أن الاميراطور قد أمر بجمع
عساكر منها ومن غيرها من دوله لكن مع الاحتراس التام في اخفاء هذا الامر
فكل ذلك قوى الريية والوسواس في نفوس المعتزلة حتى جزموا بأن الاميراطور
قد نوى لهم نية سيئة وداخلهم العرب والفرع فاجتمع وكلاء عصبية
سما الكالد بمدينة فرتكفورت واخبر بعضهم بعضا بما عنده حتى يتقنوا
أنهم صاروا عرضة للاهوال والاختار ولكنهم لم يكونوا في الالتئام والاتحاد
مع بعضهم بقدر ما كانت تقتضيه الاحوال اذ ذلك ولا ما تستلزمه التجهيزات
الجسيمة التي كان اعداؤهم يتأهبون بها فان تلك العصبية وان كانت موجودة
منذ عشر سنوات الآن اراضى اغلب الامراء الذين كانوا من اربابها كانت
متداخلة في بعضها وكاتب العائلات متزوجة من بعضها وكان بين تلك البلاد
معاملات ومخاطبات كثيرة فاجب بذلك أن صارت كل بلدة تدعى على
الآخرى وكل امير يدعى على الآخر وكل عائلة تريد اثبات حقها على الآخرى
وحصل الشقاق والتنافس بينهم فكان بعضهم يحيل مثلا الى دوق برونسويك
ويطلب حاكم هيسه على اساءته لهذا الدوق القليل الحزم والحظ ومعاملته له
بالقسوة والصعوبة وكان بعضهم يتهم كلاما من الامير منتخب سكس والامير
حاكم هيسه رئيسي العصبية بأنهما الاسرافهما وعدم تدبيرهما قد اوقعا
المتحصنين فيما نفدت به اموال كثيرة ومبالغ جسيمة بلا فائدة وكان هذان
الاميران العظيمان لقوة شوكتهم ما وصلتهم ما يحكم على العصبية ويتصرفان
فيها بما ارادا ولكن كانت مقاصدهما متباينة واغراضهما مختلفة حتى فترت
هتما حين كانت الاحوال تقتضى مزيد الالتفات واليقظ اما حاكم هيسه
فكان مع جسارته وعدم اكترائه بالاهوال واقتحام الاخطار لا نفسه غيره
الدينية مصالحه الخصوصية واغراضه السياسية فقال ان اعظم واسطة
تقي المعتزلة مما هم عرضة له من الاخطار هو سعيهم في الدخول تحت حاية ملك
فرانسا وملك انكلترا او معاهدتهم مع اطاليه المعتزلة من بلاد السوسة

(سنة ١٥٤٥)

فانها تعينهم كل الاعانة وامانتخب سكس الذى كان اعظم اهل ذلك العصر عدلا واستقامة فكان لا يهجز عن الحكم مع الحزم والحدق في اوقات خالية عن الفتن والتعكيرات الا أنه كان شديد التوكل بدين لوتير حتى حمله ذلك على بغض من كان يشك ولو في عقيدة واحدة من عقائد هذا الدين فأقضت به غيرته وحيثه على الدين الجديد أن صار لاتسعه المدافعة عنه في اوقات الفتن والتعكيرات وكان يعتقد أن اسور الدين تقتضى اصولا وقواعد مغايرة لاصول السياسة فضل بتعويله على آراء لوتير الذى كان لاعرفه له بالاصول السياسية بل كان يحتقرها ولا يعاها فلذا كان هذا الامير شديد العناد وطالماجر عناده الى الاضرار بحزب المعتزلة ولما كان بهذه الصفة ابى أن يدخل في المعاهدة مع الملك فرنسيس متعللا بأنه كان يحجب بحزب المعتزلة الذى هو على الحق وابى ايضا أن يعاهد مع ملك انكلترة حيث كان يرى أنه اشد كفرا وضلالا من البابا وامتنع من معاهدة اهل السويصة لانهم كانوا يخالفونه في بعض عقائد من دين المعتزلة كان يراها صحيحة لا بد للدين منها ولا تخفى عاقبة اختلاف هذين الاميرين وتباين آرائهما في مثل هذا الغرض المهم فان كلا منهما كان يلوم الاخر وينسب عليه سراً * أما حاكم هيسه فكان يرى أن عقل منتخب سكس ضيق قاصر قد استولت عليه الاوهام الفاسدة والعقائد الكاسدة وهذا لا يليق بامير كان صدر حزب المعتزلة ورئيس عصبتهم واما منتخب سكس فكان يتهمة بالتساهل وان له اغراضا مبنية على الطمع لا تليق بهذا الغرض المحترم المتعلق بامر الدين الذى تصديا لتعضيده وتأييده ومع أن تدقيق منتخب سكس منع من اتهامه بالفرصة في الاستعانة بالاجانب وكذلك ما كان بين الامراء من الغيرة والمنافسة منع من ضرب اجل آخر للعصبة لان اجلها المعين كان قد قارب التمام اجمع اهل تلك العصبة لما قام بهم من التفرع على امور اخرى يحتسرون بها فانفتحت كلتهم على أن لا يقرؤا انفساد المشورة بمدينة ترنت ولا يرضوا باضرار مطران كولونيا في نظيره كونه اراد ادخال الدين الجديد في ابرشيته

(سنة ١٥٤٦)

مطلب
مداولات المعتزلة
مع الإمبراطور

ولما أراد حاكم هبة أن يقف على حقيقة مقاصد الإمبراطور و كان يعلم أن الأمير غرانويل لا تخفى عليه تلك المقاصد كتب إليه يفيد عن بعض حوادث أوقعت الشك والريبة في قلوب المعتزلة من الإمبراطور وطلب منه أن يخبره بحقيقة الحال حتى يعلم المعتزلة ما لهم وما عليهم فأجاب غرانويل بأن ما بلغ المعتزلة في شأن تجهيزات الإمبراطور لا يخلو عن مبالغة وأن فزعهم لم يصادف محلا وإنما الواقع أن الإمبراطور لم يجد قصد حفظ ضواحي ممالكه وأنهم من تعدى مملكة فرنسا ومملكة انكلترا صدرت منه أوامر بجميع عساكر قليلة من مملكة البلاد الواطية وهو لا يود الإبقاء الصلح والامن في بلاد ألمانيا

ولكن لم تكن حالة الإمبراطور موافقة لهذا الخبر لانه عوضا عن أن ينتخب اناسا مشهورين بحسن الاخلاق وطيب النفس للمدافعة عن الدين القاتوليقي في المذاكرة التي انخط الرأي عليها انتخب اناسا قلة منهم بدين القاتوليكية اكبر من نوع منتخب سكرس بدين المعتزلة فحصل اليأس والقنوط من امكان الاصلاح بين الفريقين وذلك أنه تكفل بتأييد الدين القاتوليقي قيس من قسوس اسبانيا يقال له مالوانده فدافع عنه سالكا في ذلك ممالك العلماء المتفلسفين الذين من دأبهم التدقيق في المحاورات والمناظرات لاجل الختام النخصم لا لاظهار الحق فغضب المعتزلة من مشاغبه وسفسطايتيه وتطلبوا من عدم انصاف القوانين التي امر الإمبراطور بالعمل بمتضاها في هذه المذاكرة وتركوا المجلس وفشوا المشورة على وجه خشنى جازمين بأن الإمبراطور لم يقصد الاتحاد عنهم ومشاغبتهم حتى يتسع معه الوقت ويدبر أمره كيف شاء

انتهت المقالة السابعة

المقالة الثامنة

من انحاف ملوك الزمان * بتاريخ الإمبراطور شرلكان
وبينما كانت الاخطار تزداد بتداول الايام حتى اشرفت النيكبات أن تنال المعتزلة اذا خترمت النية لوتير واستراح من رؤية تلك الشدائد والنيكبات المنفرعة

مطلب
موت لوتير

(سنة ١٥٤٦)

١٨ من شهر شباط

مطلب
طبع لوني

وذلك أنه كان ضعيف الصحة وبلغه وقوع فتنة في مدينه ايسلبان التي هي
اصل غرسه ومسقط رأسه فتوجه اليها في شدة القز والبرد فاصدا اطفاء نيران
هذه الفتنة وكانت بين قوتات مانسفيلد فاصيب بالتهاب شديد
في الامعاء افضى به الى الموت بعد ايام قليلة في السنة الثالثة والستين من عمره
ولما كان قد اعدده الله سبحانه وتعالى لتجيز حادثة من اعجب الحوادث التي نقلها
الينا التاريخ اختلف آراء معدي مناقبه قدحا ومدحا اختلافا لم يقع لاحد
قبله وذلك لاضطراب آراء اهل عصره في شأنه فكان بعضهم لشدة غضبهم منه
للكونه تجاسر على نسخ جميع ما كانوا يؤدون بقاءه لادهامهم الباطلة
اولصالهم الخصوصية وبعدونه من الاركان المقدسة التي لا يجوز هناك حرمتها
يصفونه بأنه جامع بين فواحش الانسان وخبائث الشيطان وكان بعضهم يحبه
ويثنى عليه ويقول انه مصباح الدين وواقع اعلام حريته وينسب اليه من
الفضائل ما هو فوق طاقة البشر حتى كان يعتبر جميع افعاله ويحترمها الاحترام
الذي لا يحظى به الا الانبياء والاصفياء ولكن لا ينبغي لاهل هذا العصر من الافرنج
أن يحكموا عليه بموجب قدح معاصريه او مدحهم فان ذلك لا يخلو عن مبالغة
بل الحكم عليه بموجب سلوكه وافعاله فيقال ان لوتير كان له نولع كبير
بما وقع في ذهنه أنه الحق فنشره مع المهمة العجيبة ودافع عنه مع الحدة والمهارة
التي كانت فيه بالطبع او اكتسبها من مطالعة الكتب العلية وكان لا يكل ولا يمل
من تأييد ما يعتقد أنه الحق وتعضيده وكان في هذه الصفات على اعلى درجة
حتى ان اعداءه لم يمكنهم منازعته فيها ويزاد على ذلك انه كان مهذب الاخلاق
وكان يسلك مسلك التقشف والتعفف الذي يليق بامثاله من المشرعين
المصدين لازالة الفساد والمآثم وكانت معيشته تلايم مذهبه وتدينه وتلتزمه
عن الاغراض وتسويته بين الناس كان لا يشك احد في حسن نيته وصفاء باطنه
وخلوص طوره وبالجملة فكان لا يعتنى بمصالحه الخصوصية بل يحترم الرفاهية
وانواع الزينة والملاذق كالمناصب والوظائف الدينية وتتره عن الارادات
القيسية لاجرا به واتباعه واكتفى بوظيفته الاولى وهي وظيفة الوعد بمدينة

وبتأثيره حيث كان مولفا بالتدريس في مدرستها واكتفى بالمهية القليلة
التي كانت مرتبة لهذه الوظيفة غير أن هذه الصفات العجيبة كانت مشوبة ببعض
مثالب لا يسلم منها النوع البشري وان كانت لا تمدل على خبث نفسه ولا سوء
سيرته لانها ناشئة عن افراطه في الفضائل وحيد الخصال افراطا تجاوز فيه
الحدة وذلك أنه بالطبع كانت له حية شديدة فكان اذا حصل مقتضيا
في مقصد جسيم او مشروع عظيم تخرج به عن اطواره وتورثه شدة عجيبه وقوة
غريبة تعجب منها العقول الضعيفة وتستغربها النفوس التي ليست بالهمة
موصوفة ويفزع منها كل من لم تلحقه نكبات الدهر وخطوبه ويجزع منها من
لم تلم به صروف الزمان وكروبه فقد كانت بعض صفاته المحمودة تتجاوز حدودها
فتفضي به الى ارتكاب ما يلام به عليه حيث كان يقنه وجرمه بعينه آراءه
واصول مذهبه يجره الى التكبر والازدراء بغيره وكان اهتمامه بتقديم هذه الآراء
وتوسيع دائرتها انما هو مخاطرة ومجازفة وكان تثبته في تأييدها ليس الاعنادا
ومخالفة ولم تكن حيته في الخفام اخصامه الاجنوا تارتب عليه مسببات شنيعة
وانقاصات خشنة قطيعة ولما كان طبعه ترجيح ما يرى أنه الحق على الباطل
واحترامه غاية الاحترام كان يلزم غيره بأن يحترمه مثله ولا يلتفت الى قصور
عقول الناس ولا الى ما هو متكن في نفوسهم من العقائد الباطلة والالوهام
العاطلة فكان يحتقر من لا يعتقد اعتقاده ويقدر فيه ويشنع عليه واذا
تعرض احد من اخصامه للقدح في مذهبه اساءه ولم يوقره غير ملتفت الى كونه
خطيرا او حقيرا ولا الى كونه من ذوى الفضل او غيرهم الا ترى مسبته للملك
انكسرة والعالم ايراسم بما سب به من دونهما وهو تنزيل واكسيوس
ولكن لا ينبغي أن يقتصر على نسبة تلك الاسآت والمسبات الى مجرّد حيته وحدة
طبعه بل ينسب ذلك ايضا من بعض الوجوه الى فساد اهل عصره وجهالتهم
فان الناس كانوا حينئذ خشنيين لامعرفة لهم بالاصول التي تمنعهم عن شهوراتهم
وتردعهم عن اهوائهم قهصن بها الجمعيات البشرية وتكتسب بها التزين بزيينة
الانس والالطافة فكانوا في مقام المجادلة تبلغ بهم الحية متها لا ان ما يقوم

بانفسهم الخشية تفصح عنه السنتهم بما هي متعقدة عليه من عدم الرقة والملاطفة وكانت حينئذ جميع تالكيف العلماء باللغة اللاتينية وكانوا يستهزئون فيها باخصاصهم استهزاء فاحشا ويشنعون عليهم اقطع تشنيع فاقتدى بهم في ذلك لوتير وغيره الا ان الاساءة بلغة مهجورة كهذه اللغة يظهر أنها اقل غشا مما اذا كانت باللغات المشهورة المستعملة لان الفاظ تلك اللغات لتدوا لها بين الناس وكونها مطروقة على السنتهم تطهر بها الاساءة الخش واشنع مما اذا كانت بالفاظ اللغات المهجورة

واذا اردت الوقوف على طبيعة انسان فاحكم عليه بما تقتضيه اصول عصره واحكام زمانه لان الفضائل والذاتل وان كانت لا تتغير بتداول الازمان الا ان الاخلاق والعوايد يلحقها التغيير والتبدل فانظر لنا الان مذموما في افعال لوتير لم يكن بهذا الوصف عند اهل عصره بل حصل ان بعض الافراطات التي نلوم عليها الان قد اعانته على تبحر مشروعاته ومقاصده فكان لا بد من شدة الحمية وفرط الجسارة في ايقاظ هؤلاء الناس اذ الذين غفلت اليهمالة ونشاهم من احوال الازهام واما الذين والرفق فكانا لا يؤثران شيئا في تلك النفوس الابية فلو كان هنالك من هو اكدر قاض لوتير واقل منه حمية لخشي أن يخاطر بنفسه ويعرضهم للهلك فيما اقتحمه لوتير من الاخطار ونظر فيه بمرامه وفي اواخر عمره لم تفرغ همته ولم تنقص معارفه بسبب ضعف صحته بل ازدادت حيمته واشتدت غيرته وصار اقرب للغم والغضب ولا يجد في نفسه صبرا عند المجادلات وقد خفى نجاح حيمته حيث رأى انتشار دينه واتساع دائرة مذهبه في جزء عظيم من بلاد اوربا ورأى زلزال اساس شوكة البابايات واضطراب صولتهم ولم يسلم من العجب والكبر بسبب اطهار بعض ما قام بنفسه ولولا ذلك لخرج عن دائرة البشر لما انجزه من المشروعات الجسيمة والمقاصد العظيمة

وقبل موته بمدة احس بالمخطاط قواه وتناقص صحته وضعف بنيه لانه مع كثرة مصالحه كان مشغولا آناء الليل واطراف النهار بادهاء وظائفه ولما فاسد مدة عزله

وخلوته من التعب في التأليف حتى بلغت مؤلفاته مجلدات ضخمة ولما قربت وفاته لم يزل على عزمه المعتاد فكان يتحدث مع احبابه واصحابه في شأن السعادة الابدية المتخوة لاهل الحق والعدل في الدار الآخرة وبعد أن تضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يجعل له حظاً في تلك السعادة شق شقة فارق بها الحياة وفرح القانولية ككل الفرح حين بلغهم خبر موته وفترت همه احرابه لان كلامه المعتزلة والقانولية كان لا يظن أن الدين الجديد قد تمكن حتى يمكن بقاؤه بعد تقدم وضع اساسه وقد صنع له منتخب سكس جنازة غريبة ذات ابهة واحتفال واعقب لوتير عدة اولاد من زوجته كاترينة بورة التي عاشت بعده وفي اواخر القرن الاخير كان يوجد ييلاد سكس من ذريته من هو مقاد بعض الوظائف السامية والمناصب الجليلة العالية

ثم ان الايمبراطور لم يزل على منهجه القديم من خداع المعتزلة ومحاولتهم فكان يداهم ليزيل ما في قلوبهم من الرعب والخوف ولاجل اتقان الخداعة والمداهنة اختلى مع حاكم هيسة وكان امهر عصابة المعتزلة واشدهم احتراساً من الايمبراطور فلما اجتمعوا في الخلوة افاده الايمبراطور أن آماله متعلقة بتحصيل السعادة والراحة لبلاد ألمانيا وأنه يفيض سلوك مسالك الشدة والعنفوان وأنه لم يعقد عصابة لانضرار المعتزلة ولم يجهز تجهيزات توجب رعبهم وفزعهم واكد ذلك حتى ان حاكم هيسة خرج من عنده وهو على غاية من الامن والاطمئنان فترتب على هذه الحيلة ما كانت آمال الايمبراطور متعلقة به وذلك أن حاكم هيسة بعد هذه المقابلة التي حصلت بينهما بمدينة سيرة توجه فوراً الى مدينة ورمس وكان ارباب عصابة شمال كالدي مجتمعين بها فبالغ لهم في حسن مقاصد الايمبراطور وحكى لهم ما شاهدوه منه فراء وأنه لا فائدة في التجهيل بالاحتراس من خطر بعيد الوقوع او وهي لاحقة له وسبب ذلك أن دأب اهل ألمانيا وطبيعتهم التواني وقتور الهمة وأن عقولهم غلب عليها البطور والتردد الذي لا تسلم منه المشاور والجمعيات الكبيرة لدى المفاوضات والمذاكرة

مطلب

سعى الايمبراطور
في تخداع المعتزلة

٢٨ من شهر اذار

(سنة ١٥٤٦)

مطلب

ما حكمت به الجمعية

القيسية في شأن

المعتزلة

٨ من شهر نيسان

ولكن عما قيل حصلت حوادث جديدة ازالت اعتقاد المعتزلة في صحة مواعيد
الإمبراطور وذلك أن المشورة القيسية المتعقدة في رتبته مع أنه لم يكن فيها
الأعداد قليل من قسوس إيطاليا وإسبانيا ولم يحضرها أحد من رسل
المعتزلة أرادت تلخيزها من مكهاز مناطو بلا بدون تخبيز شيء أن تنهى بعض
مسائل مهمة فامتحنتم أولا الغرض من المنازعة والشقاق بين الكنيسة وحرب
المعتزلة وحكمت برأيها التي تعبر عنه بأنه المقره عن الخطأ والزل أن الكتب
الدينية التي كانت محكوما عليها الى ذلك الوقت بانها منكروه ولا تقرها الكنيسة
تكون من الآن فصاعدا معتبرة معمولا بها كسائر كتب العهد القديم والجديد
المعتبرة دستور العمل في زمن بني اسرائيل وأوائل النصرانية وأن الروايات
المحفوظة في الكنيسة المأثورة من عصر الحوار بين تكون ايضا معتبرة محترمة
ككتايف المصنفين من القديسين وأن الكتاب المسمى وولغاته وهو
ترجمة الكتب المقدسة باللغة اللاطينية للقدّيس جيروم يجري عليه العمل
في سائر الكنائس والمدارس ويكون الاعتماد عليه والرجوع اليه وأنه صحيح
الترجمة محتررا العبارة ودعوا باللعنة على من يناقض في صحة ما حكموا بهتة فلما
رأى المعتزلة أن هذا الحكم يضرّ بدينهم علموا ما ستحكم عليهم به تلك المشورة
حين ترى لذلك فرصة وتمتن عقائدهم تفصيلا

وكما اسرعت تلك المشورة في الحكم بخطأ عقائد المعتزلة اسرع البابا بعقاب من
كان يعتقد هاوي عمل بها وذلك أن رهبان كولونيا رفعوا شكواهم
في مطرانهم الى ديوان رومة فاتخذ البابا ذلك وسيلة في اطهار بطشه ووصلته
ليرى قسوس ألمانيا أن مقاومة الكنيسة الرومانية اناهي غرور وخاطرة فلما
مضت المدة المعلومة ولم يحضر المطران ولا من ينوب عنه حكم عليه بأنه من
المعتزلة الخوارج وصدر منه فرمان بكفر هذا المطران وحرمانه من نعم الكنيسة
وعزله عن مناصبه القيسية ومعافاة رعاياه مما يجب له عليهم من الأذعان
والطاعة من حيث كونه حاكما لهم السياسي وكان هذا فرمان مبنيا على أن
المطران المذكور قد استحق هذا الحكم لكونه تصدى لحمامة دين لوتير

١٦ من شهر نيسان

والانتصار له ومع ما كان يبذله البابا من الجهد في المدافعة عن حقوق الكنيسة
واذلال من تجاسر على هتك حرمتها لم يعتقد المعتزلة أنه قد تجاسر من تلقاء نفسه
على فعله ذلك بهذا المطران الذي هو ملك عدة دول ومعدود من مناصبي
الامبراطورية بل جزموا بأنه معقول في ذلك على ذي شوكة قوية حتى تجاسر
ونفذ امره في هذا المعنى وغضبوا كل الغضب من هذا القرمان ورأوا أنه
دليل على خبث طوية البابا والامبراطور في حق حزمهم وجماعتهم

مطلب

بده الامبراطور
في اظهار عدوانه
للمعتزلة

وقد ازدادت حجتهم بمآثرهم لهم من أن الامبراطور كان يسلك معهم
سبل المخادعة والمداهنة وقد رأى الامبراطور ايضا أنه يلزم كشف الخبايا واطهار
مقاصده ولما لم يكن مستعدا حق الاستعداد بما يلزم لتخفيف اغراضه صار يحاول
ويجادع حتى اتسع معه الوقت واخذاهبته وكان البابا يحكمه على منتخب
كولونيا وبالاوامر الصادرة من المشورة القيسية قد غير احوال المصالح
حتى كان لابد من وقوع التفاهم والشقاق بين المعتزلة والامبراطور فبناء على ذلك
لم يبق للامبراطور الا أن يفعل احدا من اياها أن يناقض الكنيسة الرومانية
في الاحكام الصادرة عنها او يقوم بتعصدها وتأيد يددين القائلين بغيرية
المعتزلة ولكن لم يكتف البابا بكون هذه الافعال قد اذمت الامبراطور باظهار
مقاصده بل اخذ يلج عليه باضرار المعتزلة وتدبيرهم ووعدوه أنه يساعده بكل
واسطة تعينه على التبحر والظفر بهم فانظر الى البابا كيف اخضت به حجته
الشديدة الى نسيان قاعدة سياسية من قواعد الكنيسة وهي منع الشوكة
الامبراطورية عن أن تتعدى حدودها وأنه لقد صدحى المعتزلة اتخذ له سدا عاد

مطلب

مداولات الامبراطور
مع البابا

عليه وعلى سائر بلاد ايطاليا بالضرر
وكان الامبراطور حينئذ لا يخشى أن تفسد عليه الدولة العثمانية مقاصده وتعوقه
عن تخفيف حال المداولات كانت لم تزل مستمرة بينه وبين هذه الدولة منذ انعقد
صلح كريسي وكانت تلك المداولات قريبة الانتهاء على احسن حال وكان ملك
فرانسا يريد انقاذ نفسه مما وعد به الامبراطور من الانضمام معه لقتال
السلطان الذي كان حليفه من قبل وذلك أنه لما كان انضمامه الى الامبراطور

مطلب

المهادنة المنعقدة
بين الامبراطور
والسلطان سليمان

(سنة ١٥٤٦)

قتال السلطان الذي كان حليفه من قبل وذلك أنه لما كان انفضاه
الى الاميراطور قتال هذا السلطان مما يرى به ويخشى عرضه بذل جهده
في ايقاع الصلح بين السلطان والاميراطور فرضى السلطان بمهادنة خمس سنوات
رعاية لخاطر فرنسيس لاسيما وكان الاهم له اذ التحول قواه الى محاربة العجم
لانهم كانوا يحاولون الهجوم على دوله وكان البند الاصل في مشاركة هذه
المهنة هو أن كلامن الفريقين يبقى مستوليا على ما هو تحت يده من بلاد البحار
والترزم فردينشد أن يدفع للسلطان كل سنة خمسين الف ايكو على
سبيل الجزية

مطلب
استمالة الاميراطور
للاميرموريس وغيره
من اعيان امراء المانيا

ولكن كان الاميراطور يعتمد كل الاعتماد على الامداد الذي كان يرجوه من بلاد
ألمانيا لانه كان يعلم أن الجمعية الجرمانية لكبرها واتساع بلادها يتعذر عليه
تحملها وقهرها اذا اتحدت والتأمت مع بعضها فلا يمكنه أن يدخلها تحت الطاعة
الا اذا وقع الشقاق بين اهلها ووسط بعضهم على بعض ولو فور خطه كانت الروابط
حينئذ بين اعضاء هذه الجمعية ضعيفة واهية فكانت اجزائها تحاول الانفصال
عن بعضها حتى كان من المستحيل أن تنضم الى بعضها لتخيز عرض مهم
او مشروع جسيم لراكم اسباب التفاقم والشقاق وتكاثرها بينهم وذلك
أن القساوولية الرومانيين لما رأوا أن اعلام دينهم قد تنكست في عدة اقاليم
ورأوا أنه صار قريبا الزوال في عدة اقاليم اخرى قامت بهم حجة عجبية حتى
ظهر عليهم أنهم مستعدون لان يذلوا جهدهم في اعانة من يهدم بدمير المعتزلة
ويسعى في محو دينهم وكان قد اشتد الغضب بالامير خنادوبراندبورغ
والامير ألبرت دوبراندبورغ وغيرهما من امراء ألمانيا لما صنع اهل
عصبة سمالكالا مع الامير دوق دوبرونسويك فكانوا جميعا ينتظرون
مع القلق التام فرصة تعينهم على اخراجه من السجن والانتقام له من اعدائه
وكان الاميراطور شرلكان يزاد فرحا كلما ازداد اعداؤه فلما رأى أنهم
صاروا مستعدين لقبول ما يعرضه عليهم ظن أن الاوفق به تسكين غضبهم واتحاد
نيران جيتهم لاضرامها

(سنة ١٥٤٦)

مطلب
انحطاف مشورة الديتة
بمدينة راتسبونة

فهكذا سكنت حالة المصالح واحتراس الايمبراطور من جميع الحوادث حين افتتحت مشورة الديتة بمدينة راتسبونة وقد حضر في هذه المشورة اغلب اعضائها من القانوليقية بانفسهم واما ارباب عصبة سمالكالده فارسل عدة منهم اليها تواقيا متعللين بأنه لا يمكنهم تحمل المصاريف في هذه المشاور التي لا فائدة فيها • ولكن السبب الحقيقي الذي منعهم عن الحضور بها انما هو اربابهم من الايمبراطور وخوفهم من أن يحصل لهم فيها الزام واصرار على اقرار ما يعرض على ارباب المشورة ومع ذلك فقد افتتح الايمبراطور المذاكرة فيها بخطبة سلك فيها مسلك الخداع والتخيل والمكر وذلك أنه اتي فيها بالقفاظ بجملة مبهمه توهم رغبته في تحصيل سعادة الجمعية الجرمانية وأنه لفرض نشر الامن والاطمئنان به اترك مصالحه التي تخص نفسه واني أن يقبل قول رعاياه من الاسبانول وغيرهم في الحاحهم عليه بالاقامة عندهم والمكث في بلادهم ثم قال مع الحماسة والغضب انه قد تحلف جماعة من اعضاء المشورة عن الحضور بهامع حسن نيق وطيب سريري وقد حضرت فيها بنفسي وتركتم مصالحني الخصوصية ثم تكلم في شأن المصائب الحالمة بالناس بسبب ما وقع بينهم في الدين من التزاع والشقاق وتشكى من كون ما بذله من الجهد في تسكين هذه الفتنة قد ذهب سدى وصار عديم الجدوى وتشكى ايضا من خروج المعتزلة مغضبين من المذاكرة الاخيرة وختم الخطبة بطلبه من ارباب المشورة أن يتذاكروا ويسدوا آراءهم بما يكون به ازالة هذا التزاع الواقع في الدين ييلاد ألمانيا وما يكون به ايقاع الالفة والاتفاق بين عقول الالمانيين في العقائد والاصول الدينية حتى تصير العقيدة عند الجميع واحدة ويكونوا على ستن آياتهم واسلافهم حيث كانوا يرون أن هذا الاتحاد يعود بالنفع على مصالحهم السياسية حسبما يقتضيه دين النصرانية الذي كانوا يتدينون به ويعملون بمقتضاه

فبهذه الطريقة الخداعية التي سلكها الايمبراطور في طلب آراء ارباب المشورة عوضا عن أن يلزمهم برأيه ترى من حاله أنه على غاية من التواضع يحاول بذلك

(سنة ١٥٤٦)

أن يعرب عافي ضميره مظهرا أنه لا يثبت لنفسه حق سوى كونه يعجز ما يحكم به
ارباب تلك المشورة لكنه لم يظهر الاذعان لما تخط عليه آراؤهم الا يجزمه بأنهما
تلايم اغراضه ومقاصده اتم الملايمة فاجابه القائلون ليقية لمجتهد على دينهم
اولما يعهدونه فيه من الاعانة لحزبهم بأن المشورة القيسية المنعقدة في ترثة
ستحل كل اشكال من المسائل الخلافية وأن كل نصراني يجب عليه أن يذعن اليها
ويجتدل لا و امرها من جهة ككونها احكاما دينية منزهة عن الخطأ والزلل
ثم ترجوا الايمراطور أن يستعمل ما اتفق الله به عليه من الصولة وعظيم السطة
في حماية هذه المشورة وحل المعتزلة على الاذعان لما تحكم به هذا وقد قدم المعتزلة
تقرير اذكروا فيه مناقضتهم في شأن مشورة ترثة ثم ذكروا أنه لا سبيل
الى انهاء المنازعات والمجادلات الا اذا انقضى في ألمانيا مشورة قيسية
اوامية وحضرها وقد ار معلوم من قسوس الفريقين ليجنوا في المسائل
الخلافية ويحكموا فيها كما يرون ثم ذكروا أن عدة من مشاور الديانة
قد ساعدتهم في هذه الامور حين عرضوها عليها حتى اتملوا أن المنازعات
سيكون انماؤها على احسن حال وناشدوا الايمراطور ان لا يخفف وعده لانه
بضيقه وتشديده في الامور الدينية وحل الناس على اعتقاد ما لا تقبله عقولهم
يوقع بلاد ألمانيا في مصائب وشدائد مجرّد تصورها يشعن بالفرع والازعاج
قلب كل من احب الوطن حباصا دائما فتلقى الايمراطور هذا التقرير وهو يشتم
كالمستهزئ ولم يعأبه ابد الا انه كان قد صمم على ما انخرم منذ زمن طويل فلما رأى
أنه لا يمكنه فتح المعتزلة الا بالقوة والجبر بعث كرديتال ترثة الى رومة
ليعقد مع البابا معاهدة كانت شروطها معلومة قبل عقدتها وامر في ملكة
البلاد الواطية بجميع طائفة من العساكر لتوجه الى ألمانيا وامر عدة ضباط
بجمع عساكر من بعض اقاليم الايمراطورية ثم اخبر الامير خنداو دوبراند بورغ
والامير ألبرت دوبراند بورغ بأنه قد آن اوان المساعدة وأن هذا الوقت
يعينهما على خلاص حليفهما الامير هنري دوبرونسويل
ولم تحب هذه الامور على المعتزلة لأن من اودعوا هذا السر كانوا كثيرين كفرة

مطلب

فرع المعتزلة

بالغة ومع أن الإمبراطور كان لم يزل يتحلى في إخفاء مقاصده كل ضباطه لا يسلكون في ذلك مسلك الاحتراس أصلا بل كانوا يتحدثون بتلك المقاصد أمام حلفائه ورعاياه فخلق رسل المعتزلة فزع كبير من التجهيزات الحربية التي كانت نصب أعينهم والتسوا من الإمبراطور أن يأذن لهم في الدخول عنده وسألوه على لسان ساداتهم عن العساكر التي جمعها هل هي بأوامره وما قصد به يجمعها ولا شيء عدوا عنها ومثل هذا السؤال الصريح في وقت لا يمكن فيه انكار الواقع كان يستلزم جوابا صريحا لئلا ينعكس الإبهام والمحاولات فمن ثم اعترف الإمبراطور بأن جمع العساكر إنما هو بأمره ولكن ليس قصده بذلك إضرار أحد في شأن الدين من أحسن السلوك ولم يخرج عن طاعة ملكه وأعاد أنه يريد تعضيد الحقوق والمزايا الإمبراطورية بعقاب بعض أمراء من أرباب الفتن والدعائس الذين قبح سلوكهم يخشى منهم تقصير ترتيب الإمبراطورية وإفساد قوانينها القديمة في هذا الجواب المبهم لم يقصص الإمبراطور عن ريداذلالهم ومع ذلك ظهر من حاله أنه يريد بذلك كلاما من منتخب سكس وحاكم هيسة حتى إن رسلهما رأوا أن كلامه هذا ليس الا طلبا للعرب وسافروا حالاً من مدينة راسبونة

مطلب

المشاركة المتعقبة

بين الإمبراطور والبابا

٢٦ من شهر زاموز

وأما كردينال ترنت الذي أرسله الإمبراطور لعقد المعاهدة مع البابا فلم يجد صعوبة فيما كان مبعوثا يصده وذلك أن البابا كان مسرورا بعدم ردة الإمبراطور لا غرضه ومقاصده فرضى عن طيب نفس بجميع ما عرض عليه من طرفه حتى تم أمر المعاهدة بعد دخول الكردينال في رومة بأيام قليلة وكان سبب عقد هذه المعاهدة خطر الاعتزال الواقع ببلاد ألمانيا وعند المعتزلة وامتناعهم عن إقرار المشورة القيسية المتعقبة في ترنت وضرورة إبقاء الكنيسة على احترامها وعزتها ونصوا في المشاركة على أنه لا جمل منع ازدياد المصيبة وعقاب من سعى في نشرها يلزم أن الإمبراطور يبرز إلى ميدان الحرب يجهز يكتفي في فتح من إقرار المشورة القيسية وعادل عن دين أبياته واسلافه والزامه بالدخول تحت طاعة الكنيسة الرومانية حيث

(سنة ١٥٤٦)

انه مكث زمنا طويلا وهو يسلك طريق الرق ولين الجباب ولم يجد ذلك نفعا
والتزم الإمبراطور ايضا بأنه لا يعقد مع المعتزلة هدنة بستة اشهر إلا بعد رضا
البابا بذلك وبعد أن يعين له تسع من البلاد التي يأخذها منهم في الحرب بل وبعد
انقضاء مدة تلك الهدنة لا يقع بينه وبينهم اتفاق يضرب بمصالح الكنيسة
او بدينها والتزم البابا بأنه يضع في بركة جمهورية البنادقة مبلغا من الدراهم
يكفي مصاريف الحرب وأن يقوم بمصاريف اثني عشر الف رجل من المشاة
وخمسمائة من الخيالة مدة ستة الاشهر المذكورة وأن يعطى للإمبراطور نصف
ايراد سنة مما يتحصل من ايرادات اسبانيا المعدة للوظائف القسبية
وأن يرخص له بموجب فرمان يصدر اليه من عنده أن تصرف من ايراضي
اوقاف الكنيسة التي يبلاد اسبانيا فيما يبلغ ايراده خمسمائة الف ايكو
والتزم له ايضا بأن يحكم بالنفي والطرده والحرمان وسائر عقوبات الكنيسة
على كل من تصدى لنقض اجراء هذه المشاركة من الامراء بل ولا يقتصر على
ذلك بل يشهر معهم الحرب والقتال

مطلب
الحيل والمخادعات التي
سلكتها الإمبراطور
فانيا لي في مقاصده
عن المعتزلة

ومع أن التعلل في الحرب كان مبنيا على ازالة الابتداع ومحو دين المعتزلة اراد
الإمبراطور أن يثبت عند اهل ألمانيا أنه لا يضيق عليهم ايدا في دينهم
وعنائدهم وأنه لا يقصد الا سحق بعض العصاة من ارباب الجبر والقساوة الذين
لا يمتثلون او امره حتى الامتثال فكتب الى اغلب الامراء والمدائن الحرة التي
كانت على دين المعتزلة مكاتيب مطابقة لما يجاب به رسل المعتزلة في مدينة
واتسبوننة حيث يذكر فيها انه لم يستعد للعرب لاجل غرض ديني بل لمنع الفتنة
الداخلية وأنه لا يأخذ الطائع من رعاياه بذنب العاصي الذي لعتوه وبغية نسي
ما يجب عليه من الطاعة لرئيس الجمعية الجرمانية (يعني نفسه) ولا يخفى
أن ذلك منه حيلة ظاهرة يعرفها من تأمل في سلوك الإمبراطور وامعن التفكير
في احواله ومع ذلك فقد ظن أنها مما لا بد منه وسلك فيها ممالك المكر والتدبير
حتى يدرك بها ما كان يؤمله من النوائد الجسمية اذ لو اظهر مرمة واحدة
أنه مصمم على ازالة دين المعتزلة وادخال بلاد ألمانيا كلها تحت حكم الكنيسة

(سنة ١٥٤٦)

الرومانية كما كانت سابقا التعصب عليه جميع الامراء وسائر المدائن التي كانت متمسكة بالدين الجديد ولا تجاسر احد منهم على اعاقته في مثل هذا المشروع لكنه بانكاره لمقاصده واخفائه لاغراضه منع وقوع التعصب بين دول المعتزلة ولو تعصبت تلك الدول وانضمت الى بعضها لظهرت عليه وظفرت به ومن جهة اخرى جعل للثائفين من حزب المعتزلة حجة يتمسكون بها في الاهمال والتراخي وجعل لارباب الطمع منهم اسبابا يتعللون بها في الانضمام الى حزبه من غير أن يجلب لهم ذلك العزة والخزي بارتدادهم عن دينهم ورفض عقائدهم او بانضمامهم الى اعداء دينهم واعاقبتهم على نسخه وابطاله وكان الایمپراطور يرى أنه متى امكنه باعانة المعتزلة له خفض شوكة كل من منتخب سكس وحاكم هيسة صار حزب المعتزلة في قبضته يتصرف فيه كيف شاء حين يقع بين اهل بعد ذلك الشقاق واختلاف الكلمة وتخط شوكتهم فيندمون حيث لا يتوقع التدمر على كونهم وثقوا بقول الایمپراطور وتخلي بعضهم عن بعض

مطلب
كشف البابا لاسرار
الایمپراطور

ولكن البابا عمل بكشف هذا السر وافشائه اظهارا لحيته على الكنيسة وغيرته على دينها فافسد على الایمپراطور ما كان يدبره مع غاية الاحتراس والحذر وذلك أنه لما رأى نجاح مساعيه داخله الكبر والعجب وفرح فرحا عظيما حيث توهم أن العصبة التي عقدها مع الایمپراطور سبترت عليها بحق دين المعتزلة وازالت بالكلية فيثبت له القضاة بازالة البدع والضلالات مدة حكمه على الكنيسة فشرع بتودد المشاركة المتعقبة بينه وبين الایمپراطور ليظهر بها حسن قصدهما وجيد اغراضهما في شأن الدين ويظهر بها ايضا ما التزم به فيما من الامور الجسدية لحفظ دين الكنيسة من اهل الزيف والضلال واشاع بعد ذلك بقليل فرمانا يتضمن الغفران لكل من تصدى لهذا المشروع الذي وصفه بالقدس المحترم حيث انه من باب تأدية فرض النبي عن المنكر وحرض فيه جميع من كان من ابناء النصرانية لا يمكنه الاعانة في هذا المشروع على أن يتضرع الى الله سبحانه وتعالى ويدعوه باخلاص أن ينصر حزب

(سنة ١٥٤٦)

القانونية ولكن لم يكن الحامل له على اظهار خلاف ما كان يعقل به الامير بطور
في تجهيزاته الحربية بمجزذجته الدينية وغيره على دين الكنيسة الرومانية
بل دعاه الى ذلك ايضا ما كان قائما به من الامير بطور من الفيل والريه في اخفاء
مقاصده وكتبان اغراضه حتى كانه في خجل من قيامه بنصر الكنيسة
وتأييدها وفي كونه يجاهد العدو بالسلحة السياسية مع أنه لاشئ اشرف من
الاقتنار باظهار الجهاد لاجل الدين والقيام بتعصيده فكان كلما حاول
الامير بطور اخفاء الغرض الحقيقي من المعاهدة يادر البايافاته قاصدا بذلك
ايقاع الشقاق والبغضاء بينه وبين المعتزلة حتى لا يمكنه التلي عن حزب الكنيسة
اذ الاح له في الصلح مع المعتزلة فرصة تعود عليه بالمنفعة

ثم ان الامير بطور مع غيظه من الباي حيث جعله عدم تبصره في العواقب
او مكشوره وخبت طويته على اقتشاء سره لم تنفهمته في تدع مقاصده والسعي
في تمييز مرامه بل مازال يلقي في قلوب المعتزلة ويثبت عندهم أن مقاصده هي عين
ما اخبرهم به وليس له غرض سوى ذلك حتى ان بعض دول المعتزلة لا اعتراهم
بكلامه رأوا أنه يسوغ لهم امداده واعاته

مطلب

تجهيزات المعتزلة
للمدافعة عن انفسهم

واما معظمهم فلم يفتريهم هذه الحيلة بل لم يزل ارباب السياسة والحزم منهم جازمين
بأن الامير بطور ليس قصده من التجهيزات الحربية الا اذلال حزمهم وأنه لو قدر
على تمييز مقاصده كما هجس في نفسه لمحق دين المعتزلة ومحامه الحزبية من بلاد
ألمانيا فلذا تأهوا للمدافعة عن انفسهم حتى لا يحدوا عن طريق الحق الذي
يقولون ان اهتداهم اليه انما هو بتوفيق الله وارشاده لهم على وجه عجيب
ولا يتساهلوا في الحقوق والمزايا التي توارثوها عن آباءهم واسلافهم ولما توجه
رسل المعتزلة بعد سفرهم من مدينة راتسبونيه مقضين الى مدينة هولم
ليدبروا امرهم انفقوا المذاكرة بهذه المدينة مع غاية المهمة وكال الاعناء
والالتماس حجابا يستدعيه ما كانوا يتوقعونه من شدة الخطر وكان مقدار
ما يخص كل انسان من المتعاهدين من القوى والعساكر مينا في المشاركة
فصدرت اوامر بأن كل امير يخرج فورا الى الحرب من يخصه من العساكر

(سنة ١٥٤٦)

ورأى المتعاهدون أن وثوق بعضهم بقول الإمبراطور وعدم تبصر البعض الآخر في العواقب قد منعاهم من أطويل بلا عن المعاهدة مع الدول الأجنبية ليستعينوا بها عند الضرورة وبأدروا يطلب الاعانة من أهل البنادقة وأهل السويصة

مطلب

استعانة المعتزلة

بأهل البنادقة

فأخبروا أهل البنادقة أن الإمبراطور قد عزم على تحض قوانين بلاد ألمانيا وأن يجعل شوكة فيه أقوى مطلقاً التصرف بأعانة البابا وهذا المشروع بضرب بحرية إيطاليا لأن الإمبراطور متى صار مطلق التصرف في إحدى هاتين الدولتين (ألمانيا وإيطاليا) يصير بالضرورة مطلق التصرف في الأخرى ولكن لما لم ير المعتزلة أعانة من أهل البنادقة ترجوهم أن لا يأذوا بالمرور من بلادهم لعاكر البابا الذين هم أعداؤهم كغيرهم حيث أنهم يأذوهم لبلاد ألمانيا يخشى منهم على سائر بلاد أوروبا وكانت هذه المحفوظات لا تخفى على أهل البنادقة لحدقهم وبناتهم فبدلوا جهدهم في منع البابا عن المعاهدة مع الإمبراطور الذي لا ينكر طمعه لأن معاهدته معه تزيد طمعا كما يزيد شوكة وصوله الآن البابا كان مصمماً على التصميم على تمييز مقاصده فلم يلتفت إلى قولهم ومع معانيثهم للخطر تعرضوا له ولم يحتسروا بما يـ~~كونون~~ به في أمن منه بل أجابوا أرباب عصبة سمالكالد بأنه لا يمكنهم منع عساكر البابا عن المرور من بلادهم إلا إذا جعوا جيشاً كبيراً يكفي في سد الطرق عليهم ولكن مثل هذا الفعل يغضب الإمبراطور والبابا معاً ويصيرون به عرضة لحقدهما وبطشهما ولهذا السبب أيضاً امتنعوا من إعطاء منتخب سكس وحاكم هيسة مبلغاً من الدراهم للاستعانة به على الحرب

مطلب

استعانة المعتزلة

بأهل السويصة

وأما أهل السويصة فلم يقتصر المعتزلة على التضرع إليهم في سطرط ألمانيا على العساكر الأجنبية بل كانوا يؤملون من هذه الملة التي كانت أقرب إليهم بماعداها وهذا كانت متعاهدة مع الإمبراطورية أن تبذل غابة جهدها في المدافعة عن حرية بلاد ألمانيا وأن لا تتحمل أدنى ظلم أو أقيان في حق الملة الألمانية وكانت الاقطار المعتزلة من بلاد السويصة مستعدة للانضمام

(سنة ٢٥١٦)

الى اهل عصابة سمالكه الا ان ارباب الجمعية السويسرية كان بينهم تقادم
وشقاق عظيم في شأن الدين حتى ان المعتزلة منهم كانوا لا يتجاسرون على
فعل شيء الا اذا شاؤوا اهل الاخطاط القنولية هذا وكن البابا والامبراطور
قد بعثا رسلا الى اهل السويس ليرالوا بطون عليهم حتى وعدوا بانهم
في هذا الحرب يكونون بمعزل عن الفريقين ولا ينضمون الى احد
من الحزبين

مطلب
استعانة المعتزلة
بالمك فرنسيس الاول
والملك هنري الثامن

فلما خاب آمال المعتزلة من هاتين الجهتين بادروا الى الاستعانة بملك فرنسا
وملك انكلترة وكان منتخب سكس كما سبق لا يرضى بالمعاهدة مع هذين
الملكين ولكن لما لمج عليه المعتزلة وصارت الاخطار نصب عييه تساهل عن
تشديده الاول في شأن المعاهدة معهما وكانت مقتضيات الاحوال انذاك
تسوغ للمعتزلة ان يلمعوا في نيل مرامهم من هذين الملكين وذلك ان الحرب
كان قد مكث مدة بين الانكليز والفرنساوية بعدم مشاركة الصلح المنعقدة
بمدينة كريسي حتى شمت منه نفوس الفريقين وروا انه دخل عن البائدة
والخارقاتها وهذه المشاجرة بمشارطة صلح انعقدت بينهم في قرية كاسية
قريسا من مدينة اوردروس وطلق فرنسيس مالا يزيد عليه من التعب
والمشقة في ادخال اهل ايتوسيا في تلك المشارطة وكانوا حلفاء وقتئذ حتى
انه لهذا الغرض تساهل في امور كثيرة والترحم ان يدفع الى هنري مبلغا
جسيما كان يذيعه عليه من جهات عديدة بل رهن ملك فرنسا عنده اقليم
بولونيا حتى يزدي هذا المبلغ ومع ان الصلح كان قد انعقد بين هذين الملكين وصار
يمكنهما التصدي لصلح ألمانيا لم يحصل المعتزلة منهما فائدة وذلك ان هنري
كان لا يرضى بالمعاهدة معهم الا على شروط بمقتضاها تكون له الرئاسة على
عصبتهم بحيث يتصرف فيها كيف يشاء وكانت نفوس المعتزلة تأبى ذلك ولا تطيقه
لان عقائده الدينية كانت مباينة جدا للعقائد معتزلة ألمانيا فلم يأت الا التنازل
والاتحاد بينه وبينهم واما فرنسيس فكانت له ما رب سياسية كان مستعدا
بها لاعتانة المعتزلة اكثر من هنري وكان يرى ان قوى مملكته قد ضعفت بسبب

الحروب الطويلة التي حصلت بينه وبين أعدائه فلم يجاسر على اعانتهم لاسيما
وكان يخشى غضب البابا بانضمامه الى حزب قد حكم بكم بكم فانتظر الى هذا
الملك حيث افضت به هذه الاسباب الواهية الدينية الى ضياع فرصة عظيمة
لم يسبق له نظير هامة حكمه اذ بها كان يمكنه أن يوقع خصمه اليمبراطور
في الورطة والارتباك ويقتعه ويجزعه كؤوس المذلة والهوان ولو بدت له هذه
الفرصة قبل ذلك مع وجود الاسباب المذكورة لانتهازها مع المهمة وبادر باجتماع
نصارها الجمة

مطلب

تجهيز المعتزلة لجيش
كبير يزوجه الى
ميدان الحرب

ولكن مع عدم نجاح المعتزلة في مداولاتهم مع الملل الاجنبية جمعوا مع السهولة
جيشا يكتفي في الحرب مع عدوهم وذلك أن ألمانيا كانت اذ ذاك عامرة
جدا وكانت القوانين الالتزامية فيها باقية على اصلها من النفوذ والعمل بها فكان
يمكن للاشراف والاعيان أن يجمعوا اتباعهم الكثيرين ويسوقوهم الى الحرب
متى شاؤوا وكذلك توقع الالمانيين بالحرب لم يزل فيهم حيث لم يكن دخل عندهم
يؤمنذ تجارات ولا نقون بل كانوا قد ازدادوا مهارة واستعدادا بسبب
الحروب المستمرة التي مكثوا فيها نصف قرن على طرف اليمبراطرة او على ملوك
فرانسا فبعد ذلك أن اقتضى الحال حل السلاح سعى الى الحرب من كل جهة
وكلما وقع بصرهم على راية حرية اتوا اليها افواجا وكان ثم ما يقوى جيتهم
الطبيعية وهو غيرتهم على الدين وذلك ان أصول دين المعتزلة كانت قد تمكنت
من قلوبهم فكأن الحق من يقين الحق واسترجت بارواحهم حتى استعدوا للتأييد
هذا الدين والذب عنه مع العزم الملايم لهذه الجمة العظيمة التي كانت قائمة بهم
وزيادة على ذلك كان هؤلاء الابطال الحرييون يرون أن اظهار انحول في هذا
الوقت يعود عليهم بالمعزة والتضيعة وكانت المدافعة عن الدين تدعوهم الى حل
السلاح وقد حصلت حادثة اعانت على جمع العساكر وتجنيدهم وهي أن ملك
فرانسا لما كان قد اشرف على عقد الصلح مع ملك انكلترة طرد من عساكره
عددا عظيمين من الالمانيين الذين كان قد استأجرهم العرب فانضخوا الى بعضهم
وصاروا طائفة واحدة كبيرة ودخلوا تحت اعلام المعتزلة فلهمذ الاسباب امكن

لامراء عصبه شمال كالد أن يجمعوا في طرف اساييع قليلة جيشا جرارا
مشتغا على سبعين الفامن المشاة وخمسة عشر الفامن الحيات ومائة وعشرين
من المدافع وثمانمائة عربة موسوقة بالمهات والذخائر الحربية وثمانية آلاف
من دواب الاحمال وستة آلاف من القازمه جية ومع أن هذا الجيش كان من
اكبر الجيوش التي جمعت ببلاد اوروا في ذلك العصر لم يشترك في جمعه
كل المعترلة وانما جمعه منتخب سكس وحاكم هبسة والامير دوق دوتامبرغ
وامير أنهالته ومدينة او كسبورغ ومدينة هلم ومدينة سترسبورغ
واما منتخب كولونيا ومنتخب براندبورغ وحاكم اقليم بلاطينه
فلقوفهم من الامبراطور او اعترارهم بزخرف قوله لم يكن لهم دخل في حرب المعترلة
وكذلك الامير حنادور براندبورغ باريطه والامير ألبرت دوراندبورغ
انسباخ فانهما وان كانا على دين لوتير من مبدا طهوره الا أنهما
انضما الى حرب الامبراطور متعللين بأنهما قد وعداه بعدم المدافعة عن الدين

الجديد وتأسى بهما في ذلك الامير موريس دوسكس

فلما رأى الامبراطور عظم جيش المعترلة واسراعهم في جمعه تحير في امره حيرة
كبيرة حيث لم يكن مقتدرا على مقاومة مثل هذا الجيش الجزار وكان اذذاك
بمدينة راتسبونته ولم تكن تلك المدينة حصينة وكان اغلب اهلها معترلة
فكان عرضة للقتل وبه ولم يكن معه الا ثلاثة آلاف من العساكر الاسبانيولية
المشاة كان قد احضرهم من نفور بلاد الجمار وكان معه ايضا خمسة آلاف
من الالمانيين احضرهم من عدة اقاليم من الامبراطورية الالمانية فداخله
الرب والفرح حين بلغه أن الاعداء صاروا على قرب منه وكانت عساكره قليلة
واما العساكر الذين ارسلهم البابا لالاعاته فكانوا لم يدخلوا وقتندارض ألمانيا
كما أن العساكر التي طلبها من مملكة البلاد الواطية لم يكن تم جمعها
وكانت حالته اذذاك تستدعي سرعة الاعانة ولا تسوغ له الاعتماد على العساكر
الآتية اليه من طرف البابا ولا من مملكة البلاد الواطية لان وصولها اليه
كان غير محقق

مطلب

كون الامبراطور
لم يكن عنده
من العساكر من يكفي
في مقاومة المعترلة

(سنه ١٥٤٦)

مطلب

اشتغال المعتزلة

بالمداولة عوضا

عن الحرب

ولكن لو فور حظ الايمبراطور لم يعرف المعتزلة أن يدبروا امرهم ويجنوا
نثار هذه القرص العديدة وذلك أن الناس في الحروب المدنية لا بد أن يسدوا
امرهم بالتردد في الاقدام والاجسام ويقوم بانفسهم أولا الرعب والهبة
فيظهرون العدالة لاستمالة النفوس وتكثير سواد احزابهم باظهار
الاحترام للرسم الجارية والقوانين المقررة ولا يتداسرون من اقل وهلة
على هتك حرمة القوانين والرسم القديمة التي كانت تحترم اذ ذلك كل الاحترام
في ازمان الصلح الخالية عن الفتن والتعصبات فذا تجد المشروعات
الستدعية للعلم والسرعة في الغالب ضعيفة ذات تراخ وبطء وحيث ان هذه
المخوطات لها وقع عظيم في القلوب لازومها الراحة الرعايا واطمئنان الدول
المرت المعتزلة أن لا ينسوا ما يجب عليهم من الطاعة للايمبراطور من حيث كونه
رئيس ايمبراطوريتهم وادبهم انهم بعصيانهم والقيام عليه قبل أن يطلبوا منه
العدل والانصاف في شأن ما ينظلمون منه وينشدهوا عليه الملكة الالمانية بتامها
يكونون قد تجاوزوا الحدود وهتكوا حرمة القوانين فخرروا للايمبراطور
تقرير او لاهالي ألمانيا تقرير آخر نشره في سائر البلاد الالمانية وكان
مضمون التقريرين واحدا وذلك أنهم برهنوا فيهما على امانتهم للايمبراطور
وقيامهم بحقوقه فيما يخص السياسة وذكروا أنهم باقون معه على الاتحاد
والالتزام واعترفوا له بمرأته بحسن معاملته لهم وذكروا أن الدين هو السبب
في الحرب الذي صمم الايمبراطور على فعله معهم وما ذكره من البراهين كان قويا
بحيث يؤثر كل التأثير في العقول الضعيفة حتى لا تغتر بجيش الايمبراطور
ومداهنته وانوا تقريرهم بأنهم قد صمموا على اقتحام الاهوال والاعطاش
لتأسيدهم بالحديد وأنه ربما جرد ذلك الى دمار الجمعية الجرمانية ان غلب
الايمبراطور مصلحته على عصبية المعتزلة

١٥ من شهر تاموز

مطلب

حكم الايمبراطور

بالنفي على رئيسي

عصبة المعتزلة

وعن التقرير الذى نشره فى بلاد ألمانيا أن أمر بنى كل من الامير منتخب
سكس والامير حاكم هيسة اللذين هما ريسا عصبة المعتزلة ومصدر
منه امر آخر بنى كل من تجاسر على اعاتهما وامدادهما بشئ وهذا الحكم
كان اصعب شئ تقر فى قوانين ألمانيا لعقاب الخائسين الذين يغدرون بالوطن
وكات صورة الحكم عليهما فى القرمان الصادر من الامبراطور هي ان هدين
الاميرين قد عصيا وبغيا وسلكا مسالك العدوان والطغيان فجزاؤهما أن يحرما
من المزايا والخصائص الثابتة لهما بوصف كونهما من اعضاء الامبراطورية
وأن تضبط اموالهما واملاكهما وأن يرخص لراعايهما فى الخروج عن طاعتها
ولن شاه فى شن الغارة على اراضيها اتهمت ولكن طائفة الاشراف
والمدائن الحرة التى رتب قوانين الجمعية الجرمانية اوحستها وجعلتها على
اكمل حال كانت لم تهمل فى امن بلاد ألمانيا حتى تتفاضل عن الامبراطور
اذا صدر منه مثل هذا الحكم فانه كل لا يمكن نفي احد من اعضاء الامبراطورية
الاجموجب حكم ارباب مشورة الديانة فلم يلتفت الامبراطور الى هذا القانون
معقدا على أنه ان نجح فى الحرب وظفر باعدائه لم يتجاسر احد على مطالبة
بمخالفة هذا القانون ولم يتعلل فى حكمه بالنفى على الاميرين السابقين بكونهما
خرجا عن طاعة الكنيسة واعتزلا دينها بل تعلل باسباب سياسية عبر عنها
بالفساط عامة مبهمة ولم يبين عين الذنب الذى استحقاقه العقاب فظهر أن حكمه
بذلك محض ظلم وعدول عن الانصاف وتعبيره عن هذه الاسباب بعبارات
مبهمة يدل على أنه لم يتجاسر على الافصاح عن سبب حكمه بنفيهم لانه كان يخشى
أنه ان ابدى الاسباب التى بنى عليها هذا الحكم وبينها اتم البيان جر ذلك الى
غيرهما من امراء المعتزلة الذين كان يحسن معاملتهم لمراعاة مصلحته واستمالتهم
الى الانضمام اليه والدخول فى حربه او التحلى عن المريقين بحيث يكوون

لاله ولا عليه

فلما يس المعتزلة من الصلح بينهم وبين الامبراطور بالتى هي احسن رأوا أنه لم يبق
لهم الاختيار احد اميرين اما احيادهم للامبراطور فيما شاء او حر بهم معه بدون

مطلب
مبدء حرب المعتزلة

تراخ ولا مهلة وكانوا في هذه المرة بمكان من العزم وفرط الهمة حيث انهم بعد
صدور القرمات بنى منتخب سكس وحاكم هبة بايام قلائل بعثوا سفيرا
الى المعسكر الايمراطورى يطلب الحرب والقتال وابطلوا بيعته وقضوا
العهود التى كانوا محاقطين عليها الى ذلك الوقت فى حق الايمراطورواذكروا
ايمراطوريته ورياسته وقبل طلبهم للعرب كان بعض عساكرهم قد بدأ فى القتال
وذلك أن مدينة او كسبورغ جمعت طائفة كبيرة من العساكر وجعلت
رئيسها الشهير ميباستيان شرتيل وكان من الضباط ذوى الثروة والسعة لانه
كان مع جيش الايمراطور فى نهب مدينة رومة فغم من ذلك مغنا عظيم
فثروته وكثرة اعتياده لتقادم عهده فى الخدمة كان معدودا فى درجة اعيان
ألمانيا واكبر اشرافها وامر انما ولما كان هذا البطل على الهمة زائد الشجاعة
اراد قبل ان ينجمه الى جيش المعتزلة أن يفعل امر ايا ليم شهرته وصيته لتتحقق
فيه آمال ابناء وطنه حيث اختاروه وقادوه الرياسة فيمنعها كانت عساكر البابا
تتقدم مع السرعة جهة بلاد تيرويل لتدخل فى ألمانيا من جبال ألبه
اذ سبقها شرتيل وتغلب على كل من اهرامبرغ وكوفستين وهما
قلعتان حصينتان كاسامة كتبتين من الخلق والعصابات الكبيرة من جبال
ألبه ثم توجه سريعا الى قلعة أنسبروك ولوقلب عليها لا يمكنه أن يستد
الطرق على جيش البابا لانه اذا كان فيها عدة من المحاقطين ولوقلبه امكنهم
أن يقاوموا كل جيش ولو بلغ فى الكثرة ما بلغ الآن كستيلانو حكمدار
ترتة لما رأى أنه اذا سدت الطرق والسبل على العساكر الاتية لا عانة
الايمراطور خابت آماله وضاعت مساعيه مدى جمع مع السرعة طائفة صغيرة
ودخل القلعة المذكورة ومع ذلك لم يرجع شرتيل عن مشروعه فيمنعها
يستعد لشن الغارة على هذه القلعة اذ بلغه أن عساكر البابا قد قربوا منها وجاءته
اوامر من منتخب سكس وحاكم هبة بالحضور فاضطر الى العدول
عن هذا المشروع فصارت المسالك برجرعه مفتوحة للسالك ودخلت عساكر
البابا بلاد ألمانيا من غير أن تجد عائقا سوى المحاقطين الذين كان اتاهمهم

(سنة ١٥٤٦)

شربل في قلعة اهرامبرغ وقلعة كوفستين ولكن لما يسوا بادروا بالتسليم واستولى العدو على القلعتين وقد اخطأ المعتزلة في دعاء شربل كما اخطأوا في جعل رياسة الجيش لمنتخب سكس وحاكم هيسه فمما قليل ادركوا أن اشراكهما في تلك الرياسة مضر جدا وذلك أن منتخب سكس وان كان يبذل مجهته في جانب المصلحة العامة الا أنه كان ذا بطء في المذاكرت وتردد في المشروعات ويؤثر الاحتراس والتأني على التجاسر والاقدام واما حاكم هيسه فكان اكثر منه نشاطا واسرعا فكلبهم على المشروعات المهمة على حين غفلة وبطهر العزم التام في تنجيزها ويختار دأئما من الوسائط ما يكون ملائما لمصالحهم عليه الآن كلا منهما كان قد تصدى لهذا الحرب لما رآه مبالغة لما رآه الاخر فاختلف كلتاهما في الحرب لاختلاف مآثرهما وتباين الاسباب الحاملة لهما على ذلك فوقع بينهما الغيرة والعداوة وتفاقم امرهما بالمبالغة طباعهما غير أن ارباب العصبة الذين كانوا تحت تبعيتهما بمحض اختيارهم خرجوا عن طاعتهم حين رأوا ما وقع بينهما من الاضطراب واختلاف الكلمة فكان جيش المعتزلة اشبه بدولاب كبير اجراؤه غير محكمة التركيب وليست فيه الالة اللازمة لتنظيم حركاته فعملياته قليلة بدون ثمرة

مطلب

عدم ادارة الرؤساء

مطلب

وصول عساكر البابا

الى الاميراطور

ولما كان الاميراطور يخشى أنه مادام مقيما بمدينة رانسونة لا يمكن لعساكر البابا الوصول اليه ارتحل من هذه المدينة وتوغل في السير مع الجسارة وقوة القلب حتى وصل الى لندسهوت على نهر ايزر ومكث المعتزلة عدة ايام وهم يتذكرون في شأن حقوقه باراشي الدوق دو باويرة وكان هذا الدوق معزول عن الفريقين وبعد التوقف الكلي اخذوا في السير الى معسكر الاميراطور لكنهم عدلوا على حين غفلة عن هذا المشروع وصمموا على الهجوم على مدينة رانسونة وكان الاميراطور لم يدع فيها من المحافظين الا طائفة قليلة وفي اثناء ذلك وصل عساكر البابا بتمامهم الى لندسهوت ووصل اليهم ستة آلاف من العساكر الاسبانيولية القديمة كانت قد جعت من بلاد نابلي ومن التفت

الى مبدأ الامور المعتزلة حيث امروا شرتيل بالعدول عن مشروعه المهم رأى
انهم كانوا يريدون أن السبل تبقى مفتوحة أمام هذه العساكر لتصل الى المحل
الموعود مع الامن والاطمئنان مع أنه كان الواجب عليهم أن يهجموا على هذه
العساكر وعلى الايمبراطور قبل وصولها اليه وكان الجيش الايمبراطورى اذ ذلك
يبلغ ستة وثلاثين الفا ولكنه كان مهولا يخشى بأسه لضبطه ووربطه وشجاعة
رجاله وقد ذكر الشهير آويله حكمدار القنطرة (احدى مدن اسبانيا) وكان
ثقة معتبرا شهد جميع حروب الايمبراطور وخدم في الجيش الذى انتصر في وقعة
باويا والجيش الذى فتح تونس واثار على مملكة فرانس أنه لم ير اصلا جيشا
مهولا مثل هذا الجيش الذى اعده الايمبراطور لقتال معتزلة ألمانيا وكان
الامير اوكلوه فرنيز حفيد البابا قائد العساكر البابا باعانة ضباط ماهرين كانوا
قد تمكنوا وتمت زواجا تجاريا وبمقتضى العهد في الحروب الطويلة التى وقعت بين
الايمبراطور ومملكة فرانس وكان بجميته اخوه الكردينال فرنيز بونطيفة
النسابة عن البابا وكان هذا الكردينال يرى أن الحرب مع المعتزلة جهاد فى سبيل
الله فطلب أن يسير امام الجيش وتحمل أمامه صورة الصليب وأن يتحف بالمزايا
والخصائص كل من اعانته كما وقع نظيره ذلك فى الغزوات الصليبية مع الاسلام ولكن
لم يرض الايمبراطور بهذه الامور لانها تخالف ما وعده المعتزلة الذين انضموا
الى حربه فلما رأى الكردينال أن التدبيرين المعتزلة مباح فى معسكر
الايمبراطور مع أن القصد من الحرب انما هو ازالته ومحو اثره امتزج بالغضب
وسافر الى بلاد ايطاليا

ولما وصلت عساكر البابا الى الايمبراطور زاد فى عدد محاطى مدينة
راتسبون فاقب المعتزلة من التغلب عليها وقصدوا انغولستادة وهى مدينة
على نهر طونة وكان الايمبراطور معسكره هناك وكانوا الميرزا الواتطلون منه
لكونه هناك حرمة قوانين الايمبراطورية واحتقر رسومها ودعا الاجاب
لتضريب اراضيها واعداد حريتها وكان المعتزلة اذ ذلك يقيمون كنيسة رومة
اشد البغضاء حتى كانوا يفرعون من كل مشروع يسمعون فيه اسم البابا فاشاع

سنة (١٥٤٦)

بين الناس أن البابا بولس لم يقتصر على قتال المعتزلة بل بعث رسلا من طرفه إلى بلاد ألمانيا ليحرقوا مدائنهم ومخازنهم ويضعوا السم في الآبار والعيون

وهذه الاشاعة وإن كانت تسببها العقول الرجينة والافهام الضعيفة ولا يصدقها الاغوام الناس وجهلهم الا أنها رخت في اذهان الرؤساء وشروا بقرار اذكروا فيه أن البابا قد ارتكب هذه الامور لا تلافهم واهلاكهم وان كان هناك ما يعتذر به عنهم في ثلثهم هذا الظن فليس الا قبح سلوك عساكر البابا حيث كانوا يعتقدون أنه يسوغ فعل كل شيء في حق من اعتزل وكفر بدين الكنيسة فلم يتق فاحشة الا فعلوها ولا كبيرة الا ارتكبوها لئلا للمعتزلة وازدادت مصائب الحرب المعتادة بما كانت تسوقه عادة الحمية الدينية للعقول

ولكن اعمال الجشدين لم تكن بقدر ما كان في قلوب الفريقين من العداوة والبغضاء الشديدة وذلك أن الإمبراطور لحزمه صمم على اجتناب القتال مع المعتزلة حيث رأى أن جنودهم اكثر عددا من جنوده وادرك أن مثل هذه العصبة المؤلفة من اناس لا التئام بينهم لا بد من انحلالها وتبدد امرها ما لم يحصل الهجوم عليها فانها في هذه الصورة تستيقظ ويضطرب اربابها الى الالتئام واتفاق الكلمة وكان المعتزلة يعرفون أنهم ان سلكوا في هذا المشروع مسلكت المهلة والتراتخي خسروا كل الخسران ومع ذلك فلضعف رؤسائهم ولتفاقم الامر بينهم لم يذلوا في تضييع امورهم ما كانت تستدعيه احوالهم اذ ذلك من فرط الهمة ولا ما كان قائما بقلوب العساكر من الغيرة وشدة الحمية وذلك انهم لما وصلوا الى مدينة انغولستادة وجدوا الإمبراطور نازلا هناك في معسكر غير محكم الوضع في حداثته وليس حوله من التحصينات والمتاريس الاشياء واهية قليلة وكان أمام هذا المعسكر سهل واسع جدا بحيث يسع جيش المعتزلة بتمامه ويتق اهم مسافة كبيرة تكفيهم في حركاتهم العسكرية وعملياتهم الحربية وبالجملة فجمع مقتضيات اذ ذلك كانت تستدعي أن المعتزلة ينتهزون تلك الفرصة ويهجمون على معسكر الإمبراطور حيث كانوا اكثر منه جندا وكانت عساكرهم اشد حمية من عساكره

مطلب
تقدم المعتزلة جهة
جيش الإمبراطور

٩ من شهر اب

فانهم كانوا يودون الا القتال وكان فيهم من المشاة الالمانية صناديد ابطال وغول
رجال لا يرهبون القتال ويثبتون في المعركة كرواسخ الجبال فكل ذلك كان يثبت
لهم النصر ويعينهم على الظفر بعدوهم وكان حاكم هيسه يرغب في القتال على
اى حالة كانت حيث قال انى لو كنت مطلق التصرف لالتقي بالجمعان وظهر
الغالب من المغلوب ولكن كان منتخب سكس يفكر في شجاعة العدو وحسن
ضبطه وريثه لاسيا ووجود الاميراطورين عساكره مما يزيدهم حمية ونشاطا
وضباطهم امهر ضباط ذلك العصر فقال انه ليس من الصواب القتال مع
رجال قد شربوا في العسكرية وشابوا الاسما وقد اتقنوا معسكرهم على حسب
مرغوبهم فهو وان كانت تحصيناته قليلة الا انه يعينهم اتم الاغاثة على عدوهم
ومع ذلك انحط رأى على أن يتقدم جيش المعتزلة صفافا الى معسكر
الاميراطور ويضرب عليه بالمداغ نار اشديدة لعل العساكر الاميراطورية تتزعزع
عنه وتخرج منه ولكن كان حزم الاميراطور يجبل عن أن يوقعه في مثل هذه
المكايد فلم يزل مصمما على ما كان عازما عليه فوضع عساكره خلف الحصينات
وامرهم بالتأهب للقاء المعتزلة ان هجموا عليهم وانتظر عسكر العدو حتى يقرروا
منه وهو في غاية الامن والسكون ونهى عساكره أن يفعلوا شيئا مما يكون به تحريك
الحرب او يسهل على القتال وانما كان ينتقل من صف الى آخر ويحاطب عساكره
المجموعة من ملل مختلفة كل مله باقتها ويقوى قلوبهم بالبشاشة وثبات القلب
في هذه الاخطار يلقى بنفسه في المحال التي كانت عرضة لنيران المدافع الكرمين
غير حاول يكن معه الى ذلك الوقت من المدافع ما يساوى عدد مدافع المعتزلة فلما
رآه عساكره بهذه المثابة تأسوا به ولم يجاسر احد منهم على الخروج من الصف بل
كان الشجاع منهم يرى ان اظهار الخوف أمام هذا الاميراطور العلى الهمة مما
يوجب له الخزي والمهزة ولقوة قلب الاميراطور كان يظهر أن امتناعه عن
الحرب ليس ناشئا عن خوفه من العدو وانما هو من باب الحزم وحسن السياسة
فان المعتزلة بعد أن مكثوا مدة وهم يضربون بالتار على معسكر الاميراطور ولم
يروا في ذلك فائدة ولم يترتب عليه ما كانوا يقصدونه من تحريض العساكر

مطلب
امتناع الاميراطور
عن القتال

(سنة ۱۵۴۶)

الایمیراطورية على الحرب رجعو الى معسكرهم وتركوا القتال واما الایمیراطور فانه قضى تلك الليلة وهو يحصن معسكره حتى ان المعتزلة في اليوم الثاني لما ارادوا الهجوم عليه رأوه على غاية من التحصين قدموا كل التدم حيث امهلوه حتى تقوى عليهم باحكام التحصينات واتقانها

وبعد هذا السعي الذي لم يترتب عليه الاظهار تردد المعتزلة وثبات الایمیراطور اشتغل المعتزلة بجمع امداد جسيم كان قادما الى الایمیراطور من مملكة البلاد الواطية مع قوتة بورين وحاولوا صدته عن الوصول اليه وكان هذا المدد يبلغ عشرة آلاف من المشاة واربعة آلاف من الخيالة وهذا القوتة وان كان قد اضطر الى السير من طريق طويلة في خلال بلدان كان بعضها يميل الى حزب المعتزلة وكان يمكن للمعتزلة بمجرّد اخبارهم قدومه أن يأخذوا سريته من جيشهم الجزارو بقضواها عليه ويتكوا به الا أنه حث السير مع احكام الحركات العسكرية وبطء المعتزلة وعدم حزمهم حتى وصل بجيشه الى معسكر الایمیراطور من غير أن يلحقه ادى ضرر

وكان الایمیراطور يعول على الفلنك ويعقد عليهم كثيرا فبجبرّد وصولهم اليه تغيرت الاحوال وعزم على أن يبدأ بالهجوم في هذه المرة كما بدأ المعتزلة في المرة الاولى غير أنه لم يرل يتجنب الحرب مع غاية الهمة فتغلب على مدينة نوبورغ ومدينة ديليجان ومدينة دوناورطة التي على نهر طونه وتغلب ايضا على مدينة نوردينغ وعدة مدائن اخرى موضوعة على اكبر التهرات التي تصب في هذا النهر الكبير ولكن في اثناء تغلبه على هذه البلدان العديدة وقع بينه وبين المعتزلة مقاتلات شديدة لم يكن هو فقط الغالب فيها دائما ومضى فصل الخريف على هذه الحال من غير أن يظهر احد الفريقين بالانحريل ولم تظهر علامات تدل على عاقبة الحرب وغايته وانما كان الایمیراطور في الغالب يقول انه لا بد من حصول التقاقم والشقاق بين المعتزلة ومتى ضدت الاموال من عندهم اضطرزوا الى التفرق فتعل عصبتهم وبتد شملهم وكان يلهم بذلك كثيرا ويترقبه مع أنه لم يكن هنالك من العلامات ما يدل على أنه قرب الوقوع بل اخذت ذخائره

مطلب
وصول العساكر
الفلنكية الى
الایمیراطور

۱۰ من شهر ايلول

مطلب
حالة الجيشين

(سنة ١٥١٦)

وعقد دوايه في التناقص حتى ان اهل الاقاليم القانوليقية امتزجوا بالغضب حين
رأوا العساكر الاجنبية في داخل الايمراطورية وصاروا يعطون الجيش
الايمراطوري ما يحتاج اليه من المهمات والذخائر الامع غاية الاختصار والنزور
واما معسكر المعتزلة فكانت تكثر به سائر المهمات واللوازم بهمة سكان الاقطار
التي يجوارها وقد حلت الامراض بمعسكر الايمراطور بسبب تغير القطر والمطعم
حتى صار مقدار جسم من الاسبانول والايطالين لا يصلحون للخدمة العسكرية
وكانت ماهيات العساكر الايمراطورية متأخرة لهم ومن حين خروجهم الى
الحرب لم يدفع لهم منها الا القليل فحصل للايمراطور في هذه المرة ما حصل له
في كثير من امثالها وهو ان شوكته كانت اوسع من اراده فكان يمكنه بقوة
شوكته ان يجمد الجنود الكثيرة ولا يمكنه ان يصرف عليها قلة اراده وقد ادرك
انه يصعب عليه ابقاء جيشه في ميدان الحرب حتى ان بعض ضباطه الماهرين
كالاميردوق ألبه الذي كان لا تكل له همة ولا يفرغ من المشروعات الخطرة
المهمة اشاروا عليه بتوزيع عساكره الى مساكن الشتاء ولكن كان من طبعه ان
لا يستقبله الاسباب القوية متى كان عازما على شيء فلم يقبل منهم صرفا ولا عدلا بل
ما زال مصمما على ابقاء المعتزلة بالصبر والمواظبة حيث كان يجهزم بأنه ان شئت
شملهم في هذه المرة وناب مقاصدهم فيها لا يعودون الى مثاله ابداهذا وكان
لا يعلم من يسأم من الفريقين قبل الآخر فكان لا يدري هل تقترهه الايمراطور
اولا او تضعف جبهة المعتزلة قبله ولا من تختلف كلمته من الفتن ويقع فيه التناقض
والشقاق قطفر به الفتنة الاخرى وينما كانت العواقب مجهولة بهذه المثابة اذ
حصلت حادثة على حين غفلة فافسدت ما آرب المعتزلة وخيت مساعيم

وهي أن الامير موريس دوسكس كان قد اخذ بلب الايمراطور بما ابداه له من
المجادعات التي سبق ذكرها فمجرد حصول الحرب بينه وبين المعتزلة فرح هذا
الامير وامل النجاح في تمييز مقاصده الواسعة التي كان مصمما عليها وذلك أنه
لطبعه كان غير تانع بالحصة التي اخذها من ميراث ابائه في بلاد سكس فكان
يود حصول حرب مدقنة وقتن داخلية لان مثل هذه الفتن يظفر فيها ارباب

مطلب
ما آرب موريس
دوسكس

الجسارة بمرامهم ولا ينبغي اضاعه فرصتها لما أنها نادرة الوجود وقل أن يظهر
بمرامه في غيرها جاسر طماع وحيث كان هذا الامر لا يجهل حال الفريقين
ويعلم ما عليه رؤساؤهما من المعارف لم يتردد في الانضمام الى الفريق الذي رآه
اوفق بمصلحته والى ينفعته فصمم على الانضمام الى حزب الامبراطور وبادر
بذلك ليكون اول من انضم اليه ليحظى منه بالخيرات الجزيلة وانتم الجلييلة
فتوجه لهذا الغرض الى مدينة راتسبون في شهر ايار متعللا بأنه يريد
حضور مشورة الديتة التي كانت منعقدة بها وبعد أن وقفت بينه وبين
الامبراطور اوزراته مذاكرات طويلة انعقدت بينهما مشاركة سرية التزم فيها
موريس بأنه يخدم الامبراطور مع الاتقياد والامثال كاحاد رعاياه الطبعين
والتزم له الامبراطور بأن يجعله محل الامير منتخب سكس ويقلده مناصبه
ويعطيه اراضيه وسائر ماله من المزايا والخصائص وقل أن يرى في التاريخ
مثل هذه المشاركة من حيث ما تضمنته من هتك حرمة الاصول والقوانين
التي عليها مدار نظام العالم وانظر الى موريس مع حيله وشدة غيرة على
الدين الجديد كيف انضم الى حزب الامبراطور لاعتاده في حرب كان
الغرض منه محو هذا الدين ومحو اثره بالكلية والتزم فيه بمحاربة حاكم
هيسة الذي كان بمنزلة ابيه لانه كان ابا زوجته وتجرده منتخب سكس
عن دوله ومناصبه مع أنه كان من اقرب الناس اليه وبالجملة فقد انضم
هذا الامر الى حليف لا يعتمد عليه ولا يوثق به لاجل قتال امير له عليه
المنة والفضل باسداء التم الجزيلة التي كانت قرينة العهد من عقد تلك
المشاركة (وهو منتخب سكس) ومع ذلك لم يكن الامير موريس من
ارباب السياسة الذين لهدم حياتهم يحرقون ما يجب احترامه متى اقتضت
ذلك مصلحتهم ويمتكون حرمة القوانين والشعائر التي يري عدم
مراعاتها بالمرءة ويدنس العرض واذا ملتفت الى السياسة رأنا أن ملوكه
كان مبنيا على الحزم والتبصر وذلك أنه دبر اموره مع ابداء ما يلائم
المرءة والادب حتى لم يظهر عليه ادنى خلل يستوجب به اللوم والتوبيخ

فبجوب سلوكه هذا المسلك كان يترأى من حاله أنه حسن النية خالص الطوية
من جهة دين المعتزلة وأنه لا يلام عليه الا من حيث اعتزله بمواعيد الايمراطور
وتعويله عليها ولا ريب أنه كان في ذلك كغيره ممن اراد التوغل في مسالك
السياسة فضل في اودية الخسران حيث أنه اراد أن يغش غيره فغش نفسه
ونابت مساعيه

مطلب
مخادعته ومحاولته
في اخفاء مقاصده

وكان اقصى مرامه اخفاء ما التزم به للايمراطور فانتقن الخداع والمكر في هذا
المعنى حتى ان المعتزلة وان ابي الانضمام اليهم ولازم الايمراطور لم يشكوا منه ولم
يستخفونوه بل قوتوا اليه منتخب سكس في مبدأ الحرب حين ارتحالها الى حرب
المعتزلة امر دوله وبلادها وجعلها تحت حمايته فاطهر له من الحجة والمودة ما لا مزيد
عليه ووعد به بأنه يضاعف عنها حق المدافعة ولكن بمجرد سفر الامير منتخب سكس
وبعد عن دوله اخذ موريس يدبر امره سراع ملك الرومانيين لينقلب على
هذه الوديعه التي استودعها وجعلت تحت اماتته فعما قليل ارسل اليه
الايمراطور نسخة من فرمان نفي الامير منتخب سكس والامير حاكم هبسة
وكان الواجب عليه أن يحصى هذه الدول التي استأمنه عليها منتخب سكس
حيث كان اقرب الورثة اليه الا أن الايمراطور ازمه بأن يقبض على تلك الدول
ولم يعترض في ذلك لمراعاة مصلحة موريس الخصوصية وانما ذكر أنه
يجب عليه ضبط الدول المذكورة امتثالاً لامره لانه رئيس الايمبراطورية
واخبره بأنه ان أبى اجراء هذا الامر الايمبراطور ي اشرى كهم مع قريبه منتخب
سكس في الذنب والعقوبة

والظاهر أن هذه الحيلة كان قد املها الامير موريس الى الايمبراطور لكي
يرى أن قبضه على دول منتخب سكس انما هو بطريق الاكراه والامتنال لا امر
الايمبراطور لامن باب الاقتيات والتعدى على قريبه ولكنه قصد أن يخفى
مقاصده واطمأع به عمل حيلة اعظم من الاولى مكرًا وتدبيرًا فجمع عند رجوعه
من مدينة راتسبون مشورة مأموريته وقال لاربابها حيث ان الحرب لا بد
من وقوعه بين الايمبراطور وعصبة سمالكال فانا محتاج لان تبدوا آراءكم

(سنة ١٥٤٦)

في هذا المعنى وتفيدوني ما ينبغي لي فعله في تلك المادة وكان أرباب هذه المشورة يعرفون غرضه حتى المعرفة قبل ذلك ومستعدين لأجابته فيما يريد فأشاروا عليه أن يتصدى للأصلاح بين الفريقين فإن امتنع أحدهما من قبول الصلح عقد مع الإمبراطور مشاركة على أنه لا يضرب دين المعتزلة وبعد عقدها يطبع الإمبراطور ويعمل بمقتضى مرامه وفي أثناء ذلك وصله الأمر الإمبراطوري مع خبر الحكم على كل من منتخب سكس وحاكم هيسة بالنفي فجعل المشورة ثانيا وعرض على أربابها الأوامر الصادرة له من الإمبراطور وتهديده له بالعقاب إذا هولم بمقتل وافهمهم أيضا أن المعتزلة لم يرضوا بتوسطه في الإصلاح بين الفريقين وأن الإمبراطور وعد بمواعيد مستحسنة في شأن عدم الانسحاب بالدين الجديد وذكر أن مصلحة تقتضي أنه يدافع عن أراني دوقية سكس وأن استيطان الأجانب بها يضرب كل الضرر ولما رأى أن رعاياه يجنحون إلى مثل غرضه أراد أن يفعل في هذه الصورة الصعبة بمقتضى ما يشيرون عليه به فعول أرباب هذه المشورة على مواعيد الإمبراطور حيث كانت تتخمن أنه لا يضيق على الناس في شأن الدين الجديد وعرضوا على أميرهم موريس أن الأصوب أنه قبل شروعه في الاستيلاء على بلاد سكس يكتب عن لسان المشورة إلى منتخب سكس ما معناه أن أحسن واسطة في تسكين غضب الإمبراطور ومنع استيلائه على دوله بطريق التغلب أو نظمها في سلك الجفالك هو أن يرضى بكون موريس يستولى عليها بدون حرب ولا قتال فكتب بذلك كتابا من طرفه إلى الأمير حاكم هيسة والذين زوجته فلما بلغ ذلك منتخب سكس امتزج بالغضب وبذ الكتاب واحتقره لما اشتمل عليه من هذا الخبر المسيء فكتب حاكم هيسة الجواب إلى موريس يلومه فيه ويوبخه على ما عزم عليه من الخيانة والافتيات على منتخب سكس مع اغداقه عليه بالخيرات والنعم وأخبره أن تعمله بتنفيذ أوامر الإمبراطور لم يصادف محلا فان الحكم الصادر منه بالنفي لاغ لا يعمل به لعدم استحالة الشروط اللازمة ولكنه لم يصدر إلا عن مجرد اختياره ومحض إرادته وختم الكتاب بكونه ترجاه أن لا تغرّه موجبات الطبع حتى ينسى ما توجه به عليه

شعار المروءة وشرف العرض وشروط الصداقة والمحبة فيغدربدين المعتزلة حيث
ثبت باقرار البابا أن القصد من الحرب انما هو محق هذا الدين بالكلية حتى
لا يبقى له رسم ولا اسم يلاذ ألمانيا

ولكن كان موريس قد تعاها مع الإمبراطور من قبل معاهدة أكيدة
بحيث لا يمكنه العدول عنها بزح ولا بوج ولا إقامة براهين جلية فلم يلتفت الا الى
تخصيما كان دبره بالحيلة والخداع وسلك مسلك الجسارة في تخصيص مقصده كما سلك
مسلك التحيل في تدبيره فجمع جيشا يبلغ اثني عشر الف مقاتل وهجم به على
بره من بلاد سكس وهجم الملك فردينند على الجزء الآخر مع جيش جمعه
من اهل بلاد چه والمجار فقرا موريس غزوتين عظمتين هزم فيهما
العاكر التي كان اجهاها منتخب سكس في دوله لاجل حمايتها والمدافعة
عنها وتغلب على جميع بلاد سكس ما عدا مدينة ويرانا وبرغ ومدينة
غوطه ومدينة ايرناخه لان محافة على هذه المدن كانوا يجتمعون من الشجاعة
والمهارة قابوا التسليم وعما قيل وصل خبر ذلك الى كل من معسكر الإمبراطور
ومعسكر المعتزلة وترتب على هذا الخبر في المعسكر الاول غاية الفرح والسرور
واما المعسكر الثاني فاغاط ذلك اهل غيظا شديدا وهاهم امر هذا الخطب
وصاروا يلعنون موريس بكل لسان فكنت لا تسمع اسمه الا مقرونا
بالخط والقتل والتشيع والتدح والسب القطيع فتارة يقولون انه جاحد منافق
قد فرض الدين الجديد وقضى عهوده واخرى يقولون انه خائن غادر بالخربة
الجرمانية وطورا تسمعهم يقولون هو قليل المروءة مخدوش العرض لهتكه
حرمة الحقوق الواجبة الاحترام كحق القرابة وحق شكر النعم وبالجملة فلم يبق
شي من انواع المذام والهجو والتدح الا قيل في حق هذا الامير فكنت تسمع من
افواه المعتزلة ما تنصر عن الاضاح به العبارة من المذام والمسبات ولا يمكن
كن موريس معولا على مكروه وخداعه طامعا انه يبرأ بذلك عند الناس
فتشر عريضة فتشغل على جميع الاسباب الضعيفة والعلل الواهية التي تعطل بها
اولا بحضور ارباب مشورة مأموريته وذكرها في المكتوب الذي ارسله الى حاكم

مطلب

تغلب موريس على
دول منتخب سكس

• (المقالة الثالثة) •

٢٢٧

• (تاريخ الاميراطور شرلكان) •

سنة ١٥٤٦

مطلب
عرض المعتزلة الصلح
على الاميراطور

هبة

ولما بلغ منتخب سكس أن موريس انغار على بلاده او ادأن توجه اليه
بالساكر اللازمة لا تقاد دوله واعانتها فاجتمع وكلاء عصبه سمالكال في مدينة
هلم والحوا عليه كل الاحلاح حتى جالوه على ايشار المصلحة العامة وترجيحها
على مصلحة دولة فعدل عن هذا التصد الا أن رعاياه كانوا على مدى الاوقات
يكتبون اليه بالحضور عندهم لينقذهم من ظلم موريس وقسوة التجار الذين
كانوا يفعلون معهم ما كانوا يستحلونه في حربهم مع الدولة العثمانية من السلب
والتهب والقتل ونحو ذلك فازدادت حية الامير منتخب سكس وألح كل
الاحلاح حتى لم يكن وكلاء عصبه سمالكال أن ينعوه في هذه المرة ويحملوه
على العدول عن التوجه الى بلاده وان كانوا يرون أن انفصاله عن جيش
المعتزلة تكون عاقبته سيئة مشؤومة عليهم ولكنهم قبل أن يحكموا بشئ في شأن
ارتحالهم او مكثه توجهوا الى معسكر المعتزلة في جيانجيان على نهر براتره
ليشاوروهم في هذا الامر فتعبر المعتزلة فيما يدونه في ذلك فكانوا من جهة
يفزعون من تخلي بعض حلفاء حزبهم وقصورهم الباقين ويخافون أن اتقال
الحرب وشدائده لا يكابدها الا اهل الحية الدينية الذين يحاطرون باموالهم
وانفسهم في حياية الدين وكانوا من جهة اخرى قد قدرت همهم حيث لم يمكنهم
تقصيل مدد من المثلل الاجنبية وكان فصل الشتاء قد اشتد عليهم حتى ان معظم
العساكر بل والضباط كان يضطر الى ترك الخدمة فيجمع هذه الاسباب رأى
المعتزلة أنه لم يبق لهم وسيلة سوى الهجوم بغتة على الجيش الاميراطوري
ليصلوه على الحرب او المداولة مع الاميراطور بقصد الصلح ولكن كان القزغ قد
استولى على قلوبهم ودخلهم الرعب وقصورهم فربحوا اسهل هذين الامرين
واوقفهم ما بهم وفوضوا الوزير الامير منتخب براتدبورغ أن يتداول مع
الاميراطور في شأن الصلح نيابة عنهم

مطلب
امتناع شرلكان عن
الصلح

فلما لاحظ الاميراطور أن هذه العصبه المتكبرة التي كان يخشى منها أن تطرده
من بلاد ألمانيا قد تنازلت حتى بدأت بطلب الصلح ظن انها قد ضاغت

شوكتها وقدرت همتها وحيتها وزال ما بين اربابها من الاتحاد والالتزام فأخذ يسأل معهام مسائل الغالب القاهر حتى كان المعتزلة قد صاروا في قبضته يتصرف فيهم كيف يشاء واخبر أنه لا يقبل الصلح معهم الا اذا سلم له الامير منتخب سكس امره ودوله يتصرف فيه وفيها كيف يشاء ولو فرض أن الامير اطور طلب هذه الشروط في وقت قنوط المعتزلة وبأسهم لما اطاعتها نفوسهم فمن ثم رفضوا وردها على الامير اطور مع الكبر والعنفوان حيث لم يكونوا عاجزين مغلوبين وانما كانوا في ورطة وارباك مما وقع بين ارباب عصبتهم من الاختلاف والنفاق ولكنهم مع امتناعهم من اجابة الامير اطور فيما يطلب لم يذلوهم في القنيت بوسيلة لم يكن لهم سواها اذ ذاك في حفظ حريتهم واستقلالهم وهي اتحاد عصبتهم والتسامها وعدم تفرق اعضائها فان ذلك وحده كان السبب في فرغ العدو وخوفه منهم حتى ان حزب الامير اطور كان قد عزم على الرجعة غير متردد فلو استقر المعتزلة على الاجتماع والاتحاد لارهبوا الامير اطور وخشى بأسهم وصولتهم مع ما حصل لهم من الخسران في بلاد سكس ولكنهم لما سمع الامير منتخب سكس على الذهاب الى دولة لينقذها من اوقات عليها وألح عليهم في ذلك كل الاحاح رضوا له بالذهاب اليها وانفصلوا عن بعضهم وتشتت جيشهم ولم يبق منه الا تسعة آلاف في اقليم ويرنامبرغ لاجل حمايته وحماية المدائن التي بأقصى بلاد ألمانيا وتوجهت منه طائفة كبيرة مع منتخب سكس ورجع الباقي الى بلاده مع رؤسائه وتشتتوا فيها عن آخرهم وبجمرت دشتات جيش المعتزلة صارت عصبتهم غير مهابة ولا مخوفة وداخل كل واحد من اربابها العجب والفرع حيث صار وحيدا وعرضة لفتك الامير اطور وحققه بعد أن كان آمنا على نفسه اعتمادا على اتحاد العصبة والتسامها ولم يهلمهم الامير اطور حتى بدأوا مع بعضهم ويعقدوا عصبة اخرى بل بجمرت تفرق جيشهم توجه بعضا كرم معصما على القتال واتهازت تلك الفرصة التي كان ينتظرها منذ زمن طويل مع شدة القز والبرد اذ ذاك فتفتت ابواب عدة فلاح صغيرة مع أنه كان بها محاطون من طرف المعتزلة ومحاطين من طرف تحت طاعته

مطلب
دشتات عساكر المعتزلة

مطلب
دخول اغلب ارباب
عصبة المعتزلة تحت
طاعة الامير اطور

مدينة نوردينغ ومدينة روتامرغ ومدينة هالة وكلها من المدائن
الایمراطورية الكبيرة ولكن لم يمكنه أن يمنع منتخب سكس عند رجوعه من
ضرب مغارم جسيمة على مطران مايفسة وقيس فولد وغيرهما من الامراء
القسيسية غير أنه تسلى عن ذلك بتسليم مدينة هلم التي هي من اعظم مدائن
سوابه وكانت ممتازة عن غيرها بشدة الميل الى عصبه المعتزلة وبمجرد تسليمها
تأسى بهاسا ارباب عصبه المعتزلة حيث اراد كل منهم أن يبادر بالدخول
تحت الطاعة قبل غيره ليفوز من رضاه الایمراطور بالخط الاوفر ويكون
صلحه معه على شروط سهلة مستحسنة وكان الامير منتخب بلاطين قد
وعد أن يكون بمنزل عن الفريقين ومع ذلك قد بعث الى عصبه المعتزلة اربعة
آلاف فرس وهذا المدد وان كان قليلا في حد ذاته ولا يعتمد من الاعانات المعتبرة
الا أن الایمراطور استعظم ذلك وعقده ذنبا كبيرا من هذا الامير فآزمه في تغيير
ذلك بامور اخفض به الى الهوان والمذلة واستولى الرعب والفرع على قلوب
اهل مدينة اوكسبورغ حين راوا انهزام المعتزلة من سائر الجهات
فطردوا من مدينتهم الشجاع شرتيل ورضوا بالشروط التي ازمهم بها
الایمراطور

واما الامير دوق ويل تانرغ فانه وان بادر بالدخول تحت الطاعة الا أنه
لم يكن نسب العفو بالسهولة بل اضطر الى طلب العفو من الایمراطور وهو جاث
على ركبتيه بين يديه ولم يزل العفو منه الابشق الانفس

ولما رأت مدينة ماميجان وغيرها من المدائن الحرة التي في اقليم سوابه
أن اعظم حلفائها واقواهم شوكة قدرتها وتحلى عنها لم تجد وسيلة في الامن
على نفسها الانتقيا دها للایمراطور فبادرت بالدخول تحت طاعته وكذلك مدينة
استراسبورغ ومدينة فرنفورث اللتان على نهر مان فانجا
وان كاتا بعد تن عن هذه الاخطار بادرتا بالتسليم فبذلك تشتتت في ظرف مدة
قليلة عصبه المعتزلة وتفرق اعضاؤها بعد أن كانت قوة شوكتها يخشى منها على
الكرسي الایمراطوري ولم يبق احد من اربابها مشهرا الحرب الا حاكم هيسه

• (الجملة الثامنة) •
(اتحاد ملوك الزمان)

٢٤٠

سنة ١٥٤٧

مطلب

الزام الاميراطور المعزلة
بشروط صعبة

ومتخرب سكس ولكن لم يعن الاميراطور بادخالهما تحت الطاعة حيث
كان قديداً الامر بالاتفاق منهم ما هذا او ينبغي أن نبه على أن من دخل تحت طاعة
الاميراطور لم يزل منه العفو الاعلى شروط صعبة لانه لا رأى أن يده فوق ايديهم
سلك معهم مسلك الكبر والعنفوان فاضطر جميع الامر آو رسل المدائن الى الوقوف
بين يديه موقف الذل والانكسار وتضرعوا اليه بسألونه العفو والصفح عنهم
فضرب عليهم مغارم جسيمة لانه وقتئذ كان محتاجا الى الاموال فاعطوه ما فرضه
عليهم بدون توقف فدفع اليه الامير دوق وبرتانبغ ثلثمائة الف ايكو
ومدينة او كسبورغ مائة وخمسين الفا ومدينة هلم مائة الف ومدينة
فرنكفورت ثمانين الفا ومدينة مامبيخان خمسين الفا وكل دولة او مدينة دفعت
من الاموال على حسب ثروتها وقد رزنها في الخروج عن الطاعة والزمت زيادة
على ذلك بالتخلي عن عصبة المعزلة وباعانة الاميراطور اذا استعان بها في تنفيذ
القرمان الذي صدر منه بنى منتخب سكس وحاكم هيسه ولكن مع الزامه
لهم بهذه الشروط لم يعرض لشيء مما يخص الدين * وقد اشتد العرب والفزع
بقلوب ارباب عصبة سمالكالده حتى نسوا الغيرة التي كانت تقوى قلوبهم الى
ذلك الوقت في شأن الدين وصاروا لا يشتغلون الا بما فيه امنهم على انفسهم خاصة
ولم يجسر احد منهم على أن يعرض للكلام في شأن الدين لعدم تعرض الاميراطور
لذلك الا أن اهل مدينة مامبيخان خاطر وابتاعهم وطلبوا من الاميراطور أن
يعدهم بالحماية وعدم التعرض لهم في التمسك بدين المعزلة قبل وزراء
الاميراطور تقريرهم في هذا المعنى على وجه لزمهم به ترك هذا الغرض والسكوت
عنه

وكان منتخب كولونيا مع الحكم الصادر في شأنه من البابا لم يزل باقيا على
منصب المطرانية برضاء الاميراطور واقراءه فلما ثبت التظفر لشرلكان جل
الاميرالذ كور على الامتنال لحكم البابا وتنفيذ امره فلحقته وزهده نزل عن
منصبه بالظفر والاختيار حقا لدم رعيته ومنعاج جعلهم عرضة لاهوال الحرب
والقتال وآثر العزلة والتمسك بدينه على ايقاظ الفتنة والتعكير على الناس

٢٥ من شهر
كانون الثاني

(القالة الثامنة)

٢٤١

(تاريخ الاميراطور شرلكان)

(سنة ١٥٤٧)

بصدقه للعرب رغبة في حفظ منصبه مع أن الحرب مجهول العاقبة لا يدري هل يتم له أو عليه

مطلب
رجوع الامير منتخب
سكس الى بلاده
واستيلانه عليها

واما الامير منتخب سكس فوصل الى ضواحي دوله ولم يتيسر للامير موريس أن يجمع العساكر اللازمة لمقاومته ومنعه فاستولى في اقرب وقت على بلاده واخذ من بلاد الامير موريس اقليم ميسية وجزءه عن سائر اراضيها ما عدا مدينة درسه ومدينة ليسيك لانها كانتا منيعتين حصنتين فلما اضطر موريس الى ترك الحرب والالتجاء الى مقر حكومته صاريحت الى الاميراطور بريدا بعد آخر ليقفه على ما حل به من الاخطار والمخ عليه في المسير اليه لاعتاته على عدوه وكان الاميراطور وقتئذ مشتغلا باستراط الشروط على عصبة شمال كالا فرأى أنه يكفي في ذلك أن يرسل الى بلاد سكس الامير ألبيرت ملتزم براندبورغ أنسباخ معصوبا بثلاثة آلاف من العسكر وكان هذا الملتزم يصلح لمثل هذا المشروع اتم الصلاحية ومع ذلك حضر اليه منتخب سكس وقتل معظم عساكره وشتت شمل الباقي بل واخذه اسيرا فازدادت بذلك حيرة موريس واختل نظامه وكان لابد من التفرقه والظهور عليه لوعرف منتخب سكس أن ينتهز هذه الفرصة النفيسة التي اسعفه بها الدهر ولكن كان من طبعه البطء والتردد سواء استقل بالحكم على الجيوش او شاركه في ذلك غيره فلم يحصل منه همه ولا نشاط الا في مفاجأة الملتزم ألبيرت وعوضا عن كونه سيادرا بالسير الى موريس بعد ان هزم هذا المدد الذي جاءه من طرف الاميراطور رنزي بماعرضه عليه موريس في شأن الصلح لعدم حزمه وقلة تنصره في العواقب فان موريس تلذذ به لم يكن غرضه من طلب الصلح الا المشاغلة وتطويل امد الحرب حتى يصفه الدهر بالاعانة

مطلب
عجز الاميراطور عن
الهجوم على منتخب
سكس وحاكم هيسه

وكانت مقتضيات الاحوال اذ ذلك لا تسوق للاميراطور أن توجه لاعانة حليفه موريس وذلك أنه بعد شتات جيش عصبة المعتزلة سرح قوته بدين مع العساكر الفلكسية لتتف عليه المصاريف معتقدا أن العساكر

(سنة ١٥٤٧)

الاسبانية والالمانية بانضمامها الى عساكر البابا تكنى في فتح المعتزلة
واذلالهم ولكن كان البابا پولس قد قدم على معاهدته مع الایمپراطور
وكان اهل البنادقة لحزمهم لم يرضوا الدخول في تلك المعاهدة ونهضوا البابا
أن لا يتعاهد مع الایمپراطور فلم يقبل نصيحتهم ولم يبق من غفلة في هذا المعنى
الابتداء الجيش الایمپراطوري وتدمير عسبة المعتزلة في اقرب وقت لانه لما رأى
ذلك نسي جميع ما كان يؤمله في ظفروه على المعتزلة من القوائد والمنافع ولم ير نصب
عينه سوى الخطأ الذي ارتكبه باعانة الایمپراطور على توسيع شوكته حتى ظلم
اهل ألمانيا واضعف شوكتهم وفتح له طريقا في التغلب على بلاد ايطاليا
والتصرف المطلق فيها فلما ادرك عدم اصابته في ذلك اجتهد في اصلاح ما فات
فصدرت اوامره الى حفيده الامير فرناندو بدون أن يعلم الایمپراطور
أن يعود بمن معه من العساكر سر يعاود رجوع في الاذن الذي كان صدر منه
للايمپراطور أنه يأخذ من اسبانيا بعض الاراضي القيسية وكان ثم للبابا
اسباب يتمسك بها في اخذ عساكره منها أن مشاركته مع الایمپراطور كان
اجلها ستة اشهر وقد اقضى ومنها أن عسبة المعتزلة تشتت وتفرقت بالكلية
مع أن القرض من معاهدته مع الایمپراطور انما هو ابادتها وتدميرها ومنها
أن الایمپراطور في مفاوضاته ومداولاته مع من دخل تحت طاعته من المداين
والامراء لم يشاور البابا ولم يتفكر في اعطائه شيئا من البلاد التي فتحها ولامن
الاموال الجسيمة التي جمعها ومنها أنه لم يسع اصلاح ازالة الاعتزال ولا في نشر
الدين القائلون في البلاد التي كان بها منبوذا ممنوعا مع أن هذين الامرين كانا
هما القرض للبابا حين عاهد الایمپراطور واعانه بالرجال والاموال وهذه
الاسباب وان كانت مقبولة مسألة إلا أن الایمپراطور لم تحف عليه مقاصد البابا
بل علم أن السبب الحقيقي في ذلك انما هو غيرة منه وكان الامر الصادر من
البابا يرجع العساكر امرامبرما تيسا فلم يكن منهم عن السفر فاخذ
الایمپراطور يشكى ويتعلم من خيانة البابا وغدره حيث تحلى عنه بدون
موجب ولا مقتض وتركه حين اشرف على تقيم حرب انقضد بطلبه والحاحه

مطلب
اخذ البابا الجنوده

(سنة ١٥٤٧)

ويترتب عليه لو تم فخر الكنيسة وتأيد دينها وزيادة على ذلك كان يمدد
اليابا ويلومه ويشنع عليه فلم يكن لذلك كله تأثير عند اليابا بل استمر عساكره
على السير الى بلاد ايطاليا وقد نشر اليابا ابضا عريضة يبرئ فيها نفسه ويرد
على الامبراطور كلامه وقدحه وذكر فيها ما يدل اتم الدلالة على رغبته عن
الامبراطور وخوفه من ازدياد شوكته * فلما رأى شرلكان أن جيشه
قد قل عدده بارسله منه بجله الى محاقطة المدائن التي سلك اليه وافتصل عساكر
اليابا عنه رأى أنه يلزمه أن يجمع عساكر جديدة قبل أن يتوجه بنفسه
الى بلاد سكس

ولاشك أن الامبراطور كان يمكنه بشهرته وعظم وقعه في القلوب بما حازه من
النصرة أن يجمع من البلاد التي تغلب عليها من يلزم له من العساكر فيقع منتخب
سكس وقهره ولكن منعه عن ذلك الفتنة التي وقعت في جنوية على
حين غزله وكان قد حصل قبلها تقلبات كبيرة مجهولة الحال فاضطر الامبراطور
الى البحث عن معرفة اصلها والوقوف على الغرض منها قبل أن يشرع في انصرام
نيران حرب جديد يبلاد ألمانيا وذلك أن صورة الحكومة التي ترتبت
في جمهورية جنوية حين رد اليها الامير اندره دوريه حريتها كانت
مستحسنة مقبولة بحيث تصلح لازالة ما كان به هذه الجمهورية من الفتن
والتعكيرات وكان قد رضى بها اهل جنوية كافة وحلت منهم محل القبول
والاستحسان فلما مضى عليها عشرون سنة قام بعض اهل تلك الجمهورية الذين
من دأبهم التعكير واضرام نيران الفتن وأبى تلك الصورة وامتنع من قبولها وكان
المنوط بادارة المصالح اذذ العائلات مخصوصة من عائلات الاشراف والاعيان
فتشأت الغيرة من ذلك في قلوب سائر الاشراف وودوا أن ترتب الحكومة
الاهلية ثانيا لتعودهم عليها وكان الامير دوريه لعفته وخصاله الجيدة
وعدم اغراضه وكثرة معارفه وفضله محترما لها بينهم ومع ذلك غار منه بعض
الناس حين رأوا أن كلمته هي العليا في جميع مشاوير الجمهورية وكان يجب على
البناء وطنه بمقتضى سنه وعفته وشدة ميله الى الحرية أن يعتقدوا فيه انه

مطلب
الفتنة الحاصلة
في جنوية لتقص
تغيير حكومتها

مطلب
قصد العاصين
وغرضهم

لا يتعدى ابدأ حد وشوكة ولا يرتكب ما يدنس آخر عمره بهدم اركان
الحكومة الطيبة التي قضى حياته في اقامة دعائهما وتشيدها وقصر فخاره
على تقويتها وتأييدها ولكن خشي الجنويزية أن الحكومة مادامت
جمهورية ربما تغلب عليها انسان غير ائدرة دورية ~~اكثر منه~~ طمعا
واقبل منه عفة وقضيلة فيضرب الله كل الضرر ولقد حصل ذلك من رجل
تعقت آماله بغيل هذا الامر وبدا له ما اطعمه فيه وهو جياتينو دورية
وذلك أن عمه الامير ائدرة دورية كان قد وعد به بأن يوصي له عند موته
بساتر امواله فطمع أن يخلقه في الحكم على جنويزة ايضا وكان من الجبارة
العتاة والسفهاء البغاة بحيث لا يصلح أن يكون وارثا للحكومة ملوكية فضلا
عن حكومة جمهورية كحكومة جنويزة وكان اكثر الجنويزية حزما
وفطنة واعظهم تبصرا بالعواقب فكانوا يخشون بأسه ويغضونه ويعتدونه
عدوا للحرية التي ائبتهالهم عنه وله بها عليهم الفضل والمنة ولا يمكن أن
ائدرة دورية قد اعتمته عن عيوبه المحبة الغير الاختيارية التي تنشأ عادة
في قلوب الشيوخ لاصغر ابناء عائلاتهم فكان يرافقه كثيرا ويرفق به
اتم الرفق حتى كان يظهر منه أن همه في بقائه سعادة الجمهورية دون همه
في ترقية قريبه جياتينو المذكور

مطلب

كون الامير فيسك
قوة لوانة هو
رئيس العصبة

ولكن مع اساءة الناس الظن في مقاصد دورية واغراضه وقدحهم في صورة
الحكومة التي كانوا عليها ومثذوقون ان هذه الاسباب لا يترتب عليها سوى
التشكي والتظلم من طرف الالهالي لولم يكن هنالك الامير خنالويزدوفيسك
قوة لوانة فان هذا الامير كان يترقب ازدياد غم العصاة وينظر شدة قلعهم
واضطرابهم ليتهمز من ذلك فرصة في ارتقاء نفسه فعزم على مشروع بعد من
اعظم المشروعات التاريخية وذلك أن هذا الامير الشاب كان اغنى رعايا
الجمهورية واكثرهم امتيازا وكان بمكان من الصفات الجميلة التي تسبق القلوب
وتستوجب الاحترام والمحبة فكان رونق الظرف والبهاء يلوح على وجهه
وكان لا فراطه في العطاء يبلغ كرمه حد الاسراف فكان لا يمنع عن اصحابه شيئا

(سنة ١٥٤٧)

بل كان يعرف مقاصدهم فيمنعهم بالعطية قبل السؤال وكان يعطي الايجاب فوق الامل وكان له تحيل غريب في اسئلة القلوب اليه وكان يشوشا بالطبع بسلك في معاملة الناس سلك الرفق ولين الجانب من غير تكلف في ذلك ولكن كان وراء هذه الصفات الجيلة التي هي زينة النوع الانساني وحليته صفات اخرى يصلح صاحبها لرياسة الاحزاب الخطرة وادارتها وتدير امرها فكان لشدة طمعه لا يثنيه عيش وكان بمكان من العزم والشجاعة بحيث لا يكثر بالاهوال ولا يبالى باقتحام الاخطار وكان بالطبع يستكشف الاقياد والتبعية لغيره فقل هذه الافة لا تطيق أن تكون تحت حكم احد فسد هذا القوت الامير دورية على ماله من الشوكمة ونفوذ الكلمة وكان كلما فكر أن هذه الشوكمة ستثقل من بعد دورية الى قريه جياتينو ازداد غما وحزنا وتواردت الافكار على هذا الرجل الجسور الطماع حتى تمكنت منه واستولت على قلبه فعزم على هدم هذه الحكومة التي كان لكبره وعتوه لا يطيقها ولا يستطيع الاتقياد اليها

ولاجل أن يخرج في مشروعه ظن أنه يجب عليه من مبدأ الامر أن يعقد المعاهدة مع الملك فرنسيس الاول فعرض هذا الغرض على رسول هذا الملك الذي كان اذذاك بمدينة رومة وكان قصده بذلك أنه يطرد الامير دورية والخفر الايمراطوري باعانة الملك فرنسيس ثم يدخل جمهورية جنويزة تحت حماية فرانس مؤملا أن الملك فرنسيس يكافئه على هذه الخدمة بتقليده اول منصب من مناصب الجمهورية واناطته بإدارة مصالحها الكنه لما عرض هذا الغرض على بعض اصداقائه كان من جلته رجل قد جارت عليه صروف الدهر ومع ذلك كان جديرا بتنجيز المشروعات العظيمة والمقاصد الخطرة الجسيمة وهو ويرينا فافهمه أن تعرضه لثل هذا الخطر العظيم الذي لا يعود بالمنفعة عليه بل على غيره من باب الجنون وعدم مداد الراي وحرضه على السعي فيما يكون به تولى امر الحكومة بنفسه وافهمه أن ذلك سهل مستعرب الحصول لكونه عريق الحسب والتسب محبوبا عند ابناء وطنه وكثرة احبائه

مطلب
دعائس العصبية
وتجهيزاتها

واصدقاه فاعجبه كلام ويريئا ووقع منه بموقع عظيم فعدل عما كان معهما عليه من الاستعانة بملك فرنسا واتسع ما اشار به عليه ويريئا ولم يقاسر احدا من الحاضرين على معارضة ويريئا فيما ابداه من الرأى حيث رآوا أن فيسك قد اعجبه ذلك واستحسنه مع أنهم كانوا جازمين بأن هذا المشروع على غاية من الخطر وانحط الرأى فيما بينهم على قتل الامير اندره دورية والامير جياتينو واعيان حزبهما وعلى تولية الامير فيسك على الجمهورية ولكن كان يلزم لاجراء هذا المقصد مدة من الزمن وفي اثناء التجهيز لهذا الغرض كان فيسك يحترس كل الاحتراس في اخفاء مقاصده وكنمان اغراضه حتى لا يطلع عليه احد فسلك في ذلك مسلكا عجيبا حيث اظهر الانهماك على اللذات والشهوات فكان في الظاهر يصرف زمنه في الحفظ واللهو واللعب ولا يترأى عليه أن فكر مشغول بغير ذلك وهو في الواقع يدبر اموره مع الحزم والاعتناء وبذل المهمة سالكا في ذلك مسلكا وسطا بين البطء والجلجلة التي تنشا عن الجزع وعدم الصبر واستمرت المفاوضة بينه وبين رسول فرنسا الذي كان بمدينة رومة في شأن طلب جاية الملك فرنسيس عند الحاجة اليها فيما بعد ولم يوفقه على حقيقة مقاصده بل تعصب سرامع الامير فرنيزدوق برمة وكان هذا الدوق حاد على الامير اطور لكونه ابى تقليده منصب الدوقية على برمة فكان مستعدا لاسامته في تطير ذلك بالاستقام من عاتله دورية حيث كانت تحبه وتحنج اليه وكان ايضا يسعى دائما فيما يكون به اضعاف شوكة الامير اطور ييلاد ايطاليا وكان فيسك يعلم أن جنويرة كغيرها من الدول البحرية يلزم فيها الاستيلاء على البحر حتى يتم هذا المشروع المهم فطلب من البابا اربعة اغربة وكان البابا يعرف قصده بطريق الخن والتخمين ولكن لم يله عليه وانما تعطل بكونه يريد تجهيز غراب من هذه الاغربة لقتال الدولة العثمانية فجمع فيسك جله عظيمة من اتباعه ومن الطواقم الفارة التي كانت غير مستخدمة بسبب المهادة المنقعدة بين الامير اطور والسلطان سليمان فكان لا يتيسر لها القوت والمؤونة

• (المقالة الثامنة) •
(تاريخ الامير الطور شر لكان)

٢٤٧

(سنة ١٥٤٧)

ومع اشتغال الامير فيسك بهذه الاحتراسات واجتهاده فيها كان لا يقرأ أى عليه أن آماله متعلقة بغير الله واللعبة فانه كان ملازماً للمنادمة كل من الامير دورية والامير جياتينو فكان يداهن دورية الذى كان حسن الطوية لايستوى الظن باحد ويجادع جياتينو مع ما كان عليه من المكر والارتياح من الناس لما كان مصحفاً عليه في نفسه من الدسائس والفتن ولم يزل فيسك على هذه الحالة حتى دبر امره على اتم وجهه ولم يبق عليه الا الاتهام بنفيها وظلمها تفاوض مع اصحابه فيما يكون به نفيها عنصته ثم استقر رأيهم اولا على قتل الامير اندره دورية والامير جياتينو مع اكابر حزمهم وقت الصلاة في الكنيسة ولكن لما كان اندره دورية لا يحضر الصلاة الا مادراً لهم وطعنه في السن عدلوا عن هذا الرأي واتفقوا على أن فيسك يصنع وليعة في بيته ويدعوفها جياتينو وعمه اندره دورية وسائر احبابها واصحابها وبذلك يسهل الفتك بهم ولكن اتفق أن جياتينو يخرج من المدينة لقضاء بعض اوطاره في اليوم الذى اعتد لتجهيز هذا الغرض فلم يمهأ أن يعدلوا عن هذه الطريقة الى طريقة اخرى فجمعوا على أن يسلكوا في ذلك ملك القوة جهرة حيث ان طرق الحيلة لم تجد نفعا واجمعوا على تجهيز هذا الامر في الليلة الثانية والثالثة من شهر كانون الثاني وكان الوقت يساعدهم حيث كانت العادة عندهم أن الدوج اى الحاكم يتغير كل سنة في اوائل هذا الشهر وأنه لا يمكن انتخاب حاكم جديد يقوم مقام القديم قبل مضي اربعة ايام من الشهر المذكور ففي هذه المدة تكون جمهورية جنويزة خالية عن الحاكم فيذلك يسهل على الامير فيسك التغلب على حكومتها

مطلب
اجتماعهم لاجل تجهيز
مقصدهم

وفي صباح اليوم الموعد زار فيسك جميع احبابه واصحابه وكان يرى عليه البشاشة والاطمئنان كعادته ثم ذهب في المساء الى اندره دورية وجياتينو وخطبهما مع التعظيم والتجليل على عادته معهما وتأمل حركاتهما واطوارهما مع ما يقتضيه الحال من مزيد التدقيق فصرح حين رآهما على غزوة

وجهل بمقصوده وفي امن كل من جهته وليس لهما علم بامر العصابة المتخفية
عليهما منذ زمن طويل

ثم خرج من سرايتهما مسرعاً الى سرايته وكانت منعزلة على حداثها في حوش
كبير تكنته حيطان عالية وكان قد فتح ابوابها من الفجر واذن بالدخول
لكل من اراد سواء كان حقيراً او خطيراً ولكنه وضع على الابواب خفراً لمنع
من اراد الخروج واما ويرينا وغيره من ارباب العصابة الذين كانوا يعلمون
حقيقة الحال فانهم بعد ان دخلوا السراية ومعهم حزب فيسك وعساكره
البرية خرجوا واتشروا في المدينة مع السكون وعدم اللغط واخبروا اعيان
الاهالي الذين كانوا يغيضون حكم الامير اندره دورية ويميلون الى
ايقاظ الفتنة والانضمام الى من يضرهم نارها بأن الامير فيسك قد صنع
وليمة وارسلهم ليدعوهم الى حضورها وكان اغلب من حضر في السراية
لا يعلمون القصد من جمعهم فتعجبوا حين رأوا الحوش مشحوناً برجال مسلحة
وابصروا محال السراية مشحونة بمهمات الحرب وادواته مع انهم اتفادعوا
الى الوليمة فصار ينظر بعضهم الى بعض بعين التحير والفرع ولا يدرون
حقيقة الحال

مطلب

خطاب الامير فيسك
الى احرارايه

و بينما كانوا في هذه الحيرة والقلق مما شاهدوه في السراية اذ ظهر الامير فيسك
بينهم مع البشاشة وطلاقة الوجه وثبات القلب واخذ يخاطب الاعيان منهم
بقوله اعلموا اني مادعوتكم لاجل الاجتماع على وليمة بل لتسامحوا في غفارة
عظيمة تمرتها اثبات الحرية لبلاد جنويزة وتخليد ذكر من تصدى المياه بالغ
لهم في شدة ظلم الامير اندره دورية واجحافه في الحكم واقادهم ان هذا
الظلم لا تمك عنهم بل يزداد وتوسع دائرته حيث ان الحكومة تنتقل بعده هذا
الامير الى رجل شديد الطبع وهو جياتينو لاسيما والامير اطور شرلكان
بعضده ويؤيد عائلته لانها مستغلة دائماً بخدمته ومراعاة مصلحته معرضة
عن مصالح وطنها ثم قال لهم وانتم ايها الاما جند مقتدرون على ازالة هذه
الحكومة الظالمة ومحو اثرها فبادروا بنال الفتك بالظلمة وتدميرهم وقد جهزت

لكم ما يلزم لاهلاككم واتخذت حلفاء اشدي عند الضرورة
واخترت من كل شيء غاية الاحتراس والطملة ناعون على فراشهم آمنون على
انفسهم لانهم لا يحتارهم لانياء وطنهم لا يعتنون بهم ولا يحترسون منهم كما يحترس
عادة من ارتكب ذنبا او سلك مسالك البغي والطفيلان بحيث يكون على غاية
من التيقظ والحذر خوفا من أن يتقممته خصمه في نظير ما فعل فملوا بنا ايها
الاخوان وابدلوا الجهد معي لتقذ وطننا من ايدي هؤلاء الظلة ولا تقشوا
بأسا ولا تخافوا خطرا انتهى فانه هذا الكلام المصوب بالجلمة العجيبة التي
تقوم عادة بالنفس عند تنقذ كرها في مثل هذه المقاصد الجليلة في قلوب
السامعين كل التأثير وكان اتباع فيسك مستعدين كل الاستعداد
لان توجعوا حيث يوجههم فاقروه على مقصده واجاوه الى تعيين غرضه
وكان في الاهالي كثير ممن جاز عليهم الدهر واساءتهم سرور الزمان فزحوا
بذلك مؤملين أن هذه الفتنة تعينهم على استرجاع سعتهم وثروتهم واما غيرهم
ممن كان اعلى منهم درجة لقضائهم او علو مقامهم فلم يبعثهم اظهار ما قام
بانفسهم حين عرفوا حقيقة ما دعوا اليه لان كلا منهم كان يخشى أن يكون
من بجانب عارفا بالقضية راضيا بها من قبل فكان يظن أنه بين اقوام قد اجعوا
على غرض واحد فان تقوى بشيء يخالف ما اجعوا عليه هلك لوقته فبناء
على ذلك اتروا جميعا ما عزم عليه الامير فيسك واستحسنوه واظهروا
استحسانه

مطلب
مخاطبة فيسك
لوجه

وبعد أن رتب الامير فيسك اموره على هذا الوجه وقوى قلوب احزابه
بادر قبل أن يأمرهم بشيء الى المحل الذي به زوجته وكانت من عائلة سيوا
الشهيرة وكان يحبها كثير الحسناء وبجالها وعقها وكالها ولما سمعت غانا العساكر
المتسلحين ونظرتهم وقد ملاؤا حوش السراية علمت أن هناك فتنة تخافت على
زوجها فلما وصل اليها رآها قد غرقت في بحار الفكر والفرع فبادر باعلامها
بحقيقة الحال واخبرها بالقصد من جمع الرجال فازدادت حيرتها واشتد رعبها
وادركت عواقب هذا المشروع الخطر فاخذت تبكي وتتضرع اليه لعله يعدل

عن ذلك فلم يرت الحالها بل لما تعذر عليه تسكين روعها وازالة الرب
من قلبها قطع كلامه معها بغتة وتركها وانصرف مصمما على تمييز ما في صغيره
فأثالاها استودعتك الله فانك بعد ذلك اما أن لا تتطرنى ابدا وتصير جمهورية
جنورية غدا تحت حكمك انتهى

مطلب
هجوم المتحزبين
على المدينة

وبعجز وصوله الى احزاب امر كلامهم بما اراد فامر بعضهم بالاستيلاء على
ابواب المدينة بطريق القهر والقلبة وامر آخرين بالتغلب على الحارات الكبيرة
والقلاع والبقى لنفسه الهجوم على المينا الى كانت يهاضن الامير اندره دورية
وانما ابقاها لنفسه لانها كانت اصعب واشد خطرا من غيرها وكان ذلك في نصف
الليل واهل المدينة نائمون على غاية من الامن والطمانينة فينماهم كذلك
اذاخذت عساكر المتحزبين في تمييز ما امر وابه فتغلبوا على بعض ابواب المدينة
بدون مشقة وعلى البعض الآخر بعد مقاومة شديدة مع الحرس واما ويرينا
المتقدم فاخذ غرابا من السفن التي كانت معدة لقتال الدولة العثمانية وحاصر
مدخل درسين وهي مينا صغيرة كانت مشغلة على دونهما الامير
اندره دورية فعند ذلك ايس الاهاى من الخلاص وعزم الامير فيسك
على الهجوم على سفن الجمهورية من الشاطئ الذى كانت راسية عليه وكانت
خالية عن السلاح وعما يلزم من الشراعات والحبال ونحو ذلك ولم يكن بها سوى
رجال مذبذبين مكبلين بالسلاسل والاغلال لا قدرة لهم على المقاومة وعما قيل
انتشر الفزع والرب في المدينة وعما الاضطراب والتعكير فكننت تسمع في سائر
الحارات اصوات العساكر تكرر هذه العبارة فيسك والحزبة وكان كلما
سمعها احدث من الاهاى تأخذ الحمية ويبادر الى السلاح وينضم الى حزب
العاصين واملات قلوب الاشرف واحزاب الجمهورية رعبا وفرعا وغلقوا
مسالكهم وصاروا لا يفكرون الا في حفظ انفسهم من السلب والنهب وبعد ذلك
وصل الهرج والاضطراب الى قصر الامير اندره دورية فوثب جياتينو
من فراشه فوراً ووطن أن هذا القيام ليس الامن بعض العساكر البحرية فخرج
في جماعة من اتباعه فاصدا المينا فلما وصل الى الباب المسمى سنت توماس

وحدة العصاة قد تغلبوا عليه فلما ابصره اقتضوا عليه مع الشدة والحمية وذبحوه
في اقرب وقت ولا شك أن الامير اندره دورية كان يلقي مثل ذلك لوهيم
جيروم فيسك على قصره علما برأى اخيه قوتة لوانة ولكنه منع عساكره
عن الهجوم على قصره هذا الامير خشية أن ينهبوه فيحرم مما كان فيه من
الاموال وغيرها فلما بلغ اندره دورية موت قريسه جياتينو وأنه هو
ايضا عرضة للهلاك تركب جواده حالا وقزم اعدائه ولكن تجاسر بعض ارباب
مشورة السنت واجتمعوا في ديوان الجمهورية واخذوا يجمعون العساكر
المتشبهة ويهجمون على حرب العصامين فهزمهم العصاة وطردهم ولم تمكنهم
المقاومة فصمموا على المفاوضة معهم في شأن الصلح فبعثوا رسلا من طرفهم
الى الامير فيسك لیسألوه عن مقاصده والاولى أن يقال انهم ارسلوا اليه
ليفيدوه انهم راضون بجميع الشروط التي يشترطها عليهم
ولكن كان الامير فيسك قد فارق الدنيا وما عليها وذلك انه بعد أن تغلب
على الدونغيا واخذ يرجع الى حربه المتصور مع غانغا في سفينة الاميرال
(قبطان باشا) نفثى أن تكون هذه الغانغا من العساكر المذنبين وظن أنهم
فكروا ملاسلهم وهجموا على عساكره فبادر بالرجوع الى السفينة المذكورة
لينظر سبب ذلك فاقبل به اللوح الذي كان يبنى عليه فسقط في الماء وكانت
اسلحته ثقيلة فهوى الى قاع البحر وذلك وقت أن قارب التمتع بشارظفره ونصره
وكان ويرينا اقل من شاهد هذه الحادثة المشؤومة فادرك عواقبها ولم يخبر
بها الا قليلا من المتعصبين وروا أنه حيث كان ذلك في اثناء الليل وقت اعتسكار
الظلام مع شدة الهرج والاضطراب فالاولى كتمان هذا الخبر حتى يستولوا
على المدينة بموجب مشاركة تنعقد بينهم وبين ارباب مشورة السنت ولكن
فقدت عليهم آمالهم لعدم حزم الامير جيروم وفيسك وذلك أن رسل
مشورة السنت الذين قوض اليهم امر الصلح لیسألوه عن قوتة لوانة
وهو الامير فيسك اجابهم بقوله انا الآن الامير الذي تسألون عنه ومعي
تنعقد المشاركة التي انتم مبعثون بصددها فعد ذلك ادرك الاعداء والاجاب

ماحصل للامير فيسك وتقوت قلوب فريق منهم وقوت همة الفريق الآخر
فاما رسل السنت فتقوت قلوبهم بهذه الحادثة التي بدونها كان لا يتم
لهم مرام وسلوكوا مسلكا آخر غير مسلك التواضع والخضوع الذي كانوا
يريدون سلوكه قبل ذلك وطلبوا شروطا على حسب ما تقتضيه الاحوال التي
كانت تساعدهم وقتئذ ولكن سيما كانوا يحاولون في تطويل المذاكرات
والمداولات كان ارباب السنت مشغولين بجميع احوالهم ليرتسبوا منهم طاقة تدافع
عن ديوان مشورة السنت ومن جهة اخرى كان المتعصبون في نزاع وبأس
من موت رئيسهم ولم يعتقدوا على جبروم حيث لم يكن عندهم الا الخفة وطيش
الشبوية والمجبة فقوت همهم ووقت الاسلحة من ايديهم فكان افشاء خبر
موت رئيسهم هو السبب الاصل في اختلال العصبية واختلال نظامها وذلك
أنه لما مات رئيسها وكان اغلب اربابها يقاتلون من غير أن يعلموا سر مقاصده
ولما هو قائم بضميره ولم يكن احد منهم جامعاً للصولة والمعارف اللازمة للحلول
محلّه وتقييم مشروعه بطل عملها وتبددت عملها فقر كثير منهم الى يوتهم مؤملين
أن ظلام الليل يسترهم وانهم لا يعاقبون على عصيانهم وركن آخرون الى الهروب
والقرار ليجشوا عن مأمن ياورون اليه فلم يقبل النهار الا وهم جميعاً هاربون
لم يظهر منهم احد في المدينة مع أنهم كانوا قد اشرفوا على التغلب عليها

مطلب
نشر الامن والاطمئنان
في مدينة جنوية

ولما اصبح الصباح صارت مدينة جنوية على غاية من الامن والاطمئنان
فلم ير بها احداً من الاعداء وانما بقي بها بعض ابقارها حصل ليلاً لان الفتنة كان
قد نشأ عنها من التعكير اكثر مما نشأ عنها من الاضرار حيث سلك العصاة
في قيامهم مسلك المفاجأة اكثر من طريق القوة والقتال وعند الماء دخل
الامير اندره دورية المدينة واهلها يزفونه باصوات المسترة والتهليل
ويقابلونه افواجا فواجبا وكان لم يزل متعكراً من اخطار الليلة السابقة وكانت
جثة قريبه جيتينو نصب عينيه ملوثة بالدماء ومع ذلك كان على الهمة
لن الجانب رؤفاً ببناء وطنه حتى ان الامر الذي صدر من مشورة السنت
في حق ارباب الفتنة لم يتجاوز حدة التشديد الذي يستدعيه حفظ الحكومة

(سنة ١٤١٧)

مطلب

فزع ال برانر من
هذه العصابة

ولم يرفيه شيء من التعزيب أو قصد الانتقام

ولما حصل الاحتراس اللازم لمنع اشتعال نيران الفتنة بعد اطفائها بدأ ارباب
مشورة الست يبعث رسول من طرفهم الى الإمبراطور شرلكان يخبره
تفصيلا بحقيقة الواقعة ويطلب منه امداد يستعينون به في الهجوم على
موتويو وهي قلعة كبيرة سكنت في اراضي عائلته فيسكن وكان
جبروم قد تحصن بها فلما وصل الخبر الى الإمبراطور تعجب غاية العجب وذاخه
الفرع والحيرة ولم يصدق بأن قوتة لوانة ولو بلغ في التجمع ما بلغ وعظمت
جسارته مهما عظمت يتجاسر على مثل هذا المشروع الخطر بدون حث
ولا تعريض من دولة اجنبية فلما علم أن الامبر فريزدوق برمة كان له على
بتلك الفتنة ادرك حالاً أن البابا لا يجهل هذا المشروع الذي كان ابنه يحز من
على انجازها وتتميمه ونى على هذا الظن فلما آثر بعدا وان كان لا يراه
العقل بالنظر الى سلوك البابا بولس وهو أن البابا اتفق مع ما تيرانسا
على أن ينتهز فرصة عواقب هذه الحادثة فصار من وقتئذ يحنى أن تعظم
الفتنة وتضطرم نيرانها (اذمستعظم النار من مستفراغ الزم) فيعمل
ببلاد ايطاليا ثانيا الحراب والدمار وحيث ان حربه في بلاد ألمانيا كل
قد لازمه باحضار عساكره من دولة التي خلف جبال ألبه حيث صار لا يمكنه
انقاذ هذه الدول عند اغارة العدو عليها رأى انه يلزمه أن يكون مستعدا لذلك
حتى يمكنه بمجرد عرض الخطر أن يقل اليها معظم جنوده وبناء على ذلك
رأى انه ليس من الحزم أن توجه بنفسه الى قتال الالهة تخب سكر قبل
أن يتحقق هل تعصبت عليه في بلاد ايطاليا عصا معه عن استمرار الحرب
في بلاد سكر مع الجنود اللازمة والعساكر الكافية اولا

مطلب

إبقاء حربه في بلاد
ألمانيا الى وقت آخر

تم طبع الجزء الثاني من تحائف ملوك الزمان تاريخ الإمبراطور شرلكان
• وذلك بدار الطباعة الفاخرة المتأداة بمصر القاهرة لعشر مئتين

من ذي القعدة الحرام سنة ١٢٦٢ من هجرة خاتم

الرسول الكرام صلى الله عليه وسلم

